جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا

أسلوب التوكيد في اللغة العربية

رسالة ماجستير

إعداد

محمد حسين أبو الفتوح

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عبد العظيم على الشناوى
الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم البنا

١٩٧٨

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها "

صدق الله العظيم

اهــــداء

الى روح أبى المرحوم فضيلة الشيخ أبو الفتوح محمد مسلم الذى حرص
على توجيهى الى التعليم الدينى واللغة العربية بالأزهر الشريــف .
رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته .

شكـــر وتقديــــر

يسعدني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري الى أستاذي الكبيـــر فضيلة الدكتور الشيخ عبد العظيم علي الشناوي على تفضله بالاشراف على هـــذه الرسالة والتي أعطاها من وقته وجهده الكثير .

كما يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر الى الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم البنـا الاستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر على مشاركته في الاشراف على هـــذه الرسالة وتوجيهه الوجهة السليمة حتى الانتهاء منها .

فلن أنسى فضلهما فلـ جزاهمـا الله عني خير الجزاء .

المقدمـــــــة

اللغة هي أداة صلة ووسيلة تفاهم بين الناس ، وطريق من طرق الاقناع والاقتناع ، يلجأ اليها المتحدث عند ارادة التعبير عما يجول بخاطره ، لا فهام السامع لـه .

ولكل اسلوب بتعبيره عن مراده ، فالأسلوب هو : طريقة لاختيار الكلمات ونظمها تؤثر في نفس السامع أو القارئ ، وتقدم المعنى الذى يريده الكاتب أو المتكلم ونقله الى نفس السامع أو القارئ في قوة ولذلك تختلف قيمة أقوال الشعراء والكتاب تبعا لاختلاف أساليبهم .

واذا كان الأمر كذلك ، فلا بد له من استعمال ألفاظ يفهمها غيره بحيث تفيد هذه الألفاظ معنى مرادا يحاول المتكلم التعبير عنه بهذه الالفاظ الصحيحة .

وهذا هو ما يسمى بالكلام في اصطلاح النحاة ، فالكلام عندهم هو : اللفظ المفيد بالقصد الذى يحسن السكوت عليه .

ولا يكون الكلام كلاما في اصطلاح النحاة الا اذا تكون من اسمين أو من اسم وفعل ، ليتأتى الاسناد بين الطرفين الذى به تحصل الفائدة .

وحاصل هذا أن الكلام المفيد يحصل من الجملة المفيدة ، فالجملة هي أساس التعبير وهي التي تنطوى على فكرة في نفس قائلها أو كاتبها .

وهذه الجملة خاضعة ـ مع كونها صحيحة ـ للملاءمة التي تقال فيهـــا وخاضعة للمدة التي تكون بين المتكلم والمخاطب أيضا ، ولأتتم الفائدة من الكلام كما لا يتم النفع الا اذا روعيت كل هذه الأحوال التي تمر بها الجملة ، فلـن يؤدى الكلام الفائدة المطلوبة الا اذا روعى حال المخاطب ليتمكن الكلام في نفسه ويقف على مراد قائله .

ولذلك نرى علماء المعاني يهتمون بهذه العلاقة التي هي بين المتكلم والمخاطبه ويعبرون عنها بالحال وظاهر الحال ، ونجد هذه العبارة كثيرا في كتب النحو والمعاني .

فقد نقل الجرجاني عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف الى أبي العباس[1] ، وقال له : اني لأجد في كلام العرب حشوا ، فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ثم يقولون : ان عبد الله قائم ، ثم يقولون : ان عبد الله لقائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : عبد الله قائم : اخبار عن قيامه ، وقولهم : ان عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل وقولهم : ان عبد الله لقائم ، جواب عن انكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعنى[2] .

فهذا مثال من كلام العرب وصورة لغوية من صور الكلام العربي تناوله النحاة كما تناوله علماء المعاني ، وكان مراعاة ما أحاط بالقول من مناسبات عند النحاة أساسا لصحة الكلام ، كما كانت كذلك عند علماء المعاني ، فلا نجد فرقا لأن موضوع الدراسة واحد ، ألا وهو الجملة .

بيد أن النحاة بجانب ذلك وجهوا اهتمامهم الى الصناعة اللفظية ولم يجمع النحاة كل ما يتصل بأسلوب التوكيد في مكان واحد ، ويمكن أن يقال هذا فيما يتصل بأساليب أخرى ، مثل النفي والاستفهام ، ومعروف سر هذا ، وهو التزام النحاة في عرضهم للمادة العلمية بمنهج العوامل ، ومن هنا تفرقت البحوث في مواضع متعددة ، ومثال هذا أنهم حينما تحدثوا عن ان التي للتوكيد جعلوها مع

---

(١) لعله يعني أبا العباس المبرد أو ثعلبا ، لاتفاقهما في هذه الكنية في ذلك العصر .

(٢) دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني صفحة ٢٤٢ طبعة السيد محمد رشيد رضا

أدوات لاتفيد توكيدا الا أنها اشتركت معها من حيث العمل ، وهو النصب ، وهكذا في بقية الأدوات التي لاتفيد توكيدا .

فنجد النحاة قد عقدوا بابا خاصا بالتوكيد وقصروا معالجتهم لهـذا الموضوع على جانب من جوانبه وهو : التوكيد التابع ، ولم يكن هذا الجانب أجمـل جوانبه ولا أهمها ، فهم عنوا بهذا الموضوع لما له من صلة بالعامل والتبعية للمعمول وتسلط العامل عليه .

أما بالنسبة لموضوع أسلوب التوكيد بجميع جوانبه ، فنجد أساليبه وأدواتـه مبثوثة في كتب النحو ، في أبواب وموضوعات مختلفة مثل : ان وأخواتها ، فلم يجمـع هذا الأسلوب في باب يسمى أسلوب التوكيد ، وهذا هو احد الأسباب التي دفعتني الى الكتابة في هذا الموضوع ، لأنه موضوع حيوي .

وعلماء النحو منذ نشأة علم النحو اهتموا بجانب الصناعة اللفظية بالمعانـي فهموا أوجه وجوب التوكيد وعدمه ، اما علماء المعاني فهم يتناولون الأساليـــب ويعـــــللون سبب استعمال أسلوب في مقام دون استعماله في مقام آخـــره وانصرف اهتمامهـم الى المعاني التي يؤديها الأسلوب حتى ظهر الانفصال بـــين النحو وعلم المعاني ، خصوصا في الآونة الأخيرة التي ظهر فيها اهتمام علماء النحـو بالصناعة اللفظية ، ولهذا نجد علماء المعاني يحدون التعبير بالجملة الاسميـــة بدلا من الجملة الفعلية أسلوبا من أساليب التوكيد .

وعلى هذا نجد أن التوكيد سواء عند النحويين أو البلاغيين له طـــرق مختلفة ، فقد يكون التوكيد بالأداة ، مثل : التوكيد بان ، وقد يكون بحرف مـن حروف الزيادة ، وقد يكون بغير أداة مثل التوكيد بطرق التقديم والتأخير ، والقسم ، وقد يكون التوكيد بالتكرار .

وكان لزاما على أن أشير الى التوكيد عند البلاغيين ، فقد جاء فى القرآن الكريم منه كثير ، وذلك مثل التعبير بالماضى عن المضارع وبالعكس والتعبير بالجملة الاسمية عن الجملة الفعلية مثل ذلك توكيد عند البلاغيين وليس توكيدا عند النحاة ، إلا أن النحاة يشيرون الى التعبير بالمضارع عن الماضى بعطف المضارع على الماضى ، وبالعطف يكون المضارع فى معنى الفعل مثل الماضى ، لاشتراط اتحاد الزمان فى الفعلين المتعاطفين ، وذلك فى مثل قوله تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة "

فيقولون : أى : أصبحت ، هذا هو عمل النحويين ، وحسبهم أن قالوا فى كتب النحو : ان هذا لاستحضار الصورة لـم يشيروا الى أن أسلوب من أساليب التوكيد ، وانما قالوا : انه بمنزلة الماضى فى المعنى ، وجعلوا هذا من باب انصراف المضارع الى المضى كما قالوا فى قوله تعالى (حتى يقول الرسول) برفع المضارع (يقول) لأن زمن الفعل هنا للحال ، ولا يجب نصبه بعد حتى الا اذا كان معنى الفعل للاستقبال .

وبهذا نجد أن النحويين يقدمون الألفاظ والتراكيب ويبينون كيفية استعمالها ، أما أهل المعانى فنجدهم يهتمون بالمعانى ويعللون لاستعمال أسلوب فى مقام دون أسلوب آخر ، فنجدهم يقولون : ان التعبير بالمضارع عن الماضى فى الآية الكريمة (فتصبح) . لاستحضار الصورة ، وتصويرها وكأن السامع يراها أمامه ظاهرة واضحة جلية ، فيعاين الصورة وفى ذلك معنى التوكيد اذ استحضار الصورة ، وجعلها أمام السامع أو القارئ ومعايشته لها يجعله مصدقا حيث تمكنت الصورة فى ذهنه بوضوح ، لانها تمثلت امامه بسبب استعمال الفعل المضارع ، وهذا هو غرض التوكيد ، وهو تمكين المعنى فى النفس .

ونجد أسلوب التوكيد فى القرآن الكريم جاء مطابقا للحال والمناسبات ،

التي أتى بها بأروع صورة وأجمل بيان من ألفاظ متناسقة لها وقعها وأثرها في النفوس والآذان ، فكان له تأثيره في القلوب ووقعه فيها موقع التقدير والاجلال في ضوء لترتيب المعاني من الألفاظ حسب ماتتشوف اليه النفس .

وهذا لأن القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ليهدي به الناس للحق ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ويمدهم بالعقيدة الصافية والشريعة التامة والخلق الكريم .

وكان من حكمة الله تعالى أن خاطب الناس على قدر مداركهم ، وبالوسائل التي تحرك مشاعرهم وتجذبهم الى الخير والرشاد ، ولذا تنوعت أساليب الخطاب في القرآن الكريم ومن هذه الأساليب أسلوب التوكيد ، وقد أفحم القرآن الكريم العرب المتكلمين بهما وفحولها بقوة أسلوبه وروعة بيانه ، وكان لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم دور كبير في العقيدة وفي اقناع المعاندين للاسلام .

وهذا هو السبب الثاني في اختياري لهذا الموضوع ليكون موضوعا للرسالة لعلي بهذا أستطيع أن أفهم أسلوبا من أساليب القرآن الكريم وفقنا الله لما فيه خدمة لغتنا العربية لغة القرآن الكريم ومعجزة النبي العربي الأمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين .

معنى التوكيد :

التوكيد هو : تمكين المعنى فى النفس وتقويته ، وفائدته ازالة الشكوك واماطة الشبهات التى ترد الى الكلام .

وهو فى أصل اللغة : مصدر وكد ، فقد جاء فى الأشمونى حاشية الصبان (١) :
" هو فى الأصل مصدر ويسمى به التابع المخصوص ، يقال : أكد تأكيدا ، ووكد توكيدا ، وهو بالواو أكثر وهى الأصل والهمزة بدل منها ، وفى المصباح الهمزة أصل (٢)
وجاء فى لسان العرب للعلامة ابن منظور " وكد الرحل والسرج توكيدا بمعنى شده ، والوكائد بمعنى السيور التى يشد بها القربوس الى دفتى السرج ، الواحد وكاد وإكاد ، وفى شعر حميد بن ثور :

ترى العليفى عليه موكدا (٣)

أى موثقا شديد الأسر . والوكاد : حبل يشد به البقر عند الحلب ، ووكد بالمكان يكد وكودا اذا أقام به ، ويقال : ظل متوكدا بأمر كذا ، ومتوكزا ومتحركا أى قائما مستعدا ، ويقال : وكد يكد وكدا أى : أصاب ، ووكد وكده : قصد قصده ، وفعل مثل فعله ، ومازال ذاك وكدى أى : مرادى وهمى ، ويقال : وكد فلان أمرا يكده وكدا اذا مارسه وقصده .

وفى المعجم الوسيط " توكد : اشتد وتوثق ، والتواكيد : التآكيد وهى السيور التى يشد بها القربوس الى دفتى السرج . (التوكيد) عند النحاة تابع من التوابع . (المؤكدة) : الناقة المواظبة على السير " هـ .

---

(١) الأشمونى ج٣ ص ٧٣ .
(٢) المصباح ص٥٣
(٣) العليفى : رجل منسوب الى علاف . انظر ديوان حميد بن ثور ص٧٧ .

وهكذا نجد أن المعاني التي تدور حولها مادة (وكد) هي الثبوت والتمكين والقصد ، وهذا هو المراد من التوكيد في الكلام : التمكين والتقوية وإزالة الشبهات التي ترد في الكلام اذا لم يؤكد .

كما ظهر لنا أن التأكيد لغة في التوكيد ، والواو أفصح ، لذلك اخترت كلمة (التوكيد) بالواو لتكون عنوانا لموضوع الرسالة ، كما أن القرآن الكريم استعمل هذه الكلمة بالواو كما في قوله تعالى : " وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها " (١) ، والمعنى بعد توثيقها .

واستعمل التوكيد عند النحاة في التابع ، وهو : نوعان : لفظي ومعنوي ، والمعنوي : هو التابع الرافع احتمال ارادة غير الظاهر ، وله ألفاظ مخصوصة دونت في كتب النحو ، أشار اليها ابن مالك في ألفيته بقوله :

بالنفس أو بالعين الاسم أكدا ∴ مع ضمير طابق المؤكدا (٢)

يقول الصبان : "الرافع احتمال اما أن يكون المراد بالرفع الابعاد ، واما أن يراد بالاحتمال : الاحتمال القوي ، فلا يرد على كلامه قول ابن هشام : الظاهر أنه يبعد ارادة المجاز ولا يرفعها بالكلية ، لأن رفعها بالكلية ينافي الاتيان بالألفاظ متعددة ، ولو صار بالأول نصا لم يؤكد ثانيا .

---

(١) سورة النحل آية ٩١.
(٢) الأبيات بعده :

واجمعهما بأفعل ان تبعا ∴ ما ليس واحدا تكن متبعا
وكلا اذكر في الشمول وكلا ∴ كلتا جميعا بالضمير موصلا
واستعملوا أيضا ككل فاعله ∴ من عم في التوكيد مثل النافلة
وبعد كل أكدوا بأجمعا ∴ جمعاء أجمعين ثم جمعا
ودون كل قد يجيء أجمع ∴ جمعاء أجمعون ثم جمع

وانما اقتصر على رفع الاحتمال المذكور ، لأن رفع توهم السهو والغلط ، انما يكون بالتوكيد اللفظي [١].

ولما كان موضوع الرسالة لايقتصر على هذا الجانب فقط من جوانب التوكيد ، وانما شمل التوضيح جوانب أخرى كلها تدور حول المعنى المراد من لفظ التوكيد ، وهو : تمكين المعنى في النفس وثبوته ، لازالة الشبهات والشكوك التي يتوهمها السامع في الكلام اذا لم يؤكد له الكلام ، قسمت طرق التوكيد الى أربعة طرق :

الأول : التكرار وهو : مايكون فيها الكلام مرددا ويكون بتكرار فعل أو اسم أو حرف أو جملة ، وهو مايسمى عند النحاة بالتوكيد اللفظي ، لأنه تكرار للفظ المؤكد وعندما تكلم النحاة عليه بحكم أنه تابع ذكروا معه التوكيد المعنوي ، لأنه تابع لما قبله وتكرار في المعنى لذا يتكرار غير صريح [٢] ، وسأتكلم عنه قسما قسما .

الثاني : التوكيد بالأداة ، ومن الادوات مايكون خاصا بالأسماء ، ومنها مايكون خاصا بالأفعال ، ومنها مايكون شائعا مشتركا بين الأسماء والأفعال .

الثالث : التوكيد بحروف الزيادة ، وهي الحروف لها معنى في أصل الوضع ثم انسلخت عن معانيها التي وضعت لها في أصل الوضع الى معنى آخر وهو التوكيد ، وهذا كما في قوله تعالى : " أليس الله بكاف عبده " فالباء في خبر ليس زائدة لتأكيد معنى النفي .

الرابع : التوكيد بغير أداة ، مثل التقديم والتأخير ، وأسلوب القسم .

---

(١) حاشية الصبان جـ٣ ص٧٣ .

(٢) انظر شرح المفصل جـ٣ ص٣٩ .

التوكيد عند النحاة



مما سبق تبين لنا أنه لجمع جوانب أسلوب التوكيد التي وردت في كتب النحو مبثوثة قسمته الى أربعة أبواب :

الباب الأول :

التوكيد بالتكرار بنوعيه .

الباب الثاني :

التوكيد بالأداة .

الفصل الاول : الادوات التي تختص بالأسماء للتأكيد .

الفصل الثاني : توكيد الجمل الفعلية .

الفصل الثالث : التوكيد بالادوات المشتركة بين الاسمية والفعلية .

الباب الثالث :

التوكيد بحروف الزيادة .

الباب الرابع :

التوكيد بغير أداة " بين النحاة والبلاغيين " .

والقرآن الكريم هو المصدر الاول للاستشهاد به على كل ماقاله النحاة في أساليب التوكيد . فجميع بحثنا لجوانب التوكيد موثقة من القرآن الكريم . مع بيان صوره وفوائده في الكلام لاقامة الحجة واقناع المعاندين للقرآن الكريم .

والمصدر الثاني كلام العرب وأشعارهم .

الباب الأول

التوكيد بالتكرار

معنى التكرار في اللغة :

التكرار مصدر كرر بمعنى ردد وأعاد .

وقد تناول التكرار علماء النحو والمعاني على السواء ، فعلماء المعاني نظروا اليه من زاوية الزيادة في اللفظ على المعنى أو من زاوية الزيادة في اللفظ والمعنى جميعا ، وسموا هذه الزيادة اطنابا أو تكرارا اذا كان الكلام مرددا ، وسأشير الى هذا عند الحديث عن التوكيد عند البلاغيين .

أما التكرار من وجهة نظر النحويين فهو تكرير في اللفظ اما بنصه ومعنه أو بمرادفه ، وهو ما يقال عنه : بأنه التوكيد اللفظي (التابع) وهو القسم الأول من قسمى التوكيد التابع .

وقد يستثقل تكرار اللفظ ، فيعدل عنه الى معناه ، وهذا كما في قوله تعالى : " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " (١) ، فانه لما أعيد اللفظ غير (مهل) الى (أمهل) فلما أريد تكراره مرة ثالثة عدل عن حروف الفعل اصلا الى ما هو بمعناه ، فقال : (رويدا) ، وكذلك في قوله تعالى : " ارجعوا وراءكم " (٢) ، (وراءكم) اسم فعل بمعنى فعل الأمر أى : تأخروا . والمعنى : ارجعوا تأخروا فقوله : وراءكم : ليس ظرفا ، لأن الظروف لا يؤكد بها ، لأنه عندما يكون ظرفا فهو من مكملات الكلام بأن يكون معمولا فيه ، فلا يتفق هذا مع كونه توكيدا ، لأن التوكيد اللفظي تابع ، والظرف في هذه الحال ليس تابعا بل هو محل لحدوث الفعل ، هذا هو ما أراه ، لأن المقام مقام طرد وتهكم وحسب ما أناط لهم (٣) .

---

(١) سورة الطارق آية ١٧ .

(٢) سورة الحديد آية ١٣ .

(٣) انظر الكشاف حـ٤ ص ٦٣ .

فناسب هذا أن يكون (وراءكم). بمعنى تأخروا ، أي : ارجعوا خائبين ، وتنحوا عنا وقد جاء في البحر المحيط (١) : قيل ارجعوا وراءكم القائل المؤمنون أو الملائكة ، والظاهر أن وراءكم معمول لارجعوا ، وقيل لا محل له من الاعراب لأنه بمعنى ارجعوا (٢) .

هذا عند النحاة ، أما عند البلاغيين فهو توكيد مع كونه ظرفا أكد به بحسن طريق الاستئناف بمعنى أن قوله : وراءكم لم يفد معنى زائدا ، لأن معناه ذكر قبله في قوله : (ارجعوا) ، فالرجوع لا يكون الا الى الوراء ، فالمعنى كرر مرتين (٣) كما سيأتي بيانه – ان شاء الله – في باب لحة الى التوكيد عند البلاغيين .

وهكذا فان التعبير في اللفظ والمعنى واحد تكراره وهذا كما في الألفاظ المترادفة كقوله تعالى : (ضيقا حرجا) (٤) ، ولا يصح تكرار اللفظ المؤكد أكثر من ثلاث مرات لأنه لم يسمع في كلام العرب أزيد من ذلك ، ولاتفاق الأدباء على أنه لم يقع في لسان العرب أزيد منه ، وعلى هذا جرى القرآن الكريم في آية واحدة وفي مقام واحد .

أما اذا تعددت المعاني وتكررت المقامات ، فانه يكرر أكثر من ذلك ، لأن المعاني التي وردت في مثل هذا المقام تعددت ، وهذا كما في سورة الرحمن في تكرار آية " فبأي آلاء ربكما تكذبان " وهذا ليس توكيدا عند النحاة .

والتكرار مع أنه لمجرد التوكيد والتقوية ، فانه أبلغ أنواع التوكيد ، لأنه يقرر ارادة المعنى الأول بلفظه ، وعدم التجوز عنه ، وهذا هو الذي جعل الزمخشري

---

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص ٢٢١ .
(٢) أرجح الرأي الثاني لما بينته .
(٣) على تفسير أن وراءكم بمعنى ارجعوا أو تأخروا عند النحاة يتفق النحاة والبلاغيون على أن وراءكم توكيد للفعل .
(٤) الانعام آية ١٢٥ .

يقول في قوله تعالى : " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون "(١)، التكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم ، (ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح : أقول لك ثم أقول لك لاتفعل ، والمعنى : سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ماقدامكم من هول لقاء الله ، ان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ، ثم كرر التنبيه أيضا ، وقال : " لو تعلمون "(٢).

ولذا ناسب هذا اللون من التوكيد أن يكون للتهديد والوعيد في مخاطبة المعاندين الذين يجادلون بالباطل لزجرهم عما هم فيه من الغي والبهتان.

وهذا كما في سورة التكاثر في الآيتين الثالثة والرابعة (٣)، وفي قوله تعالى : " وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين "(٤) فمقتضى التوكيد بالتكرير هنا المقام، لأن المقام هنا مقام تهويل وتعظيم ، حيث بدأت السورة بآيات تصور يوم القيامة من انشقاق السماء وتساقط الكواكب، وانفجار البحار، وبعثرة مافي القبور، فخوطب الكافر : اذا كانت هذه هي حال يوم القيامة ، فما غرك بربك أيها الكافر حتى عصيته ، وأن عليكم كاتبين لأعمالكم فتحاسبون عليها في هذا اليوم العظيم فما أعظم هذا اليوم ، وما أدراك ما يوم الدين ، ثم كرر الآية تعظيما لشأن هذا اليوم ، و(ثم) أفادت التهويل والتعظيم لهذا اليوم ، ومايكون فيه من عذاب ونعيم.

---

(١) سورة التكاثر آية ٣،٤.
(٢) تفسير الكشاف في جزء ٤ صفة ٢٩٢.
(٣) اذ نزلتا في قبيلتين (بني حارثة، وبني الحارث) تفاخروا وتكاثروا بالأموال والأولاد والرجال فشغلوا عن طاعة الله ، فناسب هذا المقام أن يكون مقام وعيد وتهديد وذلك لأنهم لما شغلوا عن طاعة الله كأنهم شكوا في عذاب القبر، وظنوا أن هذا من باب التجوز والمبالغة لا على الحقيقة فنزلت هذه الآيات توعدهم وتهددهم ، وأكدت ذلك بالتكرار فكان أسلوبا فيها له تأثيره في النفس اذ استشعرت الوعيد والتهديد من التكرار.
(٤) الانفطار آية ١٧، ١٨.

ومنه قوله: "فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر"(١) ، وجاء في الكشاف: (ثم) الداخلة على الدعاء للدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قولـــه:

ألا أسلمي ثم أسلمي ثمت اسلمي (٢)

وقد يكون من فوائد التكرار زيادة التنبيه على نفي شيء في الكلام كالتهمة مثلا ، لكيل تلك التهمة بالقبول ، وهذا كما في قوله تعالى: "وقال الذي آمن ياقـــوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع"(٣) ، فقد كـــرر هنا (ياقوم) للتنبيه على أنه منهم ، ولأنه منهم عز عليه أن يرشدهم الى الرشـــاد اذ كيف يكون منهم وأنهم قومه ثم لا تهمه مصلحتهم ، فتكرر قوله (ياقوم) هنا للاشارة الى هذا المعنى وتأكيد أنه مايرشدهم الا الى الرشاد والفلاح .

مما سبق يتبين لنا أنه اذا كان التكرار في اللفظ لمعنى واحد فهو تكـــرار للتوكيد عند النحاة ، أما اذا كان التكرار في اللفظ والمعنى متعددا ، كما في سورة الرحمن في تكرير قوله تعالى: "فبأي آلاء ربكما تكذبان" وفي سورة المرسلات في تكرير قولــه تعالى: "ويل يومئذ للمكذبين" ، وفي سورة القمر في تكرير قوله تعالى: "فكيــف كان عذابي ونذر" فليس بتكرار للتوكيد عند النحاة ، لأنه تكرار في اللفظ لمعـــان متعددة ، فكل آية من الآيات المتكررة المراد بها المكذبون بما ذكر قبل هــذه الآية ، كما في قوله تعالى: "فبأي آلاء ربكما تكذبان" فلم يتعدد اللفظ أي لفـظ الآية على معنى واحد فانه سبحانه وتعالى عدد في هذه السورة (سورة الرحمـن) نعماءه ، وأذكر عباده بآلائه ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ، ثم أتبع ذكـــر

---

(١) سورة المدثر آية ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الكشاف جـ١ ص ١٥٨ ، والبحر المحيط جـ٨ ص ٣٧٩ .

(٣) سورة المؤمن آية ٣٨ ، ٣٩ .

كل خلة وصفها بهذه الآية ، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لتفهيمهم النعم .

وفي حاشية الصبان [1] " وأما تكرير (ويل يومئذ للمكذبين) في سورة المرسلات ، فليس بتأكيد بل كل آية قيل فيها ذلك ، فالمراد المكذبون بما ذكر قبل هذا القول ، فلم يتحد على معنى واحد ، وكذا " فبأي آلاء ربكما تكذبان " في سورة الرحمن . ا . هـ .

فهذا التكرار ليس توكيدا عند النحاة لانه تكرار في اللفظ لمعان متعددة فكل آية مكررة ، انما هي للمعنى الذي ذكر قبلها وليس في هذا تكرار للتوكيد .

والواقع أن التكرار في القرآن الكريم واقع على وجوه ثلاثة :

الأول : تكرار من جهة اللفظ والمعنى واحد ، وهذا هو موضوع بحث النحاة مرادا به التوكيد اللفظي .

الثاني : تكرار من جهة اللفظ والمعنى جميعا وسيأتي بيانه ـ إن شاء الله ـ في باب لمحة الى التوكيد عند البلاغيين .

الثالث : تكرار من جهة المعنى ، وهذا في القصص كتكرار قصة موسى وفرعون فانه واردة في سور كثيرة ، وكما في قصة آدم وابليس فانها وردت في مواضع كثيرة .

متى يكون التوكيد بالتكرار ؟

الفائدة من التوكيد أنه يقرر أمر المتبوع ، ويجعله مستقرا متحققا بحيث لا يظن به غيره ، فرب لفظ دال وضعا على معنى حقيقي فيه ظن المتكلم بالسامع أنه

---

(١) حاشية الصبان جـ٣ ص٧٩ .

لم يحمله على مدلوله اما لغفلته أو لظنه بالمتكلم الغلط أو لظنه به التجوز.

فان كان الغرض من التأكيد أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه، أو أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فحينئذ لابد من التكرير اللفظي، ولا يجوز حينئذ التأكيد المعنوي لأنه عند التأكيد لدفع غفلة السامع أو دفع ظن السامع أن المتكلم أخطأ في مثل: ضرب زيد زيد عند اسناد الضرب لزيد، اذا ظن غفلة السامع عنه أو ظن السامع أن المتكلم أخطأ فتكرر (زيد)، ولا تقول: ضرب زيد نفسه، لأنه أي السامع لم يشك في نسبة الضرب الى زيد، ولم يحصل التردد بين شخصين وانما التأكيد في هذه الحال لدفع الغلط والغفلة، فيجب التكرير في اللفظ لتقرير أمر النسبة، ويجب التكرار أيضا اذا كان المقام مقام الاستغراب في وجوده أو عدمه، وذلك عندما يظن السامع بالمتكلم أنه تجوز وبالغ في كلامه فاذا قلت مثلا: قتل الطفل الأسد، فانه يجب التكرار اما بتكرار الجملة أو بتكرار المسند اليه (الطفل)، لدفع توهم التجوز بالمبالغة.

أما اذا كان الغرض دفع ما يتعلق بالمنسوب اليه، فانه حينئذ يكون التوكيد بالتكرار المعنوي (التوكيد المعنوي) بالنفس أو بالعين، فهذا التوكيد بالتكرار لتقرير أمر المتبوع لا في النسبة ولا في الشمول فان كان التوكيد في النسبة أو الشمول فانه بالتوكيد المعنوي.

جاء في الكافية: فالغرض الذي وضع له التأكيد أحد ثلاثة أشياء أحدها: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه، وثانيها: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فاذا قصد المتكلم أحد هذين الامرين فلا بد أن يكرر اللفظ الذي ظن غفلة السامع عنه أو ظن أن السامع ظن به الغلط فيه تكريرا لفظيا نحو: ضرب زيد زيد أو ضرب ضرب زيد، ولا ينجع ههنا التكرير المعنوي (التوكيد المعنوي) لأنـــك

لوقلت : ضرب زيد نفسه فربما ظن بك أنك أردت ضرب عمرو فقلت : نفسه بنـــاء على أن المذكور عمرو ، وكذا ان ظننت به الغفلة عن سماع لفظ زيد فقولك نفســـه لايفعله ، وربما يكرر غير المنسوب والمنسوب اليه لظنك غفلة السامع أو لدفـــع ظنه بك الغلط وذلك اما في الحرف نحو ان ان زيد قائم أو في الجملة نحو قولـــه تعالى : ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ، والغرض الثالـــث : أن يدفـــع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا وهو ثلاثة أنواع احدها : أن يظن به تجوزا في ذكر المنسوب ، فربما تنسب الفعل الى الشئ مجازا وانت تريد المبالغة لا أن حصول ذلك الفعل منسوب اليه كما تقول قتل زيد وأنت تريد ضربه ضربا شديدا أو تقـــول هذا باطل وأنت تريد غير كامل ، فيجب أيضا تكرير اللفظ حتى لايبقى شك .. الخ[١]

ولهذا حسن التكرار في الوعد والوعيد ، حتى يتمكن أمر الشيء في ذهـــن السامع ويدفع عنه ظن التجوز والمبالغة كما في القرآن الكريم .

وهو يجري في الألفاظ كلها أسماء كانت أو افعالا أو حرفا أو جمـــلا .

توكيـــد الجملـــــة :

فان كان جملة وهو الاكثر في التوكيد اللفظي فكثيرا مايقترن بعاطـــف يقول الإيضاح : والأكثر في التوكيد اللفظي (تكرار في اللفظ والمعنى واحد) أن يكون في الجمل ، وكثيرا مايقترن بعاطف نحو قوله تعالى : " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون " (٢) . ونحو قوله تعالى : أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولـــى . (٣)

---

(١) الكافية ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
(٢) سورة التكاثر آية ٣ ، ٤ . .
(٣) سورة القيامة آية ٣٤ ، ٣٥ .

وقوله تعالى : " وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين " (١) ففي آيـة التكاثر أكدت الآية «كلا سوف تعلمون» بالآية الثانية: «ثم كلا سوف تعلمون» والغرض من هذا التوكيد الزجر.

أما الآية : أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ، ففيها تأكيدان ، التأكيد الاول: تأكيد جملة بجملة في قوله : أولى لك فأولى ، الأولى (أولى لك) والثانية (فأولى) فالتأكيد بالجملة المقرونة بالفاء ، وهذا على ما قاله الرضي من أن الفاء كثم ، خلافا لمن اعتبر ، بأن الاولى الثانية مبتدأ حذف خبره أي: لك ، وعلى كل ففي ذلك تأكيد جملة بجملة ، وقوله تعالى : ثم أولى لك فأولى : جملتان مثل الأولى وهما تأكيدان للجملتين الأوليين.

والعطف هنا صوري ، لأن بين الجملتين كمال الاتصال فليس عطف هنا الجملة الثانية على الجملة الأولى عطفا حقيقيا وإلا كانت التسمية بالعطف لا بالتوكيد ، لأن العطف وأعني به عطف النسق هو تال بحرف متبع عاطف نسق ، أي بأن التبعية بسبب حرف العطف ، فالباء في (تال بحرف) سببية ، ولكن التبعية في الآيات المذكورة حاصلة قبل وجود هذا الحرف (ثم أو الفاء) ، وبعد حذفه لو حذف ولذلك يجب ترك هذا العطف عند إيهام التعدد.

فالتوكيد المسبوق بالعطف ليس بسبب الحرف ، لثبوت التبعية كما هي الحال بعد أي التفسيرية تبعية البيان.

الدليـــــل :

وصحة حذف هذا الحرف العاطف قبل الجملة المؤكدة دليل على أنه ليس بحرف متبع أي حرف عاطف للجملة بعده ، لأن حرف العطف لا يجوز حذفه.

(١) سورة الانفطار آية ١٧ ، ١٨ ، الاشموني حـ٣ ص ٨١.

وقد رد هذا الدماميني بأن العطف قد يحذف لفظا وتقديرا اذا صح الكلام بدونه كما في الأخبار المتعاطفة والصفات المتعاطفة ، وكما في أشكو بثي وحزني ، ان يصح حذف الواو فيصير الثاني توكيدا .(١)

ولي رأي في هذا ، وهو : أن الأخبار المتعاطفة والصفات المتعاطفة اذا حذف العاطف فان فيها اعرابات أخرى ، فقد تعرب على القطع ولذلك يجوز فيها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف أو أنها صفة ثانية أو ثالثة ... الخ .. للمتبوع الاول وليست تابعة للصفة التي قبلها ، وقد قال الدماميني : في "أشكو بثي وحزني" ان يصح حذف الواو فيصير الثاني توكيدا ، وبهذا ظهر لنا أنه اذا حذف الواو أصبح توكيدا وليس معطوفا عطف نسق ، وحتى في حالة الواو عندما يكون العطف بالواو ، فان هذا العطف للتفسير ان هو اي البث نفس الحزن ، وبناء العطف هنا لقصد التوكيد أي توكيد الحزن ، وكذلك كل عطف خاص على عام فانه للتوكيد ولبيان الاهتمام بالخاص لذكره مرة ثانية بعد أن ذكر في العام وهذا كما في قوله تعالى : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى " ولهذا يقول الكوفيون : ان الحرف (ثم) حرف عطف ، وأرى أنهم يقصدون أنها حرف عطف أفاد هذا العطف التوكيد قوة .

واذا كان تكرير ثم في الآيات السابقة ، للدلالة على ان الثاني (التوكيد) أبلغ من الاول كما سبق بيانه ، فكذلك الحال في قوله تعالى : انما اشكو بثي وحزني الى الله ، فانه لما أريد تأكيد الحزن المفهوم من البث عطف عليه لتفسيره وتأكيده اي تأكيد الحزن ، ويقتضي هذا التأكيد تأكيد اعراض سيدنا يعقوب عن الشكوى الى الخلق وجعلها لله وحده لا شريك .

---

(١) الأشموني جـ٣ ص١٠ .

وجاء في الكشاف: ومعنى (انما اشكو) أي لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم، انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي، وهذا معنى توليه عنهم أي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه... الخ [١]. وهذا العتاب الموله ليعقوب حينما شكا الى جاره ففي الآية تأكيد على ان اظهار الشكوى أو الحزن لا يكون من يعقوب عليه السلام الا الى الله وحده لا شريك له.

وما جاء في هذا في كلام العرب قول الشاعر:

ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ∴ ثلاث تحيات وإن لم تكلمي [٢]

فانما استشهد بهذا البيت على جواز تأكيد الجملة تأكيدا لفظيا كما يجوز تأكيدا لمفرد كذلك.

وجاء التأكيد بالجملة من غير فاصل بحرف العطف كما في قول الشاعر:

أيا من لست أقلاه ∴ ولا في البعد أنساه
لك الله على ذاك ∴ لك الله لك الله [٣]

فلك الله جملة اسمية أكدت باعادة لفظها.

وكذلك قول الشاعر: [٤]

قم قائما قم قائما قم قائما ∴ إنك لا ترجع الا سالما

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٣٣٦.
(٢) لم يعرف قائل هذا البيت.
(٣) انظر الدرر اللوامع جـ ٢ ص ١٦٠ ولم يعرف قائل هذا البيت.
(٤) لم يعثر على قائله.

توكيـــد الاســــم :

أما تأكيد الاسم ، فقد ورد في كلام العرب كثيرا ، وهذا كما في هـــذا البيت وهو لمسكين الدارمي :

أخاك أخاك ان من لا أخا له .:. كساع الى الهيجا بغير ســلاح

وقد استشهد بهذا البيت على وجوب اضمار الفعل اذا كرر المغرى بــــه فأخاك يلزم نصبه بتقدير الزم ، أخاك الثاني توكيد [١] وكذلك قول الشاعر [٢] :

لجديرون بالوفـاء اذا قـا .:. ل أخو النجدة السلاح الســلاح

وقد إستشهد بهذا البيت على أن المكرر قد يرفع ، وهذا البيت من شواهد العيني ، قال قوله : السلاح مقول القول ، الاستشهاد فيه اذ أصله خذ السلاح ، لأن مقول القول يكون جملة ثم رفع لأن العرب ترفع مافيه معنى التحذير ، وأن كان حقـــه النصب كما في قوله تعالى : ناقة الله وسقياها ، فنصب الناقة على التحذير وكـــل محذر فهو نصب ولو رفع على اضمار هذه ناقة الله لجاز [٣] .

وأيضا كما في القرآن الكريم : هيهات هيهات لما توعدون [٤] ومقتضى التأكيد بالتكرار هنا في هذه الآية ، هو أن السابقة خطاب من الكافرين للمؤمنين مؤكدين لهم أن ماوعدكم به محمد (صلى الله عليه وسلم) محال ، فناسب هنا تكرار (هيهات) للتأكيد مرة ثانية على أن ماوعدكم به محمد مستحيل وبعيد احتماله .

ومنها مجيء الضمير توكيدا لفظيا لا على أنه ضمير فصل ، وانما هو لمجـرد

---

(١) انظر الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع
(٢) لم يعثر على قائله .
(٣) انظر الدرر اللوامع ، ص ١٤٦ جـ١ ط ثانيــه
(٤) سورة المؤمنون آية ٣٦ .

التكرار اللفظي قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فهيهات همدان الذين هم هم .·. اذا ناب أمر جنتي وسهامي [١]

وكذلك الحال عند توكيد الضمير المنصوب المتصل بمنفصل منصوب .

توكيـــــد الفعـــــل :

وأما توكيد الفعل ، فلم يأت في القرآن [٢] ، ولهذا وقع خلاف في قـــول الشاعر [٣] :

فأين الى أين النجاء ببغلتي .·. أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

فقد استشهد الرضي بهذا البيت على أنه من تكرير المفردات ، قـــال البغدادي : "على أن المستقبل يجوز تكريره بلا فصل ، والظاهر أن المراد أنه مـــن تكرير المفردات لا الجمل ، وهو الظاهر أيضـــا من كلام ابن جني في اعراب الحماسة ، قال : أول البيت توكيد الاستفهام ، وفي الثاني توكيدا لخبر ، وفي آخره توكيد الأمـــر . وقال ابن الشجري في أماليه هذا البيت فيه تكرير ثلاث جمل ، أراد الى أين تذهب الى أين تذهب أتاك أتاك اللاحقون ، احبس احبس" [٤]

---

(١) همدان قبيلة من اليمن ، والجنة ما يتوقى به الانسان ، والمعنى : هم ترسي التي أتقي بها نفسي وسهامي التي أرمي بها عدوي .

(٢) انظر الاشموني جـ٣ ص٨٠

(٣) لا يعرف قائله . وأما قوله تعالى : ولكن أكثرهم لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة (سورة الروم آية ٦ ، ٧) فان يعلمون بدل من لا يعلمون ولهذا تكسر (ظاهرا) ليناسب النفي في المبدل منه . (انظر تفسير الزمخشري جـ٣ ص٢١٠ .

(٤) خزانة الادب جـ٢ ص٣٥٢ .

توكيد الحرف :

أما تأكيد الحرف فكقول الكميت :

فتلك ولاة السوء قد طال مكثهم ∴ فحتام حتام العناء المطول

فاستشهد بهذا البيت على أن حتى كررت للتأكيد اللفظي .

وكقول جميل :

لا لا أبوح بحب بثنة انها ∴ اخذت على مواثقا وعهودا

فلا الثانية توكيد للأولى (١).

شروط التوكيد اللفظي :

اذا كان المؤكد اسما ظاهرا أو فعلا أو ضميرا منفصلا منصوبا ، فتوكيده يكون بمجرد التكرار من غير شرط ، ويتبع الثاني الأول ، وكذلك ان كان حرفا جوابيا إلا أنه يجب في الأسماء الموصولة عند توكيدها توكيدا لفظيا اعادة لفظها وصلتها معه ، ولا يجوز تكرار الموصول وحده دون صلته .

وان كان ضميرا متصلا وصل بما وصل به المؤكد ، فيجب أن يعاد مع التوكيد اللفظي الذي يتصل بالمؤكد اسما كان أو فعلا أو حرفا . لأن اعادته مجردا تخرجه عن الاتصال الى الانفصال .

يقول ابن مالك :

ولا تعد لفظ ضمير متصل ∴ الا مع اللفظ الذي به وصل

وهذا كقول الشاعر :

ليتني ليتني توقرت ... أبصرت طرق الهوى وكنت منها

---

(١) هذا البيت من شواهد الرضي ، انظر الدرر اللوامع جـ ٢ ص ١٥٩ ط ثانيه

استشهد بهذا البيت على أن الحرف لاتساد فى التأكيد اختيارا الا مع ماد خلت عليه [١].

وأما ان كان حرفا ، فان كان غير جوابى فيجب أن يفصل بينهما أى بين المؤكد والتوكيد بفاصل ما ، وأن يعاد مع التوكيد ما اتصل بالمؤكد ان كان ضمرا (أى ما اتصل بالحرف المؤكد ضمرا) كقوله تعالى " أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون " [٢].

ويقول الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا أنكم مخرجون : ثنى (أنكم) للتوكيد ، وحسن ذلك لفصل مابين الأول والثانى بالظرف، ومخرجون خبر عن الأول [٣] . وأن يعاد هو أو ضميره ان كان ظاهرا .

ويجوز عود ضمير الظاهر مع الحرف كما فى قوله تعالى : " ففى رحمة الله هم فيها خالدون "ففى الثانية توكيد لفى الاولى وأعيد مع (فى) الثانية ضمير رحمة ولا يكون الجار والمجرور توكيدا للجار والمجرور، لان الضمير لا يؤكد الظاهر لأن الظاهر أقوى منه ولا يكون المجرور بدلا من المجرور باعادة الجار لان العرب لم تبدل ضمرا من مظهر. [٤]

وشذ اتصال الحرف كقول الشاعر : [٥]

ان ان الكريم يحلم مالـم ... يرين من أجاره قد ضيما

وأقل شذوذا قول الراجز خطام المجاشعى : [٦]

---

(١) لم يعثر على قائله انظر الدرر اللوامع جـ٢ ص ١٦٠ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٣٥ . (٣) الكشاف جـ٣ ص ٣٢

(٤) التصريح على التوضيح جـ٢ ص ١٢٩ ـ لكن علماء البيان يخرجون هذه الآية من دائرة التوكيد . يقول الزمخشرى فان قلت : كيف موقع (هم فيها خالدون) بعد قوله (ففى رحمة الله) قلت : موقع الاستئناف كأنه قيل : كيف تكونون فيها ؟؟ قيل : هم فيها خالدون لا يظعنون ولا يموتون . ـ الكشاف جـ١ ص ٤٥٤

(٥) لم يعثر على قائلـه

(٦) وقيل للأغلب العجلى

حتى تراها وكأن وكأن .. أعناقها مشددات بقرون

ولكن الأكثر شذوذا ما قاله بعض بنى أسد :

فلا والله لا يلفى لما بى .. ولا للما بهم أبدا دواء

حيث كررت اللام فى (للما) وهى حرف واحد وهو غاية الشذوذ .

الجمع بين فاعل نعم وتمييزه نوع من أنواع التكرار:

قال الزمخشرى فى المفصل (١) : وقد يجمع بين الفاعل الظاهر وبين المميز تأكيدا ، فيقال : نعم الرجل رجلا زيد .

قال جرير:

تزود مثل زاد أبيك فينا .. فنعم الزاد زاد أبيك زادا

فانه فى هذا البيت جمع بين فاعل نعم وتمييزه وهما واحد ، فهذا نوع من التكرار قصد به التأكيد .

وكذلك قول جرير:

والتغلبيون بئس الفحل فحلهم .. فحلا وأمهم زلاء منطيق

نعم الفتاة فتاة هند لو بذلت .. رد التحية نطقا أو بايماء

فانه جمع أيضا بين الفاعل وتمييزه فى البيت الأول فى قوله : بئس الفحل فحلهم .. فحلا ، وفى البيت الثانى نعم الفتاة فتاة هند .

ومنع ذلك سيبويه ، وحمله على ذلك أن التمييز فى أصله انما يؤتى به لدفع الابهام والابهام ، ولا ابهام مع كون الفاعل اسما ظاهرا ، فلا حاجة الى التمييز حينئذ .

---

(١) انظر شرح المفصل جـ ٧ ص ١٣٢ .

ولكن المبرد وأبا على الفارسى أجازا ذلك.

ورأى أن ذلك جائز للتأكيد ولتقوية الكلام ، فاذا كان التمييز يرفع اللبس والابهام ، فان هذا الرأى يقوى بذكر التمييز مع الفاعل الظاهر ، وكأن الفاعل كرر مرتين.

ولهذا فانى أعد مثل هذه الأبيات وهى التى ذكر فيها فاعل نعم وتمييزه نوعا من أنواع التكرار حيث كرر الفاعل والتمييز وهما بمعنى واحد ، الا أننا لا نعتبره توكيدا لفظيا ، ولكن التمييز أريد به تقوية الكلام وتأكيده لتقتضى ذلك الظروف المحيطة بالحديث.

ولا داعى لما ذهب اليه بعض النحاة من تأويل مثل هذه الابيات اما بجعل التمييز مصدرا مؤكدا أو مفعولا للفعل المذكور(١) لأن فيه تكلفا ، وقد أتى هذا فى كلام العرب وأشعارهم بيد أنه لم يأت مثله فى القرآن الكريم.

(١) انظر شرح المفصل جـ٧ ص١٣٣.

من أنواع التكرار (التوكيد اللفظي)

توكيد الضمير المتصل بالمنفصل المرفوع

للضمير مزايا مختلفة ، وأثر يطلب من أجله ، فهو يرفع اللبس في الكلام ويكنى به عن الظاهر ويحقق الاختصار.

فأما رفع اللبس فوجهه أنه نص في معناه ، لا يحتمل شيئا غيره ، لأنه ان يكن ضمير متكلم أو خطاب فصاحبه حاضر مشاهد ، وإن يكن ضمير غيبة فصاحبه مذكور في الأسلوب أو مفهوم منه على وجه من الوجوه وهو بذلك الحاضر المشاهد ، ولا كذلك الأسماء الظاهرة ، فالاشتراك بينها شائع ، واللبس فيها محتمل ، فقولنا مثلا : زيد يسير زيد ، قد يفهم منه أن زيدا اللاحق غير زيد السابق ، ولهذا احتاجت الأسماء الظاهرة إلى الوصف للتمييز بينها واستغنى الضمير عنه.

وأما كنايته عن الظاهر فوجهه أنه يخالفه ويغني عنه في الأسلوب كما يكنى عن الظاهر بالظاهر في مثل فلان كناية عن أعلام الانسان ، وهكذا (١).

وأما معاونته على الاختصار فوجهها أن المستتر منه لا يذكر في الكلام والمتصل لا يقوم بنفسه في النطق ، ولكنه يتصل بما قبله ، وينزل منزلة جزء من بنيته وبعضه على حرف وبعضه على حرفين.

وفوق كل ، فالضمير رابطة من الروابط التي تربط بين الجمل ، والروابط في اللغة العربية كثيرة ، منها : تكرار الاسم الظاهر في مثل قوله تعالى : "وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين" (٢) ، ربط الظاهر المكرر جملة الخبر بالمبتدأ ، وكما سبق في النوع الأول من التكرار.

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٣ ص ٨٤.

(٢) سورة الواقعة آية ٢٧.

وقد جاء مثل هذا في كلام العرب فقال عدى بن زيد :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء

نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

ربط (الموت) الثاني جملة الحال لصاحبه أو الخبر بمبتدئه ، فالضمير يشارك الظاهر في التكرار أي في التوكيد بالعموم والنفس ، ويختص الظاهر بالصفة التي هي تحلية عند النحاة بظاهر آخر مثله ، ولذلك يقول سيبويه : هذا باب ما تكون فيه أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم وهن وأنتن وهما وأنتما وأنتم وصفا . فيقول : اعلم أن هذه الحروف كلها تكون وصفا للمجرور والمرفوع والمنصوب المضمرين ، وذلك قولك : مررت بك أنت ورأيتك أنت ، وانطلقت أنت .

وليس وصفا بمنزلة الطويل ، اذا قلت : مررت بزيد الطويل ، ولكنه بمنزلة نفسه ، اذا قلت : مررت به نفسه ، وأتاني هو نفسه ، ورأيته هو نفسه ، وانما تريد بهن ما تريد بالنفس اذا قلت : مررت به هو هو ، ومررت به نفسه ، ولست تريد أن تحليه بصفة ولا قرابة كأخيك ، ولكن النحويين صار ذا عندهم صفة لأن حاله كحال الموصوف كما أن حال الطويل وأخيك في الصفة بمنزلة الموصوف في الاجراء ، لأنه يلحقهما كما يلحق الموصوف من الاعراب [1].

وقد فرق سيبويه أيضا بين الصفة والتوكيد فقال : الصفة تجيء بمنزلة الألف واللام ، كأنك اذا قلت : مررت بزيد أخيك فقد قلت : مررت بزيد الذي تعلم ، واذا قلت : مررت بزيد هذا فقد قلت بزيد الذي ترى أو الذي عندك .

واذا قلت : مررت بقومك كلهم ، فأنت لا تريد أن تقول مررت بقومك الذين

---

(١) انظر الكتاب ج٢ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، تحقيق عبد السلام هارون .

من صفتهم كذا وكذا ، ولا مررت بقومك المهنين (١) هـ. وأعنى بالضمير هنا الضمير المنفصل المرفوع ، وهو ما أعنيه فى بحثنا هذا.

وهذا الضمير، وإن كان لتأكيد الحكم لا التابع للمتبوع يعد تكريرا للضمير قبله ، ولو كان الضمير قبله فى صورة النصب وفى حالة ما إذا كان قبله ضمير نصب فإنه أى ضمير الفصل على سبيل الاستعارة له ، ولذا جعلت هذا الضمير نوعا من أنواع التكرار لا من باب التأكيد بالأداة ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله.

وعلى هذا : من التكرار للتوكيد توكيد الضمير المتصل بالمنفصل سواء كان الضمير المتصل ضميرا لرفع أم النصب أم الجر ، والتوكيد فى الكل لفظى بالمرادف.

يقول ابن مالك فى ألفيته (٢) :

ومضمر الرفع الذى قد انفصل ∴ أكد به كل ضمير اتصل

والتوكيد بالضمير لفظى بالمرادف ، وسكت المصنف عن توكيد المنفصل المرفوع أو المنصوب بمنفصل مرفوع ، وينبغى ألا يتوقف فى جواز الأول (توكيد المنفصل المرفوع بالمنفصل المرفوع) وفى منع الثانى (توكيد المنفصل المنصوب بالمنفصل المرفوع) أنه لا يجوز إياك أنت أكرمت ، وما أكرمت إلا إياك أنت (٣) هـ.

وذلك ، لأن الضمير المؤكد ضمير نصب منفصل ، ولا يجوز أن يكون التابع ضميرا مرفوعا ، فمتى انفصل الضمير المؤكد لزم أن يتبعه الضمير فى علامات الرفع أو النصب لأنه توكيد لفظى ، بخلاف الضمير المتصل المرفوع والمنصوب ، فإن توكيده

---

(١) انظر الكتاب جـ٢ ص ١٩٤ تحقيق عبد السلام هارون.
(٢) انظر الأشمونى حاشية الصبان جـ٣ ص ٧٢.
(٣) حاشية الصبان جـ٣ ص ٨٤.

بالضمير المرفوع المنفصل ، لأن الأصل في الضمير المنفصل الرفع كما سيأتي بيانه.

قال سيبويه (١) لو قلت: مررت بك أنت أو بإياك لم يجز ، لأن هذه علامات المنصوب والمرفوع ، فإن قال قائل: إذا جاز: مررت بك أنت ، ورأيتك أنت ، ونحوه ، وفي التنزيل: إنك أنت التواب الرحيم ، فجاز أن يشبه هذه العلامات التي تختص بالرفع المجرور ، كما فعل في قولك: مررت بك أنت ، ورأيتك أنت ، ونحو ذلك قيل: يجوز مررت بك أنت ، ورأيتك أنت ، فالقول في ذلك أنه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع نحو: يا زيد والحارث ، ومررت بهم أجمعين ، ويا زيد الطويل والطويل ، وقوله: علفتها تبنا وماء باردا (٢)

ومثل ذلك قوله تعالى: "إنه هو التواب الرحيم" (٣) ، "إنني أنا الله" (٤).

ويجوز هنا في (أنا) الأوجه الثلاثة: الفصل ، والابتداء ، والتوكيد.

أما في قوله تعالى: "إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا" (٥) ، فالتأكيد والفصل دون الابتداء لانتصاب قوله تعالى (أقل).

ويقول ابن هشام: يحتمل في قوله تعالى: "كنت أنت الرقيب عليهم" ونحو: إن كنا نحن الغالبين: الفصلية والتوكيد ، دون الابتداء لانتصاب ما بعده ، وفي نحو قوله تعالى: "وإنا لنحن الصافون" ، وزيد هو العالم ، وإن عمرا هو الفاضل: الفصلية ، والابتداء ، دون التأكيد ، لدخول اللام في الأولى (وإنا لنحن الصافون)

---

(١) الكتاب ج١ ص٣٧٧.
(٢) صدر بيت عجزه .. حتى شتت همالة عيناها ، البحر المحيط ج٥ ص ١٧٩
(٣) سورة البقرة آية ٣٧.
(٤) سورة طه آية ١٤.
(٥) سورة الكهف آية ٣٩.

ولكون ماقبله ظاهراً في الثانية والثالثة (زيد هو العالم ، وان عمرا هو الفاضل)[1] فلا يؤكد الظاهر بالضمير لأنه ضعيف والظاهر قوي ، ووهم أبوالبقاء فأجاز في (ان شانئك هو الأبتر) التوكيد ، وقد يريد أنه توكيد لضمير مستتر في شانئك لا لنفس شانئك[2].

مايشترط في التأكيد بالضمير المنفصل :

وعلى هذا فبالنسبة لضمير الرفع المنفصل المؤكد للضمير المتصل قبله ، والذي نعنيه هنا وهو التوكيد به على طريق التكرار ، يشترط له أن يكون ماقبله ضميرا[3] ، وألا تدخل عليه اللام ، لأنه توكيد فكيف تدخل لام التوكيد على توكيد ، وقد كره النحاة اجتماع توكيدين .

أما الضمائر التي تدخل عليها اللام أو يكون ماقبلها ظاهرا فهي ضمائر فصل يؤكد بها الجملة أي النسبة في الجملة كما يؤكد بان النسبة في الجملة الاسمية فهذه الضمائر ضمائر فصل الحديث عنها في باب التوكيد بالأداة .

سبب عدم توكيد المظهر بالضمير :

والعلة في عدم توكيد المظهر بالضمير ، هو أن الغرض من التوكيد الايضاح والبيان وازالة اللبس ، والضمير أخفى من الظاهر ، فلا يصلح أن يكون مبيناله ، هذا وان كان التوكيد كالصفة من جهة اشتراك الموصوف والمؤكد في الاعراب والتعريف وعرف تسمية التوكيد صفة عند سيبويه ، ومن شرط النعت الا يكون

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٢) المغني ج ٢ ص ١٠٦ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٩٠ طبعة عبد السلام هارون .

أعرف من المنعوت ، فاشترط ذلك في التوكيد أن يكون أعرف من المؤكد ، فالضمير أعرف من الظاهر ، فلذلك لا يجوز توكيد الظاهر بالضمير وإن كان يجوز أن يكون الضمير بدلا من المظهر ، ولكنه ليس بمنزلته في أن يكون وصفا له ، وأما المضمر فيؤكد بالمظهر ومثله من المضمرات أيضا .(١)

توكيد المضمر بالظاهر :

فأما تأكيد المضمر بالظاهر فبالنفس والعين وكل وأجمع وتوابعهما ، وذلك لأن الظاهر أعرف من المضمر ، فيصلح أن يكون توكيدا له .

فإن قيل : كيف يوصف المضمر بالظاهر وهو أعرف من المظهر ، فالجواب : أن المضمر لا يوصف بما يعرفه ، وإنما يوصف بما يؤكد عمومه أو يؤكد عينه ونفسه (٢).

شرط حسن توكيد المضمر المرفوع بالنفس أو بالعين :

ولكن لا يخلو المضمر من أن يكون مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ، فإذا أكدت المضمر المرفوع بالنفس والعين لم يحسن حتى تؤكده أولا بالضمير ثم تأتي بالنفس والعين فتقول : قمت أنت نفسك ، ولو قلت : قمت نفسك أو عينك لكان ضعيفا غير حسن ، لأن النفس والعين يليان العوامل أي : أن العوامل تعمل فيهما لا بحكم التبعية بل يكونان فاعلين ومفعولين ومضافين ، وذلك أنهما ليتمكنا في التأكيد بل الغالب عليهما الاسمية ، فتقول : طابت نفسه وصحت عينه ، فلما لم يكن التأكيد فيهما ظاهرا لم يحسن تأكيد المضمر المرفوع بهما ، لأنه يصير لعدم ظهور التأكيد فيهما

(١) انظر كتاب سيبويه جـ٢ ص٣٨٦

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٣٨٥ .

كالنعت وعطف البيان ، فقبح لذلك كما قبح العطف عليه من غير تأكيد بخلاف كل ، فإن التأكيد غالب عليها لما فيها من معنى الاحاطة والعموم ، فكانت مشابهة لأجمعين فلذلك جاز تأكيد الضمير المرفوع بهما من غير تقدم تأكيد آخر بضمير مثل قوله تعالى : "ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن"(١). وقرئ في الشواذ (كلهن) بالنصب توكيدا للضمير في (آتيتهن)(٢).

أما التأكيد بالنفس أو بالعين من غير تقدم تأكيد آخر فإنهما أقبح لما في كثير من الأحوال ، فلو قلنا : هند خرجت نفسها ، لم يعلم أرفعت نفسها بالفعل وأخليت الفعل من الضمير أم جعلت في الفعل ضميرا لهند ، وأكدته بالنفس ، فإذا قلنا : هند خرجت هي نفسها حسن من غير قبح ، لأنه لما جيء بالضمير المنفصل علم أن الفعل غير خال من الضمير ، لأنه لا يخلو إما أن يكون هو الفاعل أو تأكيدا ، فلا يجوز أن يكون فاعلا ، لأنه لا يؤتى بالمنفصل مع القدرة على المتصل ، فلا تقول : ضرب أنا لأنك قادر على أن تقول : ضربت ، وإذا لم يجز أن يكون فاعلا تعين أن يكون تأكيدا ، وإذا كان في الفعل ضمير مؤكد بالضمير المنفصل أمن اللبس ، وجاز توكيده بالنفس أو بالعين .(٣)

أما بالنسبة لضمير النصب أو الجر ، فإنه لا لبس فيه إذا لم يؤكد أولا بالضمير فهل التأكيد بالنفس أو بالعين ، وإذا أكد فإنه أبلغ هذا بالنسبة لتأكيد الضمير بالتأكيد .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥١ ، انظر شرح المفصل جـ٣ ص٤٢ .
(٢) الكشاف جـ٣ ص٢٤٣ .
(٣) انظر شرح المفصل جـ٣ ص٤٢ .

<u>علة اشتراط الضمير المؤكد في صيغة المرفوع عند تأكيد المتصل:</u>

أما توكيد المضمر بمثله من المضمرات، فتوكيد الضمير المرفوع أو المنصوب أو المجرور بلفظ واحد، وهو ضمير المرفوع، وذلك لأن أصل الضمير أن يكون على صيغة واحدة في الرفع والنصب والجر كما كانت الأسماء الظاهرة على صيغة واحدة والإعراب في آخرها يبين أحوالها، وكذلك الأسماء المبهمة على صيغة واحدة وعواملها تدل على إعرابها ومواضعها، وأصل الضمير هو المنفصل المرفوع، لأن أحواله الابتداء، وعامل الابتداء معنوي، فإذا أضمر فلا بد أن يكون ضميره منفصلا، والمنصوب والمجرور عاملهما لا يكون إلا لفظا، فإذا أضمر اتصلا به فصار المرفوع مختصا بالانفصال، فإذا أكد المضمر لتحقيق الفعل له دون من يقوم مقامه احتجنا إلى ضمير منفصل، وأصل الضمير المنفصل هو المرفوع، ولم يكن للمجرور ضمير منفصل وكان المجرور والمنصوب المتصل أو المنفصل من واد واحد نحملا عليه، واشتراط كون هذا الضمير في صيغة المرفوع لابد منه، لأنه ضرب من التأكيد، والتأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل كما في الآية "اسكن أنت وزوجك الجنة" ولذلك وجب أن يكون الضمير هو الأول في المعنى، ولهذا المعنى يسميه سيبويه وصفا كما يسمى التوكيد المعنوي(١).

فأما البيت الذي من قصيدة جرير بن الخطفى (٢):

وكائن بالأباطح من صديق ** يراني لو أصبت هو المصابا

ففي توجيهه ثلاثة وجوه:

---

(١) انظر شرح المفصل جـ ٣ ص ١١٠.

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ١١١.

الاول : أن الضمير فصل بين المضاف المقدر وهو مصاب ومن الظاهر وهو قوله المصابا أي يرى مصابي هو المصابا ، وعلى هذا فالمصاب مصدر ميمي .

الثاني : أن يكون الضمير تأكيدا للضمير المستتر الذي هو فاعل يراني والمعنى على هذا : يراني هو المصابا أي : انه لما بيننا من الصداقة والألفة يراني المصابا ، وليس كالعدو الذي لا يعنيه شأني ولا يهتم بأمري.

الثالث : أن يكون الضمير فصلا للياء في يراني ظاهر ذلك من الاختلاف بين مسماهما اذ أصل وضع الياء للمتكلم وهو للغائب ، ولكنه لما كان عند صديقه بمنزلة نفسه حتى كان اذا أصيب كان صديقه قد أصيب ، عبر عن صديقه بضمير نفسه ، لأنه نفسه في المعنى فكأن الياء هنا ليست مستعملة في ضمير المتكلم حتى يلزم من ذلك الاختلاف المحظور ولكنها مستعملة في ضمير الغائب فاتفق معها ضمير الفصل (١).

واذا كان الضمير المؤكد هو الأول في المعنى ، فلم ينزل النحاة في نحو : ضربتك إياك بدل ، وضربتك أنت توكيد ؟ إن المعنيين الأول والثاني واحد وهو تكرير الاول بمعناه فيجب أن يكون كلاهما توكيدا ، لاتحاد المعنيين ، والفرق بين البدل والتوكيد معنوي (٢).

والواقع أن الضمير في : ضربتك إياك أعرب بدلا ، لأن البدل على نية تكرار العامل ، فلما لم يذكر العامل انفصل ضميره ولذلك أعرب بدلا ولم يعرب توكيدا بخلاف المثال : ضربتك أنت فانه توكيد ، لاتصاله .

---

(١) انظر المغني جـ٢ ص١٠٥ .

(٢) انظر شرح الكافية ص٣٣٢ .

<u>التأكيد بالمنفصل المرفوع عند العطف :</u>

ما سبق تبين لنا أن تأكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس أو بالعين يلزم تأكيده أولا بالضمير المنفصل للعلة السابقة ، وكذلك يجب تأكيده بالضمير المرفوع المنفصل عند العطف ، لأن المتصل المرفوع كالجزء مما اتصل به لفظا من حيث انه متصل لا يجوز انفصاله كما جاز في الظاهر والضمير المنفصل ، ومعنى من حيث انه فاعل ، والفاعل كالجزء من الفعل ، فلو عطف عليه بلا تأكيد كان كما لو عطف على بعض حروف كلمة ، فأكد أولا بمنفصل ، لانه بذلك يظهر أن ذلك المتصل منفصل من حيث الحقيقة ، بدليل جواز افراده مما اتصل به بتأكيد ، فيحصل له نوع استقلال ، ولا يجوز أن يكون العطف على هذا التأكيد الظاهر ، لأن المعطوف في حكم المعطوف عليه ، فكان يلزم اذن أن يكون هذا المعطوف أيضا تأكيدا للمتصل وهو محال فان كان الضمير منفصلا نحو : ما ضرب الا أنت وزيد لم يكن كالجزء لفظا وكذا ان كان متصلا منصوبا نحو : ضربتك وزيدا ، لم يكن كالجزء معنى .

<u>رأي البصريين :</u>

التوكيد بالمنفصل هو الأولى ويجوزون العطف بلا تأكيد ولا فصل لكن على قبح لا أنهم حظروه أصلا ، بحيث لا يجوز أن يرتكب .

<u>رأي الكوفيين :</u>

الكوفيون يجوزون العطف المذكور بلا تأكيد بالمنفصل ولا فصل من غير استقباح (1).

ورأيي مع البصريين ، لأنه يرفع اللبس وقد جرى القرآن الكريم على الفصل

---

(1) انظر الكافية جـ1 ص 320 .

عند العطف إما بالضمير كما في قوله تعالى: "اسكن أنت وزوجك الجنة" أو بفاصل آخر كما في قوله تعالى: "فأجمعوا أمركم وشركاءكم" (١).

وجاء في كتاب سيبويه: وأما ما يقبح أن يشركه المظهر فهو المضمر المرفوع، وذلك قولك: فعلت وعبد الله، وأفعل وعبد الله.

وزعم الخليل أن هذا إنما قبح من قبل أن هذا الإضمار يبنى عليه الفعل، فاستقبحوا أن يشرك المظهر مضمرا يغير الفعل عن حاله إذا بعد منه.

وإنما حسنت شركته المنصوب لأنه لا يغير الفعل فيه عن حاله التي كان عليها قبل أن يضمر، فأشبه المظهر وصار منفصلا عندهم بمنزلة المظهر، إذ كان الفعل لا يتغير عن حاله قبل أن يضمر فيه.

وأما فعلت فإنهم قد غيروه عن حاله في الإظهار، أسكنوا فيه اللام، فكرهوا أن يشرك المظهر مضمرا يبنى له الفعل غير بنائه في الإظهار حتى صار كأنه شيء في كلمة لا يفارقها كألف أعطيت.

فإن نعته حسن أن يشركه المظهر، وذلك قولك: ذهبت أنت وزيد، وقال الله عز وجل: "اذهب أنت وربك فقاتلا" (٢)، "واسكن أنت وزوجك الجنة" (٣) وذلك أنك لما وصفته حسن الكلام حيث طولته وأكدته، كما قال: قد علمت أن لا تقول ذلك، فإن أخرجت لا قبح (الرفع) فأنت وأخواتها تقوي المضمر وتصير عوضا من السكون والتغيير ومن ترك العلامة في مثل (ضرب) وقال الله عز وجل: "لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا" حسن لمكان (لا) وقد يجوز في الشعر (٤).

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٧١.
(٢) سورة المائدة آية رقم ٢٤.
(٣) سورة البقرة آية رقم ٣٥ ، سورة الأعراف آية رقم ١٩.
(٤) انظر الكتاب جـ٢ ص ٣٧٨ـ٣٧٩ طبعة عبد السلام هارون.

قال الشاعر (جرير) :

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ... ما لم يكن وأب له لينالا (١)

وقال ابن أبي ربيعة :

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ... كنعاج الفلا تعسفن رملا (٢)

وقد يجوز تأكيد الضمير المجرور بالنفس أو بالعين بدون إعادة الجار، أما في العطف فلا بد من إعادة الجار عند العطف (٣).

علة وجوب إعادة الخافض إذا عطف على المجرور :

إنما لزم ذلك، لأن اتصال الضمير المجرور بجاره أشد من اتصال الفاعل المتصل، لأن الفاعل إن لم يكن ضميرا متصلا جاز انفصاله والمجرور لا ينفصل عن جاره سواء كان ضميرا أو ظاهرا، فكره العطف عليه أن يكون كالعطف على بعض حروف الكلمة، ومن ثم لم يجز إذا عطفت الظاهر على المجرور إلا بإعادة الجار وأيضا تقديره مررت به وزيد، وليس للمجرور ضمير منفصل حتى يؤكد به أولا، فلم يبق إلا إعادة العامل الأول. أما قوله تعالى : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، وهو ما استدل بها الكوفيون على جواز ترك الإعادة فقيل إن العائد مقدر وجوده أو نصب على حذف حرف الجر.

---

(١) انظر الأشموني جـ٣ ص ١١٤، والشاهد في وأب حيث عطفه على الضمير المستكن في يكن من غير توكيد ولا فصل.

(٢) الشاهد في وزهر حيث عطف على الضمير المستتر في أقبلت من غير توكيد ولا فصل وهذا هو مذهب الكوفيين وأجيب بأن الواو ليست متعينة للعطف لأنها تصلح للحال وقيل شاذ، وقيل مثل هذا في بيت جرير السابق انظر الأشموني جـ٣ ص ١١٤.

(٣) انظر كتاب سيبويه جـ٢ ص ٣٨١ طبعة عبد السلام هارون.

وبعد عرض هذه القواعد الخاصة بتوكيد الضمير والتى اضطررت الى عرضها قبل أن أعرض لأسلوب التوكيد بالضمير والحاجة اليه فى القرآن الكريم وأساليب العرب رغبة منى فى بيان أحوال الضمير ـ أعرض هذا الملخص :

الضمير اما أن يكون متصلا أو منفصلا ، فالضمير المتصل توكيده بالمنفصل وان أريد اعادة لفظ المتصل فلابد من اعادة ما اتصل به ، أما المنفصل المنصوب فتوكيده بمثله منصوبا والمرفوع فمثله مرفوعا ، الا أنه لم يأت فى القرآن الكريم تركيد منفصل بمنفصل مرفوعا أو منصوبا ، أما قوله تعالى فى سورة الفاتحة "اياك نعبد واياك نستعين" ، فليس (اياك) الثانية توكيدا للاولى بل هى جملة مستقلة عن الأولى .

ولنبدأ فى بيان أسلوب توكيد الضمير المتصل بالضمير المرفوع ، فكما سبق أن بينت أن التوكيد لاماطة الشبهات وازالة الشك ، فاذا كان الامر عاديا وثابتا فلا حاجة الى التوكيد ، اما اذا كان غير عادى وما يشك فيه فالافضل حينئذ أن يؤتى بالتوكيد لتقريره وتثبيته وهذا كما فى قوله تعالى :"قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين" (١)

فموسى عليه السلام لم يكن يدرى برغبة السحرة فى أن يلقوا قبله حيث انهم لم يصرحوا بذلك ، فلما أرادوا ذلك أكدوا هذا بالضمير المنفصل (نحن) ، فدل هذا على أنهم يريدون الالقاء قبله .

ولذلك جاء فى تفسير الكشاف : (واما أن نكون نحن الملقين) فيه ما يدل على رغبتهم فى أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر

(١) سورة الاعراف آية ١١٥ .

وانحسام النصل ، وقد سوغ لهم موسى ماتراجعوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاتهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (١)

وعلى هذا لم يأت الضمير مؤكدا في سورة طه في قوله تعالى : " قالوا ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (طه) وذلك لأن سرد القصة في هذه السورة لتصوير خوف موسى ، وثقة السحرة بالغلبة على موسى ، ولذلك لم يؤكدوا ارادتهم ورغبتهم في البداية على عكس ماكان في آية سورة الاعراف فانهما صورة ازدراء موسى للسحرة وثقته بالنصر ، ولذلك جاءت الآية بالضمير المؤكد ونجد في آخر الآيات من سورة طه مايبين ذلك كقوله تعالى : " قلنا لاتخف انك انت الأعلى فهذا ما يدل على خوف موسى ، ولكن أكد الضمير المتصل في قوله (انك) بالمنفصل في قوله (أنت الأعلى) لتأكيد أنت ياموسى الغالب والمنتصر عليهم ، فجاء في تفسير الكشاف (انك أنت الأعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وكلمة التشديد وتكرير الضمير ولام التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل (٢).

وهكذا لايؤتى بالتوكيد حيث لاحاجة اليه وذلك بأن يكون المقصود من الكلام واضحا ومعلوما وثابتا ، فاذا أكد الكلام والحال هكذا فان في هذا زيادة في الوضوح والبيان ، ولذلك ورد بعض أواخر الفواصل بالتوكيد وبعضها لم يؤكد الكلام فيها بالضمير.

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ١٠٣ تحقيق محمد الصادق قمحاوي

(٢) الكشاف جـ٢ ص ٥٤٤

وذلك مثل قوله تعالى : " قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير (1)

وذلك لأن العلم بأن الله على كل شىء قدير لايحتاج الى تأكيد بضميره فهو أمر ثابت ومعلوم .

بخلاف آيات أخرى وردت فى القرآن الكريم فانها أكدت بتوكيد الضمير وذلك قوله تعالى : " انه هو التواب الرحيم (2) فالمقام هنا فى هذه الآية اغواء ابليس لآدم وحواء ، وعصيانه لربه بالأكل من الشجرة التى أمرهما الله بعدم الاقتراب منها ، ثم تاب آدم ، فجاءت الآية مؤكدة بأن ، بالضمير لإعلام بأن الله وحده هو التواب قابل التوبة وهو الرحيم .

فلما كان من عصيان آدم لربه بمثابة الشك أكدت الآية بهذا الأسلوب .

وكذلك فى قوله تعالى : " انك أنت العليم الحكيم " (3) أكد بالضمير لأن المقام نزل منزلة الشك فيه وعدم العلم به ، وذلك لأن المولى جل جلاله لما وجه سؤاله الى الملائكة بأن ينبئوه بالأسماء ، كان هذا بمنزلة من يشك فى معرفة هذه الأسماء فجاء الرد جل جلاله الخطاب بالتأكيد على أنه وحده هو العليم الحكيم .

(1) سورة آل عمران آية ٢٦
(2) سورة البقرة آية ٣٧
(3) سورة البقرة آية ٣٢

وربما التبس انفصل بالتأكيد والبدل فى مواضع ، والذى يفصل بينهما أمور.

أما الفرق بين الفصل والتأكيد فانه اذا كان المؤكد ضميرا فلا يؤكد به الا ضميرا ، والفصل ليس كذلك بل يقع بين الظاهر والضمير فاذا قلنا : كان زيد هو القائم لم يكن (هو) ههنا الا فصلا لوقوعه بعد ظاهر ولو قلنا : كنت أنت القائم ، كما فى الآية : كنت أنت الرقيب عليهم . جاز أن يكون فصلا ههنا وتأكيدا ، وبين الفصل بينهما أننا اذا جعلنا الضمير تأكيدا فهو باق على اسميته ويحكم على موضعه باعراب ما قبله ، وليس كذلك اذا كان فصلا .

وأما الفرق بين الفصل والبدل فان البدل تابع للمبدل منه فى اعرابه كالتأكيد ، الا أن الفرق بينهما أننا اذا أبدلنا من منصوب أتينا بضمير المنصوب فتقول : ظننتك اياك خيرا من زيد ، وحسبته اياه خيرا من عمرو، واذا أكدت أو فصلت لا يكون الا بضمير المرفوع . (١)

ومن الفرق بين الثلاثة : أن اللام التى للتأكيد تدخل على الفصل ، ولا تدخل على التأكيد والبدل فتقول فى الفصل كما فى الآية " وانا لنحن الصافون " ولا يجوز ذلك فى التأكيد والبدل ، لأن اللام تفصل بين التأكيد والمؤكد ، والبدل والمبدل منه ، وهما من تمام الأول فى البيان .(٢)

---

(١) انظر الأشمونى جـ٣ ص ٨٤ حاشية الصبان

(٢) شرح المفصل صفحات ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، المضمرات جـ٣

فائـــدة الفصـــل :

وكن أسلوب به ضمير الفصل لايخلو من فائدة ،ولذلك ورد في القرآن كثيرا والفائدة الدائرة في كل مقام يأتي فيه هذا الضمير هي فائدة معنوية ،وهي الاختصاص وبهذا قال البلاغيون . وذكر الزمخشري في تفسير " أولئك هم المفلحون فقال : فائدته على أن الوارد بعده خبر لاصفة ، والتوكيد ، وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ،وهذه الفائدة الأخيرة هي الاختصاص.

وسيأتي الحديث عن ضمير الفصل في باب مؤكدات الجمل الاسمية

وكما أن ضمير الفصل يؤتى بـه في الكلام لتقوية معنى مراد في الكلام ، وهو التوكيد أو الاختصاص ، اذ الاختصاص يراد بـه اثبات معنى لشئ دون غيره وهو تأكيد أيضا ، أو لأمر لفظي وهو فصل مابعده عما قبله لازالة لبس كونه نعتا لما قبله ، كذلك يأتي لامكان العطف على الضمير المتصل بمنع اللبس ،وهذا هو الضمير المؤكد للضمير المستتر وقد جاء في القرآن الكريم ،كما في قوله تعالى : " اسكن أنت وزوجك الجنة " . (١) عطف (زوجك) على الضمير المستتر في (اسكن) بعد تأكيده بالضمير (أنت) وهذا كما في قوله تعالى : " فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون " (٢) ،وقوله تعالى : " سميتموها أنتم وآباؤكم " (٣) ففي هذه الايات الضمير أي ضمير الفصل جاء مؤكدا للضمير المرفوع .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥
(٢) سورة المائدة آية ٢٤
(٣) سورة الاعراف آية ٧١

وقد ناب في القرآن الكريم عن ضمير الفصل للتأكيد كلمات غير الضمير لمكان العطف ، وهذا كما في قوله تعالى : " فأجمعوا أمركم وشركاءكم " (١) (شركاءكم) بالرفع معطوف على الضمير في (أجمعوا) وفصل بينهما بالمفعول به دون الضمير .

ومن ذلك " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك " (٢) عطف على الضمير في " استقم " بعد الفصل بغير الضمير حيث قام مقامه (كما أمرت) وقد يجوز أن يكون موضع النصب مفعولا معه ، وحينئذ فلا عطف ولا تأكيد .

ويجوز أن تقول : ان ضمير الفصل يؤتى به لأمر معنوي وهو التأكيد ولأمر لفظي وهو فصل ما بعده عما قبله لإزالة لبس كونه نعتا لما قبله . (٣)

فإذا قيل : اذا كان الغرض منه ازالة اللبس فقد جاء فيما لا لبس فيه نحو قوله تعالى : " وكنا نحن الوارثين " (٤) .

وقوله " ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا " (٥) ولا لبس في ذلك لأن المضمرات لا توصف .

والجواب عن هذا : أن هذا هو الأصل ، أن لا يقع الفصل الا بعد الاسم الظاهر ما يوصف فلما ثبت هذا الحكم للظاهر أجرى المضمر مجراه ، وان كانت المضمرات لا تنعت اذ كان أصله المبتدأ والخبر (٦)

---

(١) سورة المائدة آية ٧١
(٢) سورة هود آية ١١٢
(٣) انظر الصفحة السابقة .
(٤) سورة القصص آية ٥٨
(٥) سورة الكهف آية ٣٩
(٦) انظر شرح المفصل جـ٣ ص ١١١

القسم الثاني من التوكيد (التابع)

التوكيد المعنوي

سبق أن قلت : ان الغرض من التكرار رفع توهم الخطأ والنسيان ، لتمكين المعنى المراد في نفس السامع بتقرير أمر الشيء عن طريق التكرار .

يقول ابن يعيش : "اذا قلت جاء زيد ، ربما توهم من السامع غفلة عن اسم المخبر عنه أو ذهابا عن مراده ، فيحمله على المجاز فيزال ذلك الوهم بتكرير الاسم ، فيقال جاءني زيد زيد ."(١) فانه يقصد بقوله (فيحمل على المجاز) التجوز والمبالغة ، وذلك : حينما نقول : جاء زيد فان كان المعلوم والأمر الثابت أن مجيئا قد حدث ولكن الشك في كون هذا المجيء من زيد ، فربما يكون من نائبه فان التوكيد هنا في هذه لابد أن يكون بالنفس لا بالتكرار ، وذلك لرفع مجاز الحذف فربما يتوهم جاء نائب زيد ، أما اذا كان الشك في المجيء نفسه ولا يصدق أحد زيدا قد جاء لتعذر مجيئه لسبب ما فان التكرار هنا للتوكيد رافع التجوز في الفعل نفسه المسند الى زيد(٢)

أما التوكيد المعنوي فانه بألفاظ محصورة ، عبر عنها النحاة بأنها ألفاظ التوكيد المعنوي ، وكونها ألفاظا للتوكيد ، لأنها ترفع توهم المجاز مع التوكيد بالنفس أو بالعين ، فيؤكد بهما مايثبت حقيقة المؤكد ، وترفع توهم عدم ارادة الاحاطة والشمول مع التوكيد بـ (كل واجمع وتوابعهما) فلا يؤكد بها الا مايتبعض ومتجزأ ، بخلاف

(١) شرح المفصل جـ٣ ص ٤٦ .
(٢) انظر ص

النفس والعين شرطا لاثبات حقيقة الشــــيء .

أما كونها معنوية فلأنها في الحقيقــة هي ذات الكلمة التي قبلها فــي المعنى ، ولو لم يكن في تركيبها (نفس أو عين) فعندما نقول : جاء زيد زيــــد فتكرر زيد لنقصد أن الــذي جاء هو زيــد لرفع توهم الخطأ أو السهو أو النسيــــان ، أما اذا قلنا : جاء زيد نفسه : فاننا نقصد أن الذي جاء هو زيــد لا نائبا عنــــه فهذا لرفع توهم المجاز بالحذف .

ومن ثم نعلم أن الفرق بين ألفاظ التوكيد المعنوي : النفس والعين وبين التكرار هو أن التكرار لرفع الخطأ والنسيان أو التجوز ، فهو لمجرد التوكيد أي لمجـــرد تقوية المعنى المراد من الكلام .

لذلك أطلق عليها النحاة في باب التوكيد التابع ألفاظ التوكيد المعنـوي وجعلوه قسما آخر من أقســام التوكيد ، فقالوا : ان التوكيد أي التابع : قسمـــان لفظي وهو التكرار ومعنوي : وهو : التأكيد بالنفس أو بالعين ، وكذلك كل واجمـــع وتوابعهما ؟ وكانت هذه التسمية مناسبة هنا اذ أنها نفس الكلمة المؤكدة بها فـي المعنى لا في اللفظ ، وهذا واضح مع التوكيد بالنفس أو بالعين . أما ألفاظ الاحاطـــة والشمول فان الشيوع يدل عليها ضمنا ، ويؤكد بها لرفع توهم عدم ارادة الاحاطة والشمول ، فاذا قلنا مثلا : جاء القوم ، توهم السامع أنه ربما جاء بعض القوم ، وعندما نريد افادة السامع المعنى الذي نريده ، وهو أن القوم لم يتأخر منهم أحـد ، قلنا جاء القوم كلهم ، فلفظ (كل) رفع هذا التوهم ودل عليه الأول ضمنا .

التوكيد بالنفس والعين

ذكر في القرآن الكريم لفظ نفس مائتين وستا وتسعين مرة ، ولفظ عين ستا وستين مرة ، ولم يأتيا توكيدا في جميعها ، وانما باشرتها العوامل . (١)

وقيل : انه قرئ (عليكم أنفسكم) (٢) برفع أنفسكم على أنه توكيد للضمير المستتر في عليكم . وقال ابن هشام : الصواب أن أنفسكم مبتدأ على حذف مضاف ، وعليكم خبر أي عليكم شأن أنفسكم (٣)

وتختص ألفاظ التوكيد بالنفس والعين عن بقية ألفاظ التوكيد المعنوي بجواز جرهما بالباء الزائدة لزيادة التأكيد ويجب اتصالهما بضمير مطابق للمؤكد في الافراد والتذكير وفروعهما ، وذلك للربط بين التابع والمتبوع ، ولا يجوز حذفه ولا تقديره ، لفوات الربط اللازم بين التابع والمتبوع ، ويطابقان المفرد .

أما المثنى والجمع فيأتيان على أفعل جمع قلة ولا يجوز جمعه جمع كثرة على فعول ، حملا للجمع على المثنى في الجمع على القلة ، والمعتاد الاكثر أن التوكيد بهما في جمع القلة فيحمل القليل على الشائع الأكثر ، وحمل الشئ على الشئ في حكم لشبه معروف ، ويعمل به في كثير من أبواب النحو ، وهذا هو الرأي الراجح عندي ، الا أن بعض النحاة أجازوا جمع نفس وعين على فعول والراجح عندي هو ما ذكرته .

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ص ٧١٠

(٢) سورة المائدة آية ١٠٥

(٣) انظر حاشية الصبان على الأشموني ج٣ ص ٧٩

وأما بالنسبة للمثنى ، فيقول بدر الدين بن مالك : فالجمع هو المختار ويجوز فيه أيضا الافراد والتثنية ، ويقول أبوحيان : ووهم في ذلك اذ لم يقل أحد من النحويين به .

يقول الأشموني :

فيما قاله أبوحيان نظر فقد قال ابن اياز في شرح الفصول ، ولو قلت : قطعت رأس الكبشين لجاز ، فقد صرح بجواز التثنية ، وقد صرح النحاة بأن كل مثنى في المعنى مضاف الى متضمنه يجوز فيه الجمع والافراد والتثنية والمختار الجمع نحو : فقد صغت قلوبكما ويترجح الافراد على التثنية عند الناظم وعند غيره بالعكس وكلاهما مسموع كقوله : حمامة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغوادي مطيرها ١ . هـ

الحاجة الى التوكيد بالنفس أو بالعين

ولما كان التوكيد بالنفس والعين لرفع توهم المجاز ، واظهار المعنى المراد للسامع ، كانت الحاجة اليه مستحسنة عند توهم هذا المجاز .

وقد يكون غير مستحسن بل قبيحا ، وذلك عند العطف على المتصل مستترا كان أو بارزا ، ولذلك أوجب النحاة عند العطف على الضمير المتصل ، الفصل لتأكيد بالضمير ، ولم يجيزوا ذلك بالنفس فتقول : قمت أنت وزيد ، ولم يجيزوا قمت نفسي وزيد . (١)

العلة فى ذلك

وذلك ، لأن النفس ـ كما تقدم ـ اسم متصرف الاسمية غالبة عليه لفرعيته فتدخل عليه العوامل فيقع اللبس فى بعض المواضع ، بخلاف الضمير (أنت) ولذلك أجازوا ذلك فى نحو : قمتم أجمعون وزيد ولم يجيزوا : قمتم أنفسكم وزيد لعدم اللبس لغلبة التأكيد على لفظ أجمعين فلم يجر مجرى أجمعين لذلك لم يحسن أن تحمله على الضمير حتى تؤكد ، وأيضا لأن المرفوع المتصل بمنزلة الجزء ، فكرهوا أن يؤكد أولا بمستقل من غير جنسه فتأكد أولا بمستقل من جنسه ومعناه وهو الضمير المنفصل المرفوع فيكون تمهيدا لتأكيده بالمستقل من غير جنسه ، وهو النفس والعين اللذان هما من الأسماء الظاهرة ، أما اذا كان المؤكد اسما ظاهرا أو ضمير رفع منفصلا أو نصب مطلقا فلا يشترط هذا الشرط لفقد العلة المقتضية له

---

(١) إنظر كتاب سيبويه ج١ ص ٣٧٩ .

اذ الظاهر مستقل ، والمضمر ليس كالمتصل لاستقلاله بنفسه والمنصوب ليس كالمرفوع في شدة الاتصال .

فلو قلنا : مررت بك نفسك جاز تأكيد كاف الخطاب بالنفس ، ولم يجب التأكيد بالضمير أولا بل جائز ويكون أبلغ وأقوى ، لأنك كأنك قلت : مررت بنفسك ولم تذكر المؤكد ، ولأن المتصل المجرور ليس في قوة اتصال الضمير المرفوع كما تقدم .

أما لو قلنا : جاءوني أنفسهم فلا يجوز ، لأن الضمير المتصل في غاية الضعف ، وهنا النفس أقوى من الضمير فلا يكون تابعا له فاذا انفصل الضمير جاز أن تكون النفس تابعا له بمنزلة الأسماء الأجنبية بخلاف المتصل اذ ليس بعده منزلة أخرى .

درجات القبح

ثم ان تأكيد المضمر من غير تقدم تأكيد بمضمر منفصل قبيح ، وهو مع ذلك جائز مع قبحه كما تقدم شرحه في توكيد الضمير بالضمير .

والتأكيد بالنفس مع بعض المضمرات أقبح ، فقولنا : زيد جاء نفسه ، أقبح من قولنا : جئت نفسي ، لأنه في المثال الأول ربما أوقع لبسا ، وقولنا : قمت نفسي أقبح من قولنا : قمنا أنفسنا ، لأن في هذه الحالة الضمير بارز ، وهو على حرفين كالأسماء الظاهرة نحو : يد ، أب ، وفي الحالة الأولى على حرف واحد فكان بعيدا من التمكن .

وأما الضمير المنصوب والمجرور ، فيجوز تأكيدهما بالنفس أو بالعين وان لم يتقدمهما تأكيد ، لأنه لا لبس فيهما ، وليسا من الفعل كالجزء منه كما كان ضمير الفاعل .

وهذا التفصيل بين الضمير المرفوع المتصل ، وبين الضمير المنصوب والمجرور خاص بالنفس والعين .(١)

أما في التأكيد بغيرها من ألفاظ التوكيد المعنوي ألفاظ الاحاطة والشمول فلا تفصيل بل يجوز التأكيد بغير الفصل بالضمير فلذلك تقول : قوموا كلكم فتؤكد الضمير المستكن من غير تقدم تأكيد بمضمر ، وذلك لعدم اللبس لغلبة التأكيد على كل فكانت كأجمعين (٢)

ولذلك نجد ألفاظ التوكيد لا يلي العامل شيء منها وهو على حاله في التوكيد إلا جميعا وعامة مطلقا فانهما يفيدان معنى التوكيد ، أى افادة التنمية ورفع الاحتمال وذلك لغلبة معنى التأكيد عليهما ، وإلا كلا وكلا وكلتا مع الابتداء بكثرة ومع غيره بقلة فالأول نحو : القوم كلهم قائم ، والرجلان كلاهما قائم ، والمرأتان كلتاهما قائمتان والثاني : كقوله :

يميد اذا مادت عليه دلاؤهم
فيصدر عنه كلها وهو ناهل اهـ (١)

---

(١) انظر شرح المفصل جـ٣ ص ٤٤

(٢) انظر شرح المفصل جـ٣ ص ٤٣ ، وكتاب سيبويه جـ٢ ص ٣٧٩ــ٣٨٠

(٣) انظر الأشموني حاشية الصبان جـ٣ ص ٨٤ــ٨٥

اعراب توكيد اسم ان وأخواتها بعد ذكر الخبر

توكيد اسم ان بعد ذكر الخبر ، يجوز فيه النصب والرفع ، والنصب احسن لأنه على ظاهر لفظ اسم ان ، ويجوز فيه الرفع اذا حمل على الضمير في خبر ان ، فاذا قلنا : ان زيدا فيها وان زيدا يقول ذلك ، ثم قلنا ، نفسه يجوز أن نقول (نفسه) بالنصب ، (نفسه) بالرفع على أنه توكيد للضمير في الخبر ، وقد جرى القرآن الكريم على هذا فقال تعالى : " ان الله برئ من المشركين ورسوله " فعطف (رسوله) على محل (ان واسمها) لأن التقدير : الله برئ من المشركين .. (١)

اعراب توكيد المنادى

توكيد المنادى بالنفس لايجوز فيه الا النصب لأنه بمنزلة الصفة المضافة وكذلك كل ، لأنها تستعمل مضافة ، أما أجمعون فيجوز فيها الرفع والنصب ، الرفع على اللفظ أى أنها في حكم المفرد والنصب على أنها في حكم المضاف مثل كل وجميع لأنها بمعناها (٢)

مايجب مراعاته في خبر (كل) مضافة

ويلزم اعتبار المعنى في خبر (كل) مضافا الى نكرة ومعناه بحسب مايضاف اليه فيجب مطابقة الخبر للنكرة المضاف اليها (كل) كما في قوله تعالى : " كل نفس ذائقة الموت" (٣) . وجاء في المغنى : واعلم أن لفظ كل حكمه الافراد والتذكير ، وأن معناها

---

(١) انظر كتاب سيبويه جـ٢ ص ١٤٤ـ١٤٥ـ١٤٦ تحقيق عبد السلام هارون

(٢) انظر كتاب سيبوية جـ٢ ص ١٨٤

(٣) سورة الانبياء آية ٣١

بحسب ماتضاف اليه فان كانت مضافة الى مذكر وجب مراعاة معناهـ
فلذلك جاء الضمير مفردا مذكرا في نحو: وكل شيء فعلوه في الزبر ، وكل انسـ
الزمناه طائره في عنقه ، ومفردا مؤنثا في قوله :كل نفس بما كسبت رهينة ، كل نفـ
ذائقة الموت (١) وان كان الخبر من جملة أخرى لم يلزم اعتبار المعنى ، وهذا كـ
قوله تعالى : " وحفظا من كل شيطان مارد لايسمعون الى الملأ الأعلى " (٢)
وأيضا في قوله تعالى : " وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٣) وذلك ، لا
(لايسمعون) ، (يأتين) استئنافا وأوجب ابن هشام الجمع في الكل المجموعـ
نحو : أعطاني كل رجل فأغنوني ، اذا كان حصول الغنى من المجموع لا من كـ
واحد . (٤) .

وجمع الأمرين قوله تعالى : " ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلـ
فأفرد أولا وجمع ثانيا لدلالة كل نفس على متعدد

ولا يلزم مراعاة المعنى ان أضيف الى معرفة فتجوز مراعاة لفظ كل فـ

---

(١) [illegible] المغني جا ص ١٦ [illegible]
(٢) سورة الصافات آية ٢٧
(٣) سورة الحج آية ٢٢
(٤) أنظر حاشية الصبان ج٢ ص ٨٥
(٥) سورة الزمر آية ٧٠

بالتذكير ومراعاة معناه ، كما في قوله تعالى : " وكلهم آتيه يوم القيامة فردا " .(١) هذا كله اذا ذكر المضاف اليه ، أما اذا لم يذكر ، فالذي مهده ابن هشام أنه ان كان المقدر مفردا نكرة ، وجب الافراد ، وان كان جمعا معرفة وجب الجمع وان كانت المعرفة لو صرح بها لم يجب الجمع تنبيها على حال المحذوف كما في قوله تعالى : " قل كل يعمل على شاكلته " (٢) وكل كانوا ظالمين " .(٣)

(أوجه اعراب كل)

لاعراب كل ستة أوجه :

الوجه الأول :

أن تكون تابعة للعوامل ولو كانت معنوية ، فتكون مضافة الى الظاهر ، لاستغراق أفراد المنكر نحو : كل نفس ذائقة الموت " (٤) ، وهي هنا لاستغراق أفراد المنكر ، وغير مضافة نحو : وكلا ضربنا له الأمثال ، فنجد هنا أن لفظ (كل) في هذه الآية لم يأت توكيدا تابعا مؤكدا ، ولكنه أفاد معنى التوكيد الذي يفيد رفع توهم عدم ارادة الشمول لأنه أفاد استغراق أفراد جنس الكلمة بعده وهي " نفس " ولأن العامل معنوي وهو الابتداء في الآية الأولى ، وفي الثانية أشبهت المبتدأ بتقدمها كما في قوله تعالى : " وكلهم آتيه يوم القيامة فردا " (٥)

---

(١) سورة مريم آية ٩٥
(٢) سورة الاسراء آية ٨٤
(٣) سورة الانفال آية ٥٤
(٤) سورة آل عمران آية ١٥٨
(٥) سورة مريم آية ٩٥

وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه "(١) وتستغرق أجزاء الفرد اذا أضيفت الى معرفة/وجاء في حاشية الأمير على المغنى : قيل : ان هذا أغلبي وقد تعم جزئياته نحو : كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل وحديث : كل الطلاق واقع الاطلاق المعتوه . وقيل : أل جنسية فيرجع في المعنى للمنكر (٢)

وفي الحاشية جاء أنه لاحاجة لتقدير كل (٣) والمذكوره لعموم القلوب لاضافتها الى منكر أي أن كل فرد من أفراد القلب المضاف لمنكر وليس قلب متكبر بمنزلة (رغيف زيد) لأن زيدا معرفة موضوع لمعين فالمضاف اليه كذلك ومتكبر مقول على أفراد محتمل لها فقلب المضاف كذلك فكل تستغرق ما احتمله . (٤)

وجاء في الكشاف (ويجوز أن يكون على حذف المضاف اى على كل ذى — قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب . (٥)

ولهذا قرئ (قلب) بغير تنوين في الآية : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . (٦) على تقدير اضافة (كل) المقدرة بعدها فيعم أفراد القلوب وأجزاء القلب . (٧)

---

(١) سورة الاسراء آية ١٣

(٢) حاشية الامير جـ١ ص ١٦٤

(٣) أي في قوله تعالى : " كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر " .

(٤) حاشية الامير ص ١٦٤ جـ١

(٥) الكشاف جـ٣ ص ٤٢٧

(٦) سورة غافر آية ٣٥

(٧) انظر المغنى جـ١ ص ١٦٤ وحواشيه .

الوجـــه الثاني :

أن تكون نعتا [1] ، فتدل على كمال الموصوف وتكون مؤولة بالمشتــق

---

(1) كل اذا كانت بمعنى كامل تعرب نعتا لا توكيدا ، ولكن لا يجوز قطعهــا الى الرفع أو النصب مع كونها صفة ، لأن القطع يجوز في الصفة ، وعلة ذلـك أنها كالتوكيد ، ولا يجوز القطع في التوكيد ، بخلاف الصفة والبدل .

وقال سيبويه في كتابه في باب ما ينتصب فيه الاسم ، لأنه لا سبيل له الى أن يكون صفة : سألت الخليل رحمه الله عن : مررت بزيد وأتاني أخـوه أنفسهما ، فقال : الرفع على : هما صاحبان أنفسهما والنصب على أعنيهما أنفسهما " (الكتاب ج٢ ص٦ طبعة عبد السلام هارون) أما مع الصفة ، فانه يجوز فيها القطع على تقدير مبتدأ ، أو النصب على تقدير فعـــــل . (انظر الكتاب ج٢ ص٥٧) ، أما التوكيد فانه لا يجوز معه القطع حتى مع (كـل) عندما تأتي صفة ، لأنها كالتوكيد ، ولكونها من ألفاظ التوكيـد المعنوي المحصورة ، الا أن النحاة اعترضوا على الخليل وسيبويه ، لأنـه يترتب عليه حذف المؤكد وهنا التوكيد والحذف مناف للتوكيــــد (الأشموني حاشية الصبان ص٨٤ ، المغني ج٢ ص١٦٨) وأرى أن الصواب هو رأي سيبويه والخليل ، وذلك لأنه لا يمكن جمع صفات أسماء قـد اختلف اعرابهـا واختلف عاملها في لفظ واحد محمول على اعراب الأول أو الثاني ، عند ذلك نضطر الى القطع مع الصفة .

أما مع التوكيد ، فاننا نضطر الى تقدير المؤكد للضرورة ، ولأن التوكيد لا يجوز قطعه الى الرفع على أنه خبر لمبتدأ أو الى النصب على أنه مفعول به لفعل محذوف كما يحدث مع الصفه ولأن هذا مع بعـض ألفاظ التوكيد يوقع اللبس في الكلام مثل : النفس والعين ، تدخل عليها العوامل ، ولا تكون على حالها في التوكيد ، وقد جاء التوكيد لرفع اللبس فحمل الكل على البعض لذلك كان لزاما من تقدير المؤكد ولو أن التوكيد ينافي الحذف

أي بالكامل . نحن ثم وقعت نعتاً . ووجب اضافتها الى اسم ظاهر يماثل المنعوت لفظا ومعنى نحو قول الأشهب :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا أم خالد

الوجه الثالث :

أن تكون توكيد لمعرفة أو نكرة عند الكوفيين . لأنهم لم يشترطوا موافقة التوكيد للمؤكد تعريفا وتنكيرا .(١) وفائدتها في ذلك : العموم . وتجب في هذه الحال اضافتها الى اسم مضمر راجع الى المؤكد نحو : "فسجد الملائكة كلهم أجمعون" (٢). قال ابن مالك . وقد يخلف الضمير الظاهر . كقول عمر بن أبي ربيعة :

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم
يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

وخالفه أبو حيان وزعم أن (كل) في البيت نعت مؤول بالمشتق بمعنى الكامل وليست توكيدا (٣). والصحيح أن كل في البيت توكيد . لأنها جاءت للعموم والتي للنعت تدل على الكمال .

ومع هذا فانه اتضح لنا أن (كل) اذا أضيفت الى الظاهر أو الى ضمير محذوف . فحكمها أن يعمل فيها جميع العوامل . ومن هذا نيابتها عن المصدر في نحو قوله تعالى : "فلا تميلوا كل الميل" (٤) وقوله تعالى : "وكلا

---

(١) المغني جا ص١٦٥
(٢) سورة الحجر آية ٣٠
(٣) المغني جا ص١٦٥
(٤) سورة النساء آية ١٢٩

ضربنا له الأمثال ، وكلا تبرنا تتبيرا »(١).

وخلاصة ما سبق أن ألفاظ التوكيد المعنوى وهى : النفس والعين، وكل، وجميع وعامة ، وأجمع وأجمعون وتوابعها ، جمعاء وجمع، وكلا وكلتا كلها قد تستعمل غير توكيد (تابع) ماعدا أجمع وأجمعون وجمعاء وجمع فلا تستعمل الا توكيدا ، فلا تجىء مبتدأ ولا فاعلا ، بخلاف غيرها من ألفاظ التوكيد المعنوى واذا استعملت مضافة اضافة ظاهرة ، فيؤكد بها لكن بشرط جرها بباء زائدة تجرها بخلاف نفسه وعينه ، فانهما تلحقهما الباء لزيادة التوكيد ، وتسقط هذه الباء عند عدم ارادة زيادة التوكيد .

وتستعمل جميع وعامة فاعلا ومبتدأ ومفعولا ولا يخرجان من معنى التوكيد على رأى سيبويه فى عامة ، ويأتيان غير مضافين ويعربان حالا .

أما كل فتستعمل مبتدأ بكثرة ومع غيره بقلة .

وكلا وكلتا يستعملان غير توكيد ، ويخرجان من افادة التوكيد اذا كانا تابعين لما ليس بتأكيد ، كقوله تعالى : " اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف "(٢) ، لأن (كلاهما) هنا معطوفة على الفاعل والمعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه .

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٩ .

(٢) سورة

شروط عامة لألفاظ الاحاطة والشمـول

يجب أن تكون ألفاظ الاحاطة معرفة ، ولأنها معارف لايجوز أن تؤكد نكرة ، وهذا هو مذهب البصريين وذلك لأن كل واحد من ألفاظ التوكيد المعنوى معرفة فلا يجوز أن يجرى على النكرة تأكيدا .

أما الكوفيون فقالوا : انه يجوز ، واستدلوا على جوازه بقول الشاعر (١)

لكنـه شاقـه أن قيل ذا رجـب
ياليت عدة حول كلـه رجـب

فالشاهد فى هذا البيت جواز توكيد النكرة حيث جر (كل) على التوكيد لحـول ، وهو نكرة وهذا شاذ فى رأى البصريين الذين يشترطون اتحاد التوكيد والمؤكد فى التعريف ، وقد تابع بعض المحققين رأى الكوفيين اذا ما افاد توكيد النكرة .

واستدلوا أيضا بقول الشاعـر (٢)

---

(١) لم يعرف قائله .
(٢) لم يعرف قائله .

اذا القعود كر فيها حفدوا

يوماً جديدا كله مطردا

فأكد يوما وهو نكرة بـ (كله) ، واستدلوا أيضا بقول الآخر :

قد صرت البكرة يوما أجمعا

وما استدلوا به من هذه الأبيات لاحجة فيه أما قول الشاعر :

ياليت عدة حول كله رجب

فالرواية : " ياليت عدة حولي كله رجبا " وهو معرفة لانكره و (رجبا) منصوب .

وأما قول الآخر : يوما جديدا كله مطردا .

فيحتمل أن يكون تأكيدا للضمير في جديد ، والمضمرات لاتكون الا معارف .
وكان هذا أولى لأنه أقرب اليه من اليوم .

فعلى هذا يكون الانشاد بالرفع . وأما قول الآخر : قد صرت البكرة يوما أجمعا " فلا حجة فيه ، ثم لوصحت هذه الأبيات على مارووه فلا يجوز الاحتجاج بها لقلتها وشذوذها في بابها والشاذ لايحتج به ، ثم انه لايقع في القرآن الكريم توكيد النكرة بها وانما يجب أن يكون المؤكد معرفة ، لأن الغرض من التوكيد ازالة اللبس ، وألفاظه معارف والنكرة تدل على الابهام والشيوع فهما متنافيان تعريفا وتنكيرا .

لماذا يجوز توكيد النكرة توكيدا لفظيا ، ولايجوز توكيدها توكيدا معنويا ؟
لأن التوكيد المعنوى لتمكين معنى الأول (المؤكد) وتقرير حقيقته ، وتقرير مالم يثبت

في النفس مجاز ، فاذا قيل : جاء زيد نفسه ، جيء بالمعنوي (نفسه) لرفع المجاز بالحذف ، أي لرفع توهم أن الذي جاء نائبه فالتوكيد المعنوي هنا قرر حقيقة المؤكد وهو (زيد) ورفع عنه المجاز ، أما التوكيد اللفظي فهو أمر راجع الى اللفظ وتمكينه في ذهن المخاطب خوفا من توهم الغلط من جهة السامع أو المتكلم فاللفظ هو المقصود في التأكيد اللفظي ولهذا جرى التوكيد اللفظي في جميع الأسماء والحروف والأفعال والجمل .

أما التوكيد المعنوي فانما المراد منه الحقيقة ولذلك أعيد المعنى في غير ذلك اللفظ ، ومن جهة أخرى أن الألفاظ التي يؤكد بها في المعنى معارف فلا تتبع النكرات ، لأن التوكيد كالصفة في الايضاح والبيان .

أما الحكم على أنها معارف فهذا واضح في الألفاظ التي تضاف الى الضمائر ، وهي :

نفس وعين ، كلا ، كلتا ، وكل وجميع وعامة .

أما أجمع وأجمعون وتوابعهما ، فالرأي الراجح على أنها معارف ، لأنها في معنى المضاف الى الضمير لأننا اذا قلنا : جاء الطلاب أجمع ، في تقدير جميعهم ، هذا وان جمع (أجمع) بالواو والنون عوض عن الضمير المقدر فصارت الكلمة بذلك الجمع يراد بها المضاف والمضاف اليه ولهذا لم تجر هذه الألفاظ على نكرة (1)

---

(1) انظر شرح المفصل لابن يعيش ج٣ ص ٤٥ .

شرط التوكيد التابع بألفاظ الاحاطة

يقول ابن مالك :

وكل اذكر في الشمول وكلا ... وكلتا جميعا بالضمير موصلا ... اهـ

فلا يؤكد بهن الا ماله أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه لرفع احتمال تقدير بعض مضاف الى متبوعهن في نسبة الحكم اليه أو لرفع احتمال ارادة البعض من لفظ الكل مجازا مرسلا أومجازا عقليا . (١)

وذلك لأنها تدل على الشمول والاحاطة ، واذا جاء بالنص متعددا .

ولكن سياق الجملة يشير الى أنه له أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه فانه في هذه الحال يصح التوكيد بكل للدلالة على الاحاطه والشمول ، وان كان المؤكد غير متعدد ، وذلك مثل : القمر كله ولفي فالقمر وان كان ليس متعددا الا أنه له أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه ولذلك جاز تأكيده بكل . (٢).

كما يجب اتصال هذه الألفاظ بضمير المؤكد ليحصل الربط بين التابع والمتبوع ويجب أن يطابق هذا الضمير المؤكد في الافراد والتذكير وفروعهما ، وهذا كله اذا جرت على المؤكد ، فلا يرد قوله سبحانه وتعالى : وكل في فلك يسبحون . (٣) لعدم اتصال كل بالضمير ، ولم تجر على المؤكد .

ولهذا جرى خلاف بين العلماء حول (كل) عندما تقطع عن الاضافة . فأجاز

---

(١) انظر الاشموني جـ٣ ص ٧٥ حاشية الصبان

(٢) انظر الاشموني حاشية الصبان جـ٣ ص ٧٥

(٣) سورة يس آية ٤٠

ذلك الفراء والزمخشري تمسكا بقراءة بعضهم : " انا كلا فيها " فقطعت كل عن الاضافة ، وأعربها توكيدا للضمير (نـا) في (انا) ، ولكن بعض العلماء الذين اشترطوا شرط الاضافة الى الضمير السابق لمؤكد ، ومنهم ابن مالك خرج الآية على أن (كلا) حال من ضمير الظرف .

ورأي آخر ، وهو أن (كـلا) بدل من الضمير (نا) وهذا أرجح عندي لأن البدل : هو التابع المقصود بالحكم ، والمقصود في الآية شمولهم واحاطتهم ولهذا جاز ابدال الظاهر من الضمير ، لأن البدل هنا مفيد للاحاطة والشمول ثم ان البدل هو للايضاح والبيان أيضا ، و (كل) هنا أوضحت وبينت وعين مقصودة بالحكم ، وهذا رسما يتفق مع الرأي القائل بأنها توكيد على تقدير مضاف كلاهما للايضاح والبيان فعلى أنها توكيد بتقدير المضاف مثل : كل في فلك يسبحون " وكل أتوه داخرين . وكلا هدينا ، وكلا ضربنا له الأمثال .

أما اعراب (كـلا) حالا فهو ضعيف لأمرين :

الأول : تقديم الحال على عاملها .

الثاني : أن المشهور في كل أنها ألفاظ معرفة ، وقطعها عن الاضافة لفظا وتقديرا المشهور نكره فيه تكلف .

هذا بالاضافة الى ان (كل) في الآية بدل أوضح للمعنى المقصود في الآية ، وهو الاحاطة والشمول لكل اشياء أجزاء الجملة في الآية ، وهذا أقوى في أداء المعنى المراد .

أما الثاني فهي مكملة ، وليست مقصودة بالحكم ، ويمكن الاستغناء عنها لأنها مجيئة لهيئة ما قبلها وتب القدس ، وليس هذا هو المقصود وانما المراد في الآية والمقصود : الكل فيها ؛ وكان (كل) : هنا لمبتدأ أو اسم (لأن) اذ هي جزء الجملة عليه يتوقف أداء المعنى .

ولذلك تقديم (كل) في الآية (كذ تقديمها) أفضل من تأخيرها فلأنها أولا : على تقدير مضاف اليه ، وثانيا : كونها مقدمه نزلت منزلة ما لا يباشره العامل اللفظي فأشبهت المؤكدة من حيث ان التقديم في اللفظ لا في التقدير حيث ان المؤكدة لم يباشرها العامل - كما قرئ (كل) بالرفع في قوله تعالى : " ان الأمر كله لله " ، وهذا لأن العامل هنا الابتداء وهو معنوي وليس لفظيا ، فكانت كالمؤكدة ، وهذا أقوى من قراءة النصب ، لأنه سيترتب عليه جعل خبر ان جملة (كله لله) المبتدأ فيها مفيد للاحاطة والشمول ويستفاد من المعنى أن القصد من هذه الآية هو الاخبار بأن كل شيء بيد الله ، وهو المراد اخباره في (كل) وان كانت في حالة الرفع ليست توكيدا تابعا ، فلأن اعرابها مبتدأ أقوى في افادة المعنى المراد من اعرابها توكيدا ، لأن التوكيد بها لرفع توهم المجاز بالحذف ، وهو حذف كلمة (بعض) مضافة الى الأمر ، الا أن اعرابها مبتدأ والابتداء عامل معنوي مفيد لهذا المعنى وجعله هو المقصود أصلا من أول الكلام ولم يؤت بكلمة (كل) لرفع توهم عدم الاحاطة فقط ، وانما جيء بها أيضا أول ذي بدء للدلالة على أن المعنى المقصود اخباره بهذا الأمر هو أن كل شيء بيد الله وحده ، بخلاف ما اذا كانت (كل) تالية لعامل لفظي ، فانها لا تفيد هذا المعنى ، ولكن العامل هنا معنوي فقد شابهت المؤكدة في الأصل ، ومن هنا جاء معنى التوكيد

بالاضافة الى أنها أفادت هذا المعنى أ سـ ز دون استعمالها توكيـــدا لذ مر فى الآيـة •

فالتوكيد فى هذه الآية فى حالة الرفع من جهتين :

<u>الأولـى :</u>

لفظ (كل) المفيد للإحاطة والشمول ، وقد أفاد التوكيد ، لأنها لم تـــل العوامل اللفظية بخلاف العامل المعنوى • و هو الابتداء •

<u>الثانيـــة :</u>

أفادت التوكيد عن طريق الاسناد اليها د ون استعمالها تابعة لمتبـــوع موكدة ، ومن هنا جاءت قوة التأكيد • (١)

ولهذا جاء فى القرآن الكريم (فأخرجنا به من كل الثمرات) (٢) •
(كل) مضافة الى ما فيه أل التى للجنس فحسنت اضافتها • ولم يقل القرآن الكريم (فأخرجنا به من الثمرات كلها) ولو أن المعنى واحد ، ويستوى الأمران فى افادة (كل) الاحاطة والشمول ، الا أن استعمال (كل) مضافة الى ما فيه أل التى للجنس دون استعمالها موكدة للثمرات ومضافة الى ضميرها فيه حكمة ، وذلك لأن من فى الآيـة لبيان الجنس لا للتبعيض ، والمجرور بها فى موضع المفعول به • لا فـــى موضع الظرف ، والمراد : الثمرات أغصها ، وأدخل من لبيان الجنس كله • فلـــو

---

(١) وقرأ ابو عمر (كله) بالرفع على انه مبتدأ او توكيد لاسم ان مراعاة للمحل (معانى القرآن ١-٢٤٣ ، البحر ٣ : ٨٧ كتاب سيبويه
(٢) سورة الاعراف آية ٥٧

قال : أخرجنا به من الثمرات كلها ، لقيل : أى شيء أخرج منها ، وتوهم أن المجرور في موضع الظرف ، وأن مفعول أخرجنا فيما بعد ، فإذا قدمت (كل) ذهب هذا التوهم ، لأن (كل) إذا تقدمت اقتضت الاحاطة بالجنس وإذا تأخرت اقتضت بالمؤكد بتمامه جنسا شائعا كان أو معهودا ، وكذلك الحال في الآية : «ثم كلى من كل الثمرات» (١) فلو قال ثم كلى من الثمرات كلها لأوهم أنها للعهد المذكور قبله فكان الابتداء بكل أحضر للمعنى وأجمع للجنس وأرفع للبس • (٢)

ومما سبق يتبين لنا أن جميعا في قوله تعالى « خلق لكم ما في الأرض جميعا » (٣) ليس توكيدا ، لاشتراط اتصال ألفاظ التوكيد بضمير يطابق المؤكد فلو كان توكيدا لقيل (جميعه) ، إلا أن بعض النحاة أعربوا جميعا توكيدا لـ (ما) الموصولة الواقعة مفعولا لـ (خلق) •

ولكن هذا لا يجوز لوجهين :

الأول : هو ما ذكروه أنه يجب اتصال لفظ التوكيد بضمير المؤكد ، ومطابق له أى : للمؤكد في الافراد والتذكير وفروعهما •

الثاني : من جهة المعنى : أنه لو جعلنا جميعا توكيد او التوكيد لرفع توهم المجاز (المجاز بالحذف) وحيث انه لا يوجد هذا التوهم للسامع ، لأن (لكم) معناها الاخبار ، والاخبار يكون بشيء موجود فعلا فكيف يتوهم

---

(١) سورة النحل آية ٦٩

(٢) انظر نتائج الفكر في علم النحو للسهيلي ٢٢

(٣) سورة البقرة آية ٢٩

من السامع هذا المجاز فيتوهم أن الله خلق بعض مافي الأرض ، وليس هذا مقصودا من لفظ (جميعا) ولكن المعنى : أن الله سبحانه وتعالى قدر في علمه خلق مافي الأرض مجتمعا ، فجميعا هنا بمعنى (مجتمعا) وعلى هذا فهي حال وليست توكيدا ، وأضيف الى هذا أن التوكيد بجميع غريب لأنها تأتي بمعنى مجتمع كما في الآية ، وهو ضد متفرق فلا تفيد توكيدا ، وهذا مثل قول الشاعر :

نهيتك عن هذا وأنت جميع [1]

فهي حال أريد بها معنى الجمع ويؤكد [2] بأجمع بعد (كل) مثل قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون .. اذا أريد تقوية التأكيد لمقتضى مراد في الكلام ، فيتبع (كله) بأجمع ، وكلها بجمعاء ، وكلهم بأجمعين ، وكلهن بجمع ، وجمع هذه تعتبر ملحقة بألفاظ التوكيد المتقدمة ، ولهذا يتعين في الفصيح أن تسبقها لفظة (كل) وأن تكون مطابقة لها ، وقد يؤكد بهذه الألفاظ وان لم يتقدم (كل) نحو : لأغوينهم أجمعين .

أجمع بمعنى كل بدون زيادة في المعنى

قيل : ان في أجمع فائدة ليست في كل ، وذلك اذا قلت : جاءني القوم كلهم ، جاز أن يكونوا مجتمعين ومفترقين ، فاذا قلت : أجمعون ، صار حال القوم الاجتماع لاغير . والصواب أن معناهما واحد فيهما بمثابة التكرار اللفظي بالمرادف

---

(١) انظر التوضيح جـ٣ ص ١٥٢

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ مجمع اللغة العربية

جئ بـ (أجمعون) في الآية : "فسجد الملائكة كلهم أجمعون" (1)،
وذلك لأن المقام مقام توبيخ ابليس ، والتسجيل عليه بأنه عاص وحده دون الملائكة
كلهم فتأكد هذا المعنى بتقوية التأكيد بعد كل بـ (أجمعون) .

ولذلك لم يأت التوكيد بهما (بكل وأجمعون) في الآيتين (ولأغوينهم
أجمعين) (2) و (ان جهنم لموعدهم أجمعين) (3) لأن المقام لا يستدعي تقوية
التأكيد بأكثر من تأكيد واحد مع مراد ابليس أنه سيغويهم جميعا الا عباد الله
المخلصين ، وهؤلاء الغاوون لهم جهنم دون ارادة الاشارة الى معنى آخر
كما في آية (٣٠) سورة الحجر في قوله تعالى : "فسجد الملائكة كلهم أجمعون"
فالمراد التشهير بابليس والسخرية منه والتسجيل عليه بأنه عاص واستكبر على المولى
جل جلاله .. ولو كان في (أجمع) زيادة فائدة لم تكن تأكيدا ، لأن التأكيد
تمكين معنى الأول (المؤكد) وهذا مثل قولنا : ضربنا ضربا ، فالمصدر هنا تأكيد
للفعل ، لأنه دل على معناه بدون زيادة معنى .

أما قولنا : ضربت ضربا شديدا ، لم يكن تأكيدا فلو أريد بأجمع معنى
الاجتماع لأعرب حالا ووجب نصبها (4).

توابع أجمع والترتيب بين ألفاظ التوكيد المعنوي

---

(١) سورة الحجر آية ٣٠
(٢) سورة الحجر آية ٣٩
(٣) سورة الحجر آية ٤٣
(٤) انظر شرح المفصل جـ٣ ص ٤١

ومنه أجمع أكتع أبصع تابع لأكتع ، وروى عن العرب أجمع أبصع وجمع كتع وجمع بصع ، يقدمون أجمع ثم يتبعونها ما شاءوا من هذه التوابع .

الألفاظ المحصورة

أما ألفاظ التوكيد المعنوي المحصورة فانها اذا اجتمعت تأتي مرتبة وتقدم نفسه وعينه ، لأنهما أشد تمكنا في الاسمية لشبههما ثم تأتي (كل) متقدمة على أجمع لأن (كل) تكون تأكيدا وغير تأكيد ، وأجمع لاتكون الا تأكيدا .

ولايجوز الفصل بين ألفاظ التوكيد المعنوي بحرف العطف ، لأن التوكيد تابع لما قبله ، ولايصح فصل التوكيد عن التابع المؤكد لأنه كالجزء الواحد بخلاف التوكيد اللفظي .

هل عامة من ألفاظ التوكيد ؟

الخلاف حولها :

اختلف المبرد وسيبويه حول (عامة) ، فقال سيبويه : انها من ألفاظ التوكيد مثل (كل) قال : " وأما كلهم وجميعهم وأجمعون وعامتهم وأنفسهم فلا يكون أبدا الا صفة " (١) .

أما المبرد فقال : انها بمعنى أكثرهم على أنها بدل بعض من الكل عكس التوكيد لأن بدل البعض تخصيص والتوكيد تعميم ، فى الاصل أن المبرد خالف سيبويه ، فزعم أن عامتهم بمعنى أكثرهم فعنده تكون من بدل البعض عكس معنى التوكيد فانه تخصيص والتوكيد تعميم (٢) .

ولم أجد من حسم الخلاف بين هذين الامامين ، بل انحصر كلام المتأخرين فى توجيه قول ابن مالك :

واستعملوا أيضا ككل فاعلة ... من عم فى التوكيد مثل النافلة

على بمعنى ابن مالك أن (عامة) زائدة على ألفاظ التوكيد كالنافلة ، أو بمعنى ان التاء فى (عامة) زائدة لازمة مع المذكر والمؤنث كما هى زائدة فى (النافلة) .

هذا منتهى كلامهم .

بيد أنى قرأت فى الحديث الذى رواه مسلم والنسائى فى كتاب الزكاة :

" ... فجاء قوم عراة حفاة متقلدى السيوف عامتهم من مضر ، بل كلهم مضر " فرجحت عندى مقالة المبرّد . يقول السندى فى شرحه للنسائى (٣) : " عامتهم مضر : أى غالبهم من مضر " . ويبدو أن هذا هو سرّ انصراف جمهور النحاة عن ذكر (عامة) فى ألفاظ التوكيد .

---

(١) كتاب سيبويه جـ١ ص٣٧٧ . (ويقصد بقوله : صفة : التوكيد) .
(٢) شرح التصريح على التوضيح جـ٢ ص١٢٤ طبعة الحلبى .
(٣) النسائى ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة ٥/٧٥ .

تقديم النفي على ألفاظ الإحاطة

جاء في حاشية الصبان [1] " إعلم أن كلا وشبهها في إفادة شمول كل فرد إن كانت داخلة في حيز النفي بأن أخرت عن أداته لفظا نحو: ماكل مايتمنى المرء يدركه، أو رتبة نحو: كل الدراهم لم آخذ، والدراهم كلها لم آخذها توجه النفي إلى الشمول خاصة وأفاد سلب العموم، وإلا بأن قدمت على أداته لفظا ورتبة توجه النفي إلى كل فرد وأفاد عموم السلب، كقوله عليه الصلاة والسلام: كل ذلك لم يكن، وكالنفي النهي.

قال التفتازاني: والحق أن الشق الأول أكثري لا كلي، بدليل قوله تعالى: " والله لا يحب كل مختال فخور " [2] ، والله لا يحب كل كفار أثيم [3] . ولا تطع كل حلاف مهين " اهـ [4]

خلاصة ماذكر أن (كل) إذا سبقها النفي لفظا ورتبة كان النفي منصبا على العموم بمعنى أن المعنى يتوجه إليه النفي مثل: ماكل مايتمنى المرء يدركه أما إذا قدمت (كل) على النفي كان معناه سلب العموم وشمل النفي جميع أفراده ولم يبق فرد واحد لم يشمله النفي، وذلك مثل الحديث: كل ذلك لم يكن . إلا أن التفتازاني قال: إنه في الحالة الأولى أكثري لا كلي، واستدل بالآية: إن الله لا يحب كل مختال فخور، إذ لم يراد المعنى: أن الله يحب بعض المختالين الفخورين.

---

(1) حاشية الصبان جـ٢ ص ٧٤
(2) سورة لقمان آية ١٨
(3) سورة البقرة آية ٢٧٦
(4) سورة القلم آية ١٠

ولكن أرى أن التعبير الذي ذكره بالنسبة لـ (كل) صحيح وحده ، أما بالنسبة للآية : " ان الله لا يحب كل مختال فخور " أو " ان الله لا يحب كل كفار أثيم " ، " ولا تطع كل حلاف مهين " فاني أرى أن النفي بلا قد يراد به النفي أصلا وذلك مثل قوله تعالى " لا يسألون الناس الحافا "(1) ، فان في ظاهره نفي الالحاف في المسألة ، والحقيقة نفي المسألة البتة ، بدليل قوله تعالى : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف)(2) ، ومن لا يسأل لا يلحف قطعا ضرورة أن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص .

كما أن النفي بـ (لا) قد يراد به نفي الفعل المستمر على الدوام ، كقوله تعالى : " لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض "(3) .

فاذا طبقنا هذا الكلام على الآية (ان الله لا يحب كل مختال فخور) وقلنا ان (لا) نفت أصل الفعل (الحب) للمختالين الفخورين ، وأن هذا النفي على الدوام نستطيع أن نقول : انه اذا نفى الفعل أصلا ، وان هذا النفي على الدوام فهذا معناه أن النفي منصب على جميع افراد المختالين الفخورين ، لأن الفعل نفي أصلا ، وأن هذا النفي على الدوام ، فكيف يكون لبعضهم .

وأضيف الى هذا أن النفي لم يباشر لفظ (كل) كما في المثل " ما كل ما يتمنى المرء يدركه " وانما النفي باشر الفعل ، فانصب عليه ، فكان المعنى نفي الفعل أصلا ورأسا .

ثم انه جاء الرد عن الآية " والله لا يحب كل مختال فخور "(4) [illegible]

---

(1) سورة البقرة آية ٢٧٣ .
(2) سورة البقرة آية ٢٧٣ .
(3) سورة سبأ آية ٣ .
(4) المغني جـ ١ ص ١٧١

وهو : " أن دلالة المفهوم إنما يعول عليها عند عدم المعارض ، وهو هنا موجود ، إذ الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقا " ا هـ

وهذا وإن كان يؤيد ما ذهبت إليه من أن القاعدة مطردة وصحيحة إلا أنه اعتمد في الرد على عدم المعارض لإفادة توجه النفي إلى جميع الأفراد أي : سلب العموم ، وهذا صحيح ، إلا أنه ليس هذا فقط ، وإنما أيضا هو ما ذكرته من مباشرة النفي لكل ، ومعنى النفي بها .

<u>اتصال كل بما :</u>

تتصل (ما) بـ (كل) وتسمى (ما) المصدرية أو الزمانية عند دخول (كل) عليها ، لأنها حينئذ تكون مصدرية ظرفية[1] لأنها هي وصلتها (الفعل) مؤول بمصدر مثل قوله تعالى : " كلما رزقوا منها "[2] ، وهذا المصدر المؤول ناب مناب الظرف ، ولذلك سميت ما المصدرية الظرفية ، ولذلك (كل) منصوب لأنه أضيف إلى ما هو نائب عن الظرف ، فنصبها على الظرفية كما نصب في قوله تعالى " فلا تميلوا كل الميل " ، لأنها أضيفت إلى مصدر الفعل فنصبت على المصدرية على أنها مصدر مبين لنوع الفعل ، كذلك هنا أضيفت إلى شيء هو قائم مقام الظرف ، فنصبت على الظرفية .

و(كل) في قوله تعالى : فلا تميلوا كل الميل[3] ، دخلت في حيز النهي ، ومعنى ذلك : أن النهي في الآية بدون (كل) أقوى من النهي في الآية مع

---

(١) انظر كتاب سيبويه جـ١ ص٤٥٢ ، المغني جـ١ ص١٧١
(٢) سورة البقرة آية ٢٥ .
(٣) سورة النساء آية ١٢٧ .

وبدون (كل) اذ النهي في الآية بدون (كل) : فلا تميلوا ميلا : عن الفعل وأكد هذا الفعل المنهي عنه بمصدره ، اما في الآية مع (كل) ، فان النهي ليس عن تمام الفعل (الميل) ، وانما النهي عن بعض الميل أو عن الميل التام لحق احدى الزوجتين وهذا مستفاد من دخول (كل) على المصدر ، اذ أن النهي في الآية سبق عن الميل الذي به يكون فاعله ظالما ، ولم يكن عن الميل أصلا ، اذ الميل مطلوب منه شرعا لزوجته ، ولكنه بين عادل بين الزوجتين ، فيميل الى زوجته الاولى نفس الميل الذي يميله الى الأخرى ، اذن الميل موجود ولكن النهي عن تمام الميل ، وبهذا ظهر لنا أن النهي عن الفعل أصلا بدون (كل) ، ومع (كل) يأتي النهي عن الفعل كاملا الى احدى الزوجتين ، وهذا هو المراد من سياق الآية .

كذلك في قوله تعالى (كلما رزقوا منها) اضافة (كل) الى (ما) المصدرية أفادت عموم المصدرية والظرفية ، وأعطى التركيب من (كل) ، (ما) معنى العموم والتكرار ، كما في قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم) وقبل دخول (كل) التقدير هو : وقت الرزق قالوا هذا رزقنا من قبل ، وكذلك في الآية : "كلما نضجت جلودهم" وقت نضج الجلود تلك قلوبهم ، وهذا التقدير لا تكرار للفعل فيه ، اذ أن معناه يحدث مرة واحدة ، وعندما دخلت (كل) أفادت معنى التكرار للفعل (الرزق) ، أو (النضج) كما أفادت العموم للفعل ، وفي هذا تأكيد للفعل .

هذا واني أرى أن تكرار الفعل مستفيد من التركيب كله وهو (كل + ما) ، اذ أن (كل) وحدها دون (ما) في التركيب تفيد العموم في الاسم ، فمثلا : كلما نضجت جلودهم ، لو حذفنا (ما) يكون التقدير : كل جلودهم نضجت ، — فالعموم في الجلود تحديدا ، وفي الفعل ضمنا ، بخلاف ما اذا اتصلت (كل) بـ(ما) -

يكون المعنى تكرار الفعل والاسم ضمنا بعكس ما مره وفي كلتا الحالتين التوكيد موجود لافادة العموم والحصر ، اما في الأسماء عمدا ، وفي الأفعال ضمنا ، واما في الأفعال وفي الأسماء ضمنا .

شروط اعراب كل صفة :

سبق أن ذكرت أن (كل) تأتي صفة اذا أضيفت الى اسم ظاهر مطابق للاسم الذي قبله ، ويكون معناه التمام والكمال فيؤتى به صفة مؤولا بالمشتق أي الكامل ، وهذا بشرط أن يضيفها ما فيه رائحة الصفة ، وهو ما فيه معنى الجنس فلو يضيفها جامد لم يجز أن يكون (كل) صفة ، كما في المثال : جاء عبدالله كل الرجل ، فهذا المثال لا يجوز فيه أن يكون (كل) صفة ، لأن ما قبله وهو عبد الله ليس فيه رائحة الصفة أي ليس فيه معنى الرجولية فهو جامد .

كــــلا و كلتــــا

كلا وكلتا لتوكيد المثنى ، لأنهما يفيدان (التثنية) ويقصد بهما ازالة الاحتمال والمجاز عن التثنية واثبات أنهما هي المقصود ، سواء كان المثنى كلمة واحدة وفي مادة التثنية أم على سبيل التفريق ، وليس بشرط اتحاد العامل ، وهما مضافان أبداً لفظاً ومعنى ، ويضافان الى كلمة واحدة دالة على اثنين ، ولا تضافان الى كلمتين [1] ، وذلك مثل قوله تعالى " كلتا الجنتين " [2] ويضافان

---

(١) انظر المغني حـ ١ ص ١٧٢ .

(٢) سورة الكهف آية ٣٣ .

الى ضمير المثنى ، كما في قوله تعالى (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) . وقرأ حمزة والكسائي وخلف : إما يبلغان عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فانه ثنى لأن الوالدين قد ذكرا قبله فصار الفعل على عددهما ثم قال : (أحدهما أو كلاهما) على الاستئناف أي بتقدير فعل فاعله : أحدهما ثم عطف (كلاهما) عليه .

وقد ذكر من النحاة جوازأن أحدهما أوكلاهما بدل من الضمير في يبلغان وقرئ " اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما : جعلت يبلغن فعلا لأحدهما ثم عطف عليها كلاهما (١).

وكلا هنا ليست للتأكيد لأنها عطفت على البدل تابعا وهو أحدهمــا ، كالمعطوف في حكم المعطوف عليه.

ويقول الزمخشري (٢) (أحدهما) فاعل يبلغن ، وهو فيمن قرأ يبلغـــان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين ، (وكلاهما) عطف على أحدهما فاعلا ، وبدلا ، فان قلت : لو قيل : اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما بالك زعمت أنه بدل ؟ قلت: لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه ، فوجب أن يكون مثله ، فان قلت: ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا ، وعطفت التوكيد على البدل؟ قلت: لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهمـا فحسب ، فلما قيل : أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد ، فكان بدلا مثــل الأول . اهـ .

---

(١) انظر معاني القرآن جـ٢ للفراء ، ص

(٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري جـ٢ ص٦٥٧ .

وفي تفسير أبي السعود [1] (أحدهما) فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول ، لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه ، وقيل يبلغان ، وأحدهما بدل من ضمير التثنية ، وكلاهما عطف عليه ، ولا سبيل الى جعل (كلاهما) تأكيدا للضمير ، اهـ

وطريق افادة التوكيد من (كلا) دلالتها على الاثنين معنى ، واضافتها الى ضمير المثنى ، فكأن التوكيد جاء من التكرار ، فلو عوض أنه غير لفظ (كلا) الى الاثنين ، فلا تجوز الاضافة الى ضمير المثنى ، اذ أن لفظ (الاثنان) يدل على المثنى لفظا بخلاف (كلا) ولذلك يوحد الاسناد اليه كما في الآية (آتت) وهذا كما في (كل) اذا أضيفت الى جمع يراعى فيها اللفظ وقد يراعى المعنى .

وفي قراءة عبد الله : كل الجنتين آتى أكله [2] ومعناه : كل شيء من ثمر الجنتين آتى أكله ، ولو أراد جمع الثنتين ولم يرد كل الثمر لم يجز الا (كلتاهما) اذ لا يجوز أن نقول : قامت المرأتان كلهما ، لأن كل لا تصلح لاحدى المرأتين وتصلح لاحدى الجنتين . [3]

وبهذا يتبين لنا أن (كلا ، كلتا) يؤتى بهما احترازا من المجاز ووقوع اللبس . أما اذا لم يوجد اللبس والمجاز بأن كان الفعل لا يتم وقوعه الا من اثنين ، وذلك اذا جاء الفعل على صيغة افتعل الدال على الاشتراك ، فحينئذ لا فائدة من التوكيد اذ لا لبس ولا مجاز والمعنى مستفاد بدون (كلا) أو (كلتا) وذلك

---

(١) تفسير أبي السعود جـ٣ ص ٣٩١

(٢) سورة الكهف آية ٣٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء جـ٢ ص ١٤٣ .

في مثل : اختصم الزيدان كلاهما ، لأن التخاصم لا يتحقق معناه إلا بوقوعه من اثنين معا ، فلا فائدة من التوكيد هنا ، وهذا هو رأي الأخفش ، أما الجمهور فقد أجازوه اعتمادا على أن التوكيد قد يكون للتقوية لا لرفع الاحتمال ، وهذا هو ما أؤيده ، فالتكرار قد يأتي لمجرد التقوية والتمكين ، فكذلك هنا ، وكلتا جاء للتكرار بقصد التقوية والتمكين لهذا المعنى المستفاد من المؤكد فهو مجيء (كلا وكلتا) .

ما يلتحق بالتكرار " التوكيد اللفظي " :

ويلتحق بالتكرار " التوكيد التابع " المفعول المطلق المؤكد ، والحال المؤكدة والمعطوف والنعت الذي للتوكيد والبدل ، إلا أن هذه الأنواع ليست توكيدا لفظيا ، أعني (التابع) عند النحاة ، وإنما لها وظائف إعرابية تعرب بها لا على أنها توكيد لفظي تابع ، فالأول : المفعول المطلق توكيد للفعل أي للحدث الذي يدل عليه الفعل ، وليس تابعا للفعل ، ويلزم حالة واحدة من الإعراب وهو النصب والعامل فيه الفعل ، وكذلك الحال المؤكدة ، أما المعطوف فهو تابع للمعطوف عليه ، وهذه التبعية بسبب حرف العطف .

وأما الصفة المؤكدة وإن كانت تابعة للمنعوت إلا أن تبعيته على أنه صفة لا توكيد ، وكذلك الحال في البدل .

ولكن هذه الأنواع التحقت بالتكرار للتأكيد ، لأن المفعول المطلق المؤكد للفعل تكرار للحدث الذي يدل عليه الفعل ، وكذلك بالنسبة للحال ، لأن الفعل دل عليها فهل ذكرها كانت كالتكرار ، وبالنسبة للمعطوف فإنه عطف على ما هو بمعناه ، وبهذا عد المعطوف تكرارا .

ومن هنا يتبين لنا سبب إلحاق هذه الأنواع بباب التكرار للتوكيد ولو أنها ليست تكرارا على أنها توكيد لفظي (التابع) عند النحاة .

النوع الأول من الأنواع الملحقة بالتكرار

تـــوكيـــد الفعل بالمصـــدر (المفعول المطلق)

سمى سيبويه المصدر الحدث والحدثان ، وذلك لأنها أحداث الأسماء التى حدثها ، ويريد هنا بالأسماء أصحاب الأسماء وهم الفاعلون ، أى الذين يتوسمون باحداث هذا الحدث وهو : المصدر ، فهو اسم للحدث ، وسماه أيضا الفعل من حيث انه كان حركة الفاعل .

وسمى المصدر بعد نقله فى الجملة بالمفعول المطلق ، لأن الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود ، وصيغة الفعل تدل عليه ، والأفعال متعدية إليــــه سواء كانت تتعدى الفاعل أم لا تتعداه ، وليس كذلك غيره من المفعولين ، فينصب هذا المصدر بالفعل أو بمثله مثل قوله تعالى : " جزاؤكم جزاء موفورا " (١) .

فاذا ما وجد الفعل مع المصدر فى جملة أو عبارة ، فان الفعل أى الحدث كأنه كرر مرتين أى ذكر الحدث مرة فى الفعل ومرة أخرى فى المصدر ، وهذا التكـرار مراد به التوكيد .

ولذا صنفت هذا النوع " توكيد الفعل بالمصدر فى باب التكرار ، لأنـــه تكرار للحدث مرتين فى الحقيقة .

إلا أن هذا المصدر أى المفعول المطلق ينقسم الى قسمين ، الأول مبهم نحو : ضربت ضربا ، فان المصدر لمجرد توكيد الحدث المفهوم من الفعل (ضـــرب) حيث ذكر الحدث مرة فى الفعل وأخرى بالمصدر ، وهذا هو المراد فقط من العبارة

---

(١) انظر المغنى جـ١ ص ١١٠ .

ولا يفهم من العبارة معنى آخر كبيان النوع أو العدد ويبينه وصفه (1)، ولهذا نقول عنه أنه مبهم، وذلك مثل قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) (2).

فإن المراد من المصدر هنا هو توكيد الحدث بذكره مرتين، فهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، لأن الفعل يدل على شيئين: الحدث والزمان، والمراد توكيد الحدث نفسه وتقرير معناه، ولو ذكر الفعل لكان تكرارا للجملة، إذ الفعل يحتاج إلى فاعل، وبهذا تكون الجملة هي المؤكدة لا الفعل فقط، فجيء بالمصدر عوضا عن هذا كله وعما لا حاجة إليه في الكلام.

وفائدة التوكيد به تظهر في الآية (وكلم الله موسى تكليما) فإن المراد من الآية رفع التوهم عن الفعل وهو الحديث بالكلام، لأنه لما أريد من الآية أن كلام الله حدث نفسه حقيقة قال: تكليما، فدل هذا على وقوع الفعل حقيقة.

وبيان ذلك بما يأتي:

لو قلنا مثلا: تكلم الأمير احتمل مجازين، الأول: إطلاق الكلام عليه وعلى جميع ما ينوب عنه، والثاني: إطلاق الأمير على أنه نفسه أو نائبه.

فإذا أردنا رفع الأول أتينا بالمصدر وقلنا: تكلم الأمير تكلما، وإن أردنا رفع الثاني، قلنا نفسه، فالتوهم يتوجه إما إلى الفعل أو إلى الفاعل، فرفع التوهم عن الفعل بالمصدر ورفع التوهم عن الفاعل بالنفس إذن الفائدة من التأكيد بالمصدر

(1) أجاز ابن الدارة أن يكون المصدر في هذه الآية مبهما للنوع والوصف محذوف تقديره: تكليما ما، انظر نتائج الفكر في النحو للسهيلي، مكتبة الكلية.

(2) سورة النساء آية ١٦٤.

هنا هو : اثبات أن الفعل حدث حقيقة ردا على من يتوهم أنه لم يحصل حقيقته ، كما أنه رفع لتوهم القائل : انه لوكان الكلام (في الآية) حدث حذف الفعل في الآية : وكلم الله نفسه تكليما ، وهذا لا يجوز ، لأن الشك في الحدث (الكلام ولهذا أكد الحدث بالمصدر .

أما الشك في الفاعل وهو (الله) فقد حسم فيه حيث قال الله تعالى في آية أخرى[1] " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " فلوكان الشك في الفاعل : لفظ الجلالة ، لقيل : نفسه .

ثم قد سيقت هذه الآية لبيان الوحي ، فمعنى (كلم) من الكلام وليس من الكلم ، كما قال آخرون . .

ويقول الزمخشري : (٢)
"ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه : وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن " أ هـ .

فيراد به تأكيد الفعل بالمصدر رد القول القائل بأن الكلام لم يكن على حقيقته .

وهذه هي الفائدة من التوكيد بالمصدر ، نراها في كل آية جاء فيها ...

---

(١) سورة النحل آية ٥٠ .
(٢) الكشاف للزمخشري جـ١ ص ١٥٨

المصدر معها ، كما في قوله تعالى : " اذا زلزلت الأرض زلزالها " (١) " سلموا تسليما " (٢) ، " يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا " (٣).

فنجد أن الفعل اذا لم يؤكد بالمصدر ، (مورا ، سيرا) يتوهم أن المور ليس على حقيقته بل نسبتها الى السماء أنها تمور أو أن المور ليس في السماء وانما هو لسكانها وأهلها لشدة الأمر ، وكذلك في قوله تعالى : " تسير الجبال سيرا " اذا لم يؤكد الفعل بالمصدر يحتمل أن سير الجبال انما هو بتهيؤها للناظر وليس على حقيقته أو أن الذي يسير هم سكان الجبال عن طريق المجاز المرسل ، ولكن عندما ذكر المصدر لكلا الفعلين رفع هذا التوهم وهذا الاحتمال ، وأكد الفعل ، وهو المعنى المراد من معاني الآية .

وبالنسبة لقوله تعالى : " كلا اذا دكت الأرض دكا دكا " (٤)، " وجاء ربك والملك صفا صفا " (٥) فان جمهور العلماء جعلوا هاتين الآيتين نظير قولهم : جاء القوم فردا فردا وعلمته بابا بابا ، وعلل العلماء ذلك بأن التوكيد اللفظي يشترط فيه أن يكون اللفظ الثاني دالا على نفس ما يدل عليه اللفظ الأول ، والأمر في الآيتين ليس كذلك ، فان الدك الثاني (في الآية الأولى) غير الدك الأول ، والمعنى دكا حاصلا بعد دك ، وكذلك في الآية الثانية : " صفا بعده صف ، ولذلك يقول العلماء : ان اللفظين معا حال ، وهو مؤول بنحو : مكررا دكا . (٦)

---

(١) سورة الزلزلة آية ١
(٢) سورة الاحزاب آية ٥٦
(٣) سورة الطور آية ٩، ١٠
(٤) سورة الفجر آية ٢١
(٥) سورة الفجر آية ٢٢
(٦) ابن عقيل ص ٢١٤ جـ ٣

وكذلك بالنسبة الى (صفا صفا) قال العلماء أولوه بمعنى الحال فليس معنى التأكيد مراد من الصف ، ولهذا ولم يأت من الفعل (جاء) في الآية فلذلك أولوه بأنه حال ، وفي الآية غرض آخر وهو المبالغة للتعظيم ، ولهذا أتى من قوله تعالى : "والملك صفا صفا " فالفعل في الآيتين لمرض حاجة الى تأكيد وانما الآية سيقت لتعظيم المولى جل جلاله ولتأكيد أنها دكت جاء من تكرار الدك

وجاء في الكشاف : (دكا دكا) دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا .(١) كما جاء في الكشاف : (صفا صفا) ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس .(٢)

وهذا النوع من التوكيد بالمصدر يجب أن يوحد ، لأنه بمنزلة تكرير الفعل والفعل لايثنى ولا يجمع .(٣)

والقسم الثاني من قسمي هذا المصدر المستعمل مفعولا مطلقا هو : مؤقت : أي الذي يدل على الكيفية والكمية والنوعية . مثل : ضربت ضربتين ، أو ضربا شديدا فهذه المصادر فيها زيادة على مادل عليه الفعل ، وذلك لأن النوع الأول وهو المصدر المبهم : مثل : ضربت ضربا ، يدل على جنس الضرب (الحدث) مبهما من غير دلالة على معنى زائد ، وهو نوع هذا مثل : جاء القوم كلهم من حيث لم يكن في كلهم زيادة على معاني القوم . ولكن النوع الثاني : فيه زيادة حيث دل على الحدث (معنى الفعل)

---

(١) الكشاف ص ٢٥٢ ج٤

(٢) الكشاف ج ٤ ص ٢٥٣

(٣) انظر الاشموني حاشية الصبان ج٢ ص ١١٠

زائدا الكيفية أو الكمية نحو : ضربت ضربتين أو ضربت ضربا شديدا (١)

وأرى أن هذا النوع لا يعد مؤكدا للفعل حيث انه لم يقصد به توكيد الحدث الذي يدل عليه الفعل ، وانما جيء به لبيان الكيفية أو الكمية ، والتوكيد هو نفس الأول في معناه ، فهذا مثل قوله تعالى : " فدكتا دكة واحدة " (٢) فالمصدر (دكة) لم يؤت بها لتوكيد الفعل (دكتا) وانما جيء بها لبيان أن الدك مرة واحدة ، للدلالة على قوتها الهائلة ، وأنها كانت كل قوة ضخمة هائلة ومع ذلك فهي أمر يسير على الله ، لأنها مرة واحدة وأكد هذا المعنى المراد أنها دكة شديدة عظيمة بوصفها (واحدة) لزيادة تأكيد المعنى المراد اذ معنى واحدة مستفاد من التاء في (دكة) ، كما سيأتي بيانه في نوع التكرار ، وهو التأكيد بالصفة.

والتأكيد بمصدر الفعل قد يكون من لفظ الفعل أي مصدر الفعل القياسي وقد يكون من مرادفه ، فكما جاء التكرار بتكرير اللفظ أو بمرادفه مثل ضيقا حرجا كما سبق كذلك يجوز أن يكون المصدر مرادفا للفعل ، وذلك مثل قوله تعالى : " اني دعوتهم جهارا " (٣) ، وذلك لأن الجهار أحد نوعي الدعاء فجاء في الكشاف : (جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر ، لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار ، فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود ، أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم " (٤) اهـ وقوله تعالى : يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين " (٥)

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ١ ص ١١١
(٢) سورة الحاقة آية ١٤
(٣) سورة نوح آية ٨
(٤) الكشاف جـ٤ ص ١٦٢
(٥) سورة النساء آية ٤٦

ففى هذه الآيـة (ليا) مصدر مؤكد للفعل (يحرفون) ، لأن (ليـا) نوع من التحريف .

فجاء فى الكشاف : (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا ؛ أى يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها ، أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا . ا . هـ (١)

وكذا قوله تعالى : " وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا " (٢) فى هذه الآيـة (قيلا) مؤكد (لأصدق) ولكن عدل الى (قيلا) ، لأن القـول بمثله فكأنه كرر ولكنه عدل عنه مراعاة للخفة وابتعد عن تكرار المتقارب فى اللفظ .

ولذلك لا يستحسن ابن جنى التكرار الا اذا كان اللفظ الثانى مخالفـا للأول . أما التكرار بلفظ الأول فلا يقبله جملة ولا يستحسنه فى كل موضع ، بل يجيزه ويفضله اذا كان الموضع للتفخيم والتهويل مثل القارعة ما القارعة ، والحاقة ما الحاقة (٣) ولمناسبة الفواصـل .

وهنا أقول : ان مراعاة الفواصل فى القرآن الكريم لا تراعى وحدهـا لأن هذا معناه خلو الألفاظ من المعانى ، وانما تراعى حين تراعى المعانى أولا ثـم

---

(١) الكشاف جـ١ ص ٥٢١

(٢) سورة النساء آية ١٢٢

(٣) المحتسب جـ٢ ص ٢٥٤ ، ٢٠٥

تراهس الناس مغرو عمرتنا تأكيد المصدر وناصب (تهلا) المعنى ـ واللفظ لغة ووزنا .

فالسبب فى أن أكثر النحويين أجازوا أن يعمل الفعل فى مصدره وان لم يكن من لفظه هو اشتراكهما فى المعنى فقد قال الشاعر :

يعجبه السخون والبرود ...

والتمر حبا ماله مزيد

(فحبا) : مصدر مؤكد للفعل يعجبه) وهوليس من اشتقاقه حيث انه ليس من لفظه . (١)

- وقوله تعالى : " مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " ف "(زلفى) مصدر منصوب بعامل عليه الذكر ؛ لأن الزلفى مصدر كالرجعى (ويقربونا) يدل على يزلفونا ، فتقديره : يزلفونا زلفى : .

وهذا الرأى هو ما أرجحه ، وذلك للقاعدة التى أنهيها ، وهى : أولا يكفى أن يكون الفعل عاملا لمعنى المصدر ، وثانيا : المصدر المؤكد يأتى مؤكدا لفعل مذكور ولا يؤكد محذوفا ، لأن الحذف مناف للتوكيد .

أما الرأى الآخر فهو مذهب سيبويه ومذهبه هو: اذا جاء المصدر منصوبا بعد فعل ليس من حروفه كان انتصابه باضمار فعل من لفظ ذلك المصدر .(٢)

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ج١ ص ١١٢ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ج١ ص ١١١ـ ١١٢

وهذا هو ما لا أرجحه ، وأرى الأخذ بالفعل المذكور ما دام شاملا لمعنى المصدر وهذا أفضل ، لأنه لا يحوجنا الى تقدير فعل لسنا في حاجة الى مثل هذا التقديـــــر .

كما أن سيبويه قد عدل في المصدر اشتماله على معناه ، وهكذا ، فانه يكفي أن يكون الفعل دالا على معنى المصـــدر ، وهذا كما في الآيــة " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " (١) فزلفى منصوب على المصدر بما دل عليـــه الكلام ، لأن الزلفى مصدر كالرجعى ، (ليقربونا) يدل على (يزلفونا) فتقديـــر ، يزلفونا زلفى .

هذا وانما نرى سيبويه نفسه قال : وأما رجع القهقرى ، واشتمل الصمــــاء وقعد القرفصاء انها مصادر وهي منصوبة بالفعل قبلها لأن القهقرى نوع مـــن الرجوع فاذا تعدى الى المصدر الذى هو جنس عام كان تعديها الى النـــوع اذ كان داخلا تحته ، وكذلك القرفصاء نوع من القعود وهي : قعدة المحتبـــي والصماء أن يلقى طرف ردائه الأيمن على عاتقه الأيســـر . (٢)

الا أن أبا العباس قدر موصوفات في هذه الأمثلة ثم حذفت ، فقال : رجع القهقرى : التقدير عنده : رجع الرجعة القهقرى .

ولكن على كلا الحالين نجد أن العامل هو الفعل المذكـــور .

---

(١) سورة الزمـــر آية ٤

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١ ص ١١٢

يقول الزمخشري : (١)

أن نافلة في قوله تعالى : " تهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " (٢) وضع نافلة موضع (تهجدا) لأن التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد .

ونجد بعض المفسرين يقولون في تفسير قوله تعالى : " ثم أني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا " (٣) ان مفعول (أسررت) محذوف ، وأن (اسرارا) لم يأت مؤكدا للفعل (أسررت) وانما لمراعاة الفواصل .

وأرى أن الصواب - والله أعلم - أن الفعل (أسررت) أجرى مجرى اللازم ، وهذا كثير في الشعر العربي كقول الشاعر :

قد اصبحت ام الخيار تدعي ⁂ على ذنبا كله لم أصنع

فقالوا : ان (أصنع) أجرى مجرى اللازم وليس له مفعول وعلى هذا (اسرارا) مؤكد للفعل (أسررت) وناسب هذا الفواصل ، فروعي المعنى أولا ثم روعيت الفواصل وقد اكتفى في الآية بتأكيد الاسرار عن تأكيد الاعلان ، وهذا هو ما يكون دائما في القرآن الكريم للفوز بعين معجز الكهان وبينه .

وقد يأتي المصدر المؤكد غير جار على الفعل ويكون مؤكدا أيضا ، لأنه يكفي الدلالة على معنى الفعل ، وهذا هو السبب في عمل الفعل في المصدر حيث اشتمل الفعل على معناه ، وهذا في مثل قوله تعالى : " والله أنبتكم من الأرض نباتا " ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا " (٤)

---

(١) الكشاف للزمخشري جـ٢ ص ٥٣٦ .

(٢) سورة الاسراء آية ٧٩

(٣) سورة نوح آية ٩

(٤) سورة نوح آية ١٧، ١٨

فنجد أن الفعل (يخرجكم) أكد بمصدره القياسي أما الفعل (أنبتكم) فلم يؤكد بمصدره القياسي ، فنقول : " انه يكفى الدلالة على معنى الفعل ".

أما القول بأن المصدر في الآية : والله أنبتكم من الأرض نباتا " أن نباتا مؤكد لفعل محذوف ، وهو مذهب سيبويه ضعيف والأرجح ، لأن التأكيد هنا بالتكرار فكيف يكون تكرار وحذف ، فالحذف ينافي التكرار (التوكيد) (١).

وهذا لأن الآية مسوقة لتقرير أنهم محدثون ، ولذلك عبر ب (أنبتكم) فأريد تأكيد هذا بتأكيد الفعل باسم المصدر فجاء في الكشاف: استعير الانبات للانشاء كما يقول : زرعك الله للخير ، وكانت هذه الاستعارة " أدل على الحدوث ، لأنهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قول للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم : نجم فلان لبعض المارقة ، والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا ، أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم ١ هـ (٢)

فيكون اسم المصدر (نباتا) مؤكد للفعل (أنبتكم) مؤكد للغرض الذى سيقت من أجله الآية وهو تقرير واثبات الحدوث لهم.

والمصادر التي نابت من الأفعال ، ليست مؤكدة أيضا ، لأنه في هذه الحال ناب المصدر عن معنى الفعل وعمله ، والدليل على ذلك أنه لا يجوز الجمع بينهما في حالة الانابة ، ولا شيء من المؤكدات يمتنع الجمع بينهما وبين المؤكد .

---

(١) انظر ابن عقيل ص ١٧٣ ، الاشموني ج٢ ص ١١٠

(٢) الكشاف ج٤ ص ١٦٣

وحتى لو فرض أن الفعل للفعل المحذوف ويكون المصدر نائبا عن الفعل في معناه ، فانه في كلتا الحالتين لاتأكيد به في الجملة ، وهذا في مثل قوله تعالى : " بعدا للقوم الظالمين " فان (بعدا) هنا مصدر ناب عن الفعل والمصدر هنا لم يؤكد فعلا مذكورا ولا محذوفا .

والخلاصة : أن المصادر المنصوبة التي تأتي مفعولا مطلقا على ثلاثة أنواع :

الأول :

مايختص من غير إظهارة عله ، ولكن من الممكن اظهاره ، ولنا الخيار في اظهاره أو اضماره ، وذلك لأن الحال لها تأثير مثل تأثير الفعل وكأن الفعل في قوة المذكور بسبب دلالة الحال عليه ، وحينئذ فالمصدر هنا في هذا النوع ليس نائبا عن الفعل فهو مؤكد للفعل ولو أنه غير مذكور ، وذلك مثل قولك لمن لقيته وعليه وعثاء السفر وعه آلة فعلمت أنه آيب من سفره فقلت له : خير مقدم ، أي قدمت خير مقدم ، فخير منصوب لأنه أفعل دائما .

الثاني :

مايكون المصدر فيه نائبا عن الفعل ، وحينئذ فالمصدر هنا ليس مؤكدا حيث لم يذكر المؤكد وذلك في مثل قوله تعالى : " بعدا للقوم الظالمين " ، " سحقا لأصحاب الشمال " ، بحيث لو ذكر الفعل لصار بمثابة تكرار الفعل اذ أن المصدر نائب عنه ولايجمع بين النائب والمنوب عنه .

ويجوز في هذا المصدر الرفع كما في قول رؤبة :

عجب لتلك قضية وإقامتي

فيكم على تلك القضية أعجب

فقد حكاه يونس مرفوعا كأنه قال : أمري عجب فهو خبر لمبتدأ محذوف(١)

ويأتي هذا المصدر النائب عن فعله بعد إما كقوله تعالى : " حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها(٢)

ويقول الزمخشري : (٣)

(منا وفداء) منصوبان بفعلهما مضمرين أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء . والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم .

الثالث :

وهو نوع من أنواع المصادر التي حذف فعلها وجوبا ، إلا أن الجملة قبله تضمنت معنى فعله فجاء هذا المصدر مؤكدا لهذا المعنى المستفاد من الجملة قبله ، لأنها لا تحتمل غيره ، ولذلك يقول العلماء عنه : إنه مؤكد لنفسه ، لأنه مؤكد للجملة قبله وهي نفس المصدر في المعنى ، بمعنى أنها لا تحتمل غيره .

---

(١) انظر شرح المفصل ج١ ص ١١٤

(٢) سورة محمد آية ٤

(٣) انظر الكشاف ج٣ ص ٥٣١

يقول سيبويه : (١)

" هذا باب ما يكون المصدر فيه توكيدا لنفسه نصبا وذلك قولك : له علي ألف درهم عرفا ، ومثل ذلك قول الأحوص

إني لأمنحك الصدود وإنني

قسما إليك مع الصدود لأميل .

وإنما صار توكيد النفسه ، لأنه حين قال له : علي ، فقد أقر واعترف وحين قال : لأميل ، علم أنه بعد حلف ، ولكنه قال : (عرفا) ، (قسما) توكيدا كما أنه إذا قال (سير عليه) فقد علم أنه كان سير ثم قال (سيرا) توكيدا ". (٢)

أما إذا كانت الجملة قبله تحتمله وتحتمل غيره فيقول العلماء عنه : إنه مؤكد لغيره ، وبيان ذلك فيما إذا قلنا مثلا : هذا عبد الله ، جاز أن يكون إخبارا عن يقين منك وتخمين ، وجاز أن يكون على شيء مشكوك بقولك (حقا) وكأننا قلنا : نحق ذلك حقا .

وهذا كما في قوله تعالى : "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء" . (٣) ، لأن ما قبل قوله تعالى : (صنع) هو صنع الله سبحانه وتعالى فمعنى الآية : ترى الجبال وقت النفخة فتظنها جامدة واقفة مكانها لعظمها ولكنها تمر مر السحاب حتى تقع على الأرض . –

---

(١) في كتاب سيبويه جـ١ ص١٩٠

(٢) كتابه تحقيق عبد السلام هارون جـ١ ص٣٨٠

(٣) سورة النمل آية ٨٨

فتستوى بها منفوشة ثم تصير كالسهى ثم تصير هباء منثورا ومن فعل ذلك؟ ومن هو قادر على ذلك؟ الله جل جلاله . فهذا صنع الله . وأضيف المصدر الى الفاعل ليبين أن هذا الحدث بالصورة التي صورتها الآية حادث لامحالة لأنه من صنع الله .

يقول الزمخشري في الكشاف[1]

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله ـ وعد الله ـ و ـ صبغة الله ـ الا أن مؤكدة محذوف . وهو الناصب ليوم ينفخ . والمعنى : ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين . ثم قال : صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة . وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بهما على الحكمة والصواب حيث قال : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للأشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد . وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك اهـ[2].

وكذلك في قوله تعالى : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون .[3] فان المصدر وعدا تأكيد لمضمون الآية قبله ويومئذ يفرح المؤمنون . لأنه أي المصدر (وعدا) في الآية قبله معنى فرح المؤمنين بنصر الله اذ هو وعد الله حقيقة

(١) الكشاف للزمخشري جـ٣ ص ١٦٢

(٢) الكشاف جـ٣ ص ١٦٢

(٣) سورة الروم آية ٦

وعد الله به المؤمنين فتأكد هذا النصر بالمصدر وأضيف الى لفظ الجلالة للتأكيد على نصر الله للمؤمنين .

وفائدة هذا التأكيد تثبيت المؤمنين على ما هم فيه بوعدهم بالنصر ، وترهيب الكفار وتخويفهم من الهزيمة والرزيمة في الدنيا والعذاب في الآخرة (٢)

وكذلك في قوله تعالى : " (صبغة الله) تأكيد لقوله تعالى : " فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا . (٣) لأن هذا دين الله .

---

(١) وجاء في كتاب سيبويه : فاما المضاف فقول الله تبارك وتعالى : " وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله . وقال الله تبارك وتعالى : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده . وقال عز وجل : الذي أحسن كل شيء خلقه . وقال جل ثناؤه : والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم . ومن ذلك الله أكبر دعوة الحق . لأنه لما قال جل وعز " مر السحاب " وقال : أحسن كل شيء " علم أنه خلق وصنع ، ولكنه وكد وثبت للعباد . ولما قال : حرمت عليكم امهاتكم . حتى انقضى الكلام ، علم المخاطبون أن هذا مكتوب عليهم مثبت عليهم ، وقال : كتاب الله ، توكيدا كما قال : صنع الله وكذلك : وعد الله ، لأن الكلام الذي قبله وعد وصنع ، فكأنه قال جل وعز : وعدا وصنعا وخلقا وكتابا وكذلك دعوة الحق ، لأنه قد علم ان قولك : الله أكبر ، دعاء الحق ولكنه توكيد ، كأنه قال : دعاء حقا . قال رؤبة :

ان نزارا أصبحت نزارا
دعوة أبرار دعوا أبرارا

لان قولك : أصبحت نزارا ، بمنزلة هم على دعوة بارة وقد زعم بعضهم أن كتاب الله (نصب) على قوله : عليكم كتاب الله ، وقال بعضهم (صبغة الله) منصوب على الأمر ، وقال بعضهم : لا بل توكيدا . والصبغة : الدين .

(٢) فهذه السورة سورة مكية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم للكفار الذين كانوا يكذبون محمدا ويكذبون أن هناك يوما مشهودا تعد شخصه باصورته الآية فاقتضى هذا التكذيب أن تنزل الآية ومثلها في هذا المقام مؤكدة بأساليب مختلفة من هذه الأساليب توكيد الأحداث بالمصدر .

(٣) سورة البقرة آية ١٣٨

وقوله تعالى : "والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ." (١)

فقوله : كتاب الله عليكم بمنزلة : فرض الله عليكم وتحريم الله عليكم فقوله (كتاب الله) تأكيد لقوله (حرمت عليكم) وذلك لأن المصدر كتاب فيه معنى فرض التحريم وقد كتب هذا التحريم عند الله فهذه شريعة شرعها الله وكتاب كتبه الله عليكم فانتصب المصدر بما دل عليه سياق الآية وكأن فعلا قد سبقه اذ المعنى : كتب الله عليكم التحريم كتابا .

وان هذا المصدر الى لفظ الجلالة فزاد التأكيد تأكيدا بهذه الاضافة ودل على أنه شيء : كتب ولا شك .

وقال الكسائي : كتاب الله : منصوب بعليكم على الاغراء فقدم المنصوب (٢)

وهذا هو ما أشار اليه سيبويه كما سبق .

ولكني أرجح الرأي الأول وهو : التأكيد لمعنى مضمون الجملة السابقة وذلك لأن الظروف ليست أفعالا وانما هي نائبة عن الفعل في معناه فهي فروع في العمل على الأفعال والفروع أبدا منحطة عن درجات الأصول فإعمالها فيما تقدم تسوية بين الأصل والفرع وذلك لا يجوز . (٣)

---

(١) سورة النساء آية ٢٤

(٢) انظر شرح المفصل جـ١ ص ١١٧

(٣) انظر شرح المفصل جـ١ ص ١١٧

وقد ينوب عن المصدر ضميره العائد اليه ولكنه ليس مؤكدا كما في قوله تعالى: "لا أعذبه أحدا"[1] والتقدير: لا أعذب هذا التعذيب الخاص أحدا، فالضمير هنا نائب عن مصدر نوعي، ولذلك فهو غير مؤكد للفعل، لأن الغرض منه بيان نوع الفعل لا تأكيد الفعل (أعذب) أي تأكيد الحدث، كما هي الحال عندما ينوب عن المصدر اسم الاشارة متبوعا بالمصدر أو (كل) كما في قوله تعالى "فلا تميلوا كل الميل" فناب عن المصدر (كل) لأنه أضيف الى المصدر وليس مؤكدا للفعل أي حدث الفعل وانما جيء به لبيان نوع من الميل كما هو واضح من دخول لا (الناهية) على الفعل في الآية اذ ليس المراد هنا بالمصدر تأكيد النهي عن الفعل (تميلوا) بالمصدر والنهي عن أصل الحدث الدال عليه الفعل، وانما المراد النهي عن نوع من الميل، اذ المراد: ميل غير مراد وهو الميل المشروع الذي فيه عدل بين الزوجين فلا تأكيد لأصل الفعل أي لا تأكيد للنهي عن أصل الفعل بالمصدر، وانما النهي عن تمام الميل لاحدى الزوجتين، وذلك بسبب دخول (كل) في حيز النهي، اذ كان النهي موجها الى عموم النهي فكان المراد النهي عن تمام الميل كما سبق بيانه عند الحديث عن (كل).

ومن أمثلة ما جاء في القرآن الكريم من المصادر المنصوبة بفعل دل عليه ما قبله قوله تعالى: "قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك"[1] أي نستغفر غفرانك وتفهم معنى هذا الفعل (نستغفر) من مضمون ما قبله وهو: سمعنا وأطعنا.

---

(١) سورة المائدة آية ١١

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥

اذ المعنى : نستغفر ومنه قوله تعالى : " لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند اللـــه " (١)

فالمصدر (ثوابا) منصوب بفعل مفهوم مما قبله والمعنى لأثيبنهم ثوابا وقوله تعالى : " (لأكفرن) يفهم من مضمونه لأثيبنهم ، فلهذا جاء المصـــــدر منصوبا .

وفائدة هذا المصدر كما يبدو هو تأكيد مضمون الجملة قبله فـ (ثوابا) أكـد مضمون (لأكفرن) بالنفي (لأكفرن) مؤكد بنون التوكيد ، ومؤكد مضمونه بالمصدر (ثوابا) وبهذا ظهر لنا أن الفعل (اكفرن) و (أدخلنهم) أكدا مرتين .

وكذلك في الآية : (قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك) ومنه : لكن الذيـــن اتقوا ربهم .. الى قوله : نزلا من عند اللـــه " (٢) فما جاء المصـــدر (نزلا) يــدل على الفعل (أنزل) فأكد هذا الفعل أي أكد معنى هذا الفعل بالمصدر .

ومنه : وماكان لنفس أن تموت الا باذن اللـــه كتابا مؤجلا " (٣) فقـــوله تعالى وماكان لنفس أن تموت الا باذن اللـــه ، دل على أنه كتب ذلك أي كتــــب ذلك عليه كتابا مؤجلا ومنه قوله تعالى : " (٤) لكن الذين اتقوا ربهم لهم غـــرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وعد الله " لأن ماقبله يدل على (يعـد الله) فأكد هذا الفعل المفهوم بالمصدر (وعد اللـــه) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٥
(٢) سورة آل عمران آية ١٩٨
(٣) سورة آل عمران آية ١٤٥
(٤) سورة الزمر آية ٢٠

النوع الثاني من الأسلوب الملحق بالتكرار

التوكيد بالحال

المراد من التأكيد بالحال تقرير معنى في الكلام ، وهذا لأن معناها ذكر في الكلام قبلها ، ولكن لما أريد تمكين هذا المعنى وتقريره جيء بهذه الحال كما جيء بالمصدر مؤكدا للفعل ، أي مؤكدا للحدث ، وذلك اذا اقتضى المقام ذكرها لأداء هذا المعنى احترازا من الخطأ أوالنسيان أو التجوز والمبالغة.

ولهذا جاءت في القرآن الكريم كثيرا حيث انه واجه المخاطبين له من أهل مكة مثل قوله تعالى : " ويوم أبعث حيا (١)

فنرى فائدة التوكيد بها في هذه الآية ، وهو تأكيد البعث والحياة بعد البعث حيث قال : ويوم أموت ويوم أبعث حيا حيث أكدت الحياة بالحال لدفع الشك أو الانكار للبعث والحياة بعده بالجسد كما كانت الحال قبل الموت وهذا لأن هذه السورة مكية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة والعرب كانوا منكرين للبعث والحياة بعده فتناسب هنا التأكيد لحال الكفار المخاطبين ، وأيضا لدفع التوهم الثاني : بأن الحياة هي حياة الروح .

فنرى ، (حيا) في قوله تعالى " ويوم أبعث حيا " مؤكدة للفعل (لعاملها) ، وقد استفيد معناها قبل ذكرها من الفعل (أبعث) اذ كيف يبعث ولايكون حيا ، ومن هنا يظهر لنا أن الفعل قد دل على معنى الحال .

---

(١) سورة مريم آية ٣٣

فأشبهت الحال المصدر المؤكد بسبب اشتمال الفعل على معناها الا أن هذا الفعل دل عليها وهو متعلق بصاحبها وبهذا يكون الفعل في الجملة كأنه كرر مرتين ، وكذلك معنى الجملة قد كرر مرتين ، وهذا هو ما جعلني أن أصنف وأبوب الحال ضمن باب التكرار للتأكيد .

والحال : هي ماتدل على هيئة الفاعل أو المفعول به لفظا أو تقديرا في وقت الفعل .

وهذا هو سبب تسميتها بالحال ، لأنها لاتجوز أن تكون للماضي ، ولا لما لم يأت من الأفعال ويدل عليها الفعل ، اذ لابد للفعل من حال من الأحوال ولذلك يسأل عنها بـ (كيف)

وهي نوعان :

الأولى : منتقلة غير لازمة كما في قولنا : جاء زيد راكبا فان الركوب ليس صفة لازمة وثابتة لزيد ، وانما هي صفة له في حال مجيئه .

وقد ينتقل عنها الى غيرها ، وهذه الحال تفيد معنى لايستفاد الا بذكرها . ولهذا ليس في ذكرها توكيد لما أخبرت به وانما ذكرت زيادة في الفائدة وفضلة في الخبر ، وهي غالبها ماتستعمل حتى قال المبرد والفراء : ان الحال لاتأتي مؤكدة (١)

الثانية : وهي الحال المؤكدة : وهي ماكانت اسما غير حدث يجيء مقررا لمضمون ماقبلها ، تذكر توكيدا لمعنى الخبر ، ولاتفيد معنى جديدا ، بل يفهم معناها بدون ذكرها ، اذ يكون معناها فيما قبلها ، وتكون ثابتة لازمة

---

(١) ضياء السالك على التوضيح جـ٢ ص ٢١١

غير متنقلة ، ويهذا سميت مؤكدة .

ولما أن كانت هذه الحال تدل على شيئين :

الأول : معنى الفعل ، والثاني : صاحب الحدث أو ما وقع عليه الفعل ، اختلفت عن المصدر المؤكد للفعل ولذلك احترز عنه أي المصدر في تعريف الحال : بـ (غير حدث) .

وجاءت الحال مؤكدة اما لعاملها (الفعل) أو (صاحبها) أو مضمون الجملة قبلها ، مثل المصدر ، فأشبهت المصدر في تأكيده للفعل أو مضمون الجملة قبله ، واختلفت في تأكيدها لصاحبها ، وهذا لأن المصدر لا يكون مؤكدا الا لعامله الفعل ، لأنه يدل على معناه فقط ، فهو بمثابة تكرار الفعل ، أما الحال فهي تدل على معنى الفعل وفاعله ، فنجد الحال اما أن تأتي مؤكدة لعاملها الفعل كما في الآية : " ويوم أبعث حيا " فالحال في هذه الآية أكدت عاملها الفعل ، ولكن وصف دل على معنى عامله وخالفه لفظا أو وافقه ، فمثال المؤكدة والمخالفة في اللفظ في قوله تعالى : " ولا تعثوا في الأرض مفسدين " (١) وقوله تعالى : " ثم وليتم مدبرين " (٢) .

وكان البعض يرى ان هذا المثال أريد به التأكيد .

ومثال ما جاءت الحال فيه مؤكدة لصاحبها قوله تعالى : " لآمن من في الارض كلهم جميعاً " (١) فجميعا حال من (من) وهي بمعنى مجتمعين واما مؤكدة لمضمون الجملة قبلها أي : مؤكدة لمضمون هذه الجملة ، وشرط هذه الجملة

---

(١) سورة هود آية ٨٤
(٢) سورة التوبة آية ٢٥
(٣) سورة يونس آية ٩٩

أن تكون اسمية وجزآها معرفتان ، جامدان ، وذلك مثل قوله تعالى :
" الم ذلك الكتاب لاريب فيه " (١) وذلك لأن الحال تكون تأكيدا للخبر بذكر
وصف من أوصافه الثابتة له ، والفعل لاثبات له ولا يوصف .

فجملة (لاريب فيه) حال مؤكدة لمضمون قبلها (ذلك الكتاب)
على معنى أن (أل) في الكتاب للكمال ، والمعنى ذلك الكتاب البالغ غاية الكمال
فان هذا يستلزم انتفاء كونه محلا للريب والشك ، ولهذا يمتنع دخول الواو عليها
لأن المؤكد عين المؤكد فلو قرنت بالواو كانت في صورة عطف الشيء على نفسه
ولهذا يقول البلاغيون : ان بين جملة (لاريب فيه) وما قبلها كمال الاتصال
الذي يقضي باتصالها بما قبلها يعنيها من كمال الاتصال

وجاء في تفسير الكشاف للزمخشري رحمه الله ، : ومعناه أن ذلك
الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل
أن يسمى كتابا ، ا هـ (٢)

كما جاء في الحاشية لأبي الحسن الجرجاني : قوله : ومعناه أن ذلك
هو الكتاب الكامل يشير ... ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ايذانا بأن التركيب يفيد الحصر
بناء على أن اللام للجنس حيث لاعهد ، ووصف الكتاب بالكامل تنبيها على أن المقصود
من حصر الجنس حصر الكامل ، والا لم يكن الحصر صحيحا ، وقال : كأن ماعداه

---

(١) سورة البقرة آية ٢
(٢) الكشاف ص ١١١ جـ ١

تصريحا بما يتضمنه حصر الدمان فيه من اثبات النقصان لما يقابله من الكتب تأكيدا . (١)

ولما كانت أل في (الكتاب) للحصر والاستغراق فاقتضى ذلك التوكيد لدفع توهم التجوز والمبالغة فأكد هذا المعنى ونفى الكمال لذلك الكتاب بقوله بقوله تعالى : (لاريب فيه) لتأكيد المعنى المستفاد من الجملة الثانية (ذلك الكتاب) .

وجاء في تفسير الكشاف : فان قلت : كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه ؟ قلت : ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه ، وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له ، لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ، ألا ترى الى قوله تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله " فما أبعد وجود الريب منهم ، وأعرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة ، هل تتم بالمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مجال للريبة .

وهذا النظم من الكلام الذي جاء في هذه الآية مناسب للمقام ، لأن المقام مقام نفي الريب عن القرآن الكريم فقط دون اختصاصه بنفي الريب عنه ولذلك لم يقدم الظرف في (لاريب فيه) .

---

(١) الكشاف ج١ ص ١١١

فجاء في تفسير الكشاف للزمخشري / فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى : لا فيها غول . قلت : لأن القصد في ايلاء الريب حرف النفي ، نفي الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل ولا كذب ، كما كان المشركون يدعونه ولو أولى الظرف لقصد الى ما يبعد عن المرام وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه ، كما قصد في قوله : لا فيها غول ـ تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي ، كأنه قيل : ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة . (١)

فهذا المعنى وان كان استفاده في الآية لا يناسب هذا المقام ، اذ المقصود أن القرآن حق لا مجال فيه للريبة ردا لما يزعمه المشركون ، لا أن الريب منفي عنه وثابت في غيره اذ لم يكن هناك منازعة في ذلك .

وهذا النظم في القرآن الكريم يتناول أيضا أن الريب كان من المشركين فيه في كل زمان ومكان في الكتب السماوية على السواء . فالنظم مع أنه مناسب للمقام فانه صالح لتناول معنى : أن الريب كان من المشركين في الكتب السماوية في كل زمان نزل فيه كتاب سماوي وأما قوله : " هدى للمتقين " فان كان محلها النصب ـ لأنه يجوز فيها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف ـ على أنها حال فهي أيضا حال مؤكدة والعامل فيه معنى الاشارة أو الظرف فيكون " لا ريب فيه " تأكيدا لذلك الكتاب ، " هدى للمتقين " تأكيدا لنفي الريب فيه ، وكل واحدة من هذه الجمل الثلاث مؤكدة

---

(١) الكشاف ج١ ص١١٥

وصورة معنى ما اتصلت به لفظا لانجال للمنافسة منها .

فقوله تعالى : " هدى للمتقين " منزله من قوله تعالى : " لاريب فيه منزلة التوكيد المتالى من متبوعه فى المعنى . فالمعنى أنه فى الهداية بالغ درجة لايدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة وهذا معنى قوله "ذلك الكتاب"

وهذا كما فى قوله تعالى : سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون[١] فان معنى قوله " لايؤمنون " معنى ماقبله ، وكذا مابعده تأكيد ثان . ويجوز أن تكون (لايؤمنون) خبرا لا والجملة قبلها اعتراض .[٢] وكما فى قوله تعالى : " واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ؛[٣] فقوله تعالى : " انما نحن مستهزئون " تأكيد لقوله (انا معكم) وهذا لأنه أكد المعنى المستفاد من قوله : " انا معكم : فمعنى انا معكم : الثبات على اليهودية . وكونهم مستهزئين للمؤمنين يفيد أنهم ثابتون على اليهودية .

فجاء فى الكشاف للزمخشرى رحمه الله : فإن قلت : أنى تعلق قوله (انما نحن مستهزئون : بقوله : انا معكم : قلت هو تأكيد له ، لأن قوله : انا معكم معناه الثبات على اليهودية " وقوله : انما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته أو بدل منه ، لأن من حقر الاسلام فقد عظم الكفر اهـ[٤]

---

(١) سورة البقرة آية ٦
(٢) انظر الكشاف للزمخشرى جـ١ ص ١٥٥
(٣) سورة البقرة آية ١٤
(٤) - الكشاف جـ١ ص ١٨٦

وهذا أيضا فى قوله تعالى : كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا (١)
فالآية (كأن لم يسمعها) حال من (مستكبرا) ، (كأن فى أذنيه وقرا) حال مؤكد
من (كأن لم يسمعها) (٢).

ويقتضى هذا التأكيد دفع توهم التجوز والغلط.
اما الجملة المؤكدة لعاملها فقد تقترن بالواو نحو قوله تعالى : " واذ
أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى
واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا
منكم وأنتم معرضون " (٣) فمعنى توليتم : أعرضتم عن الوفاء به وأكد هذا
المعنى بقوله تعالى : وأنتم معرضون.

وجاء فى الكشاف للزمخشرى - رحمه الله - " وأنتم معرضون " وأنتم
قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية ... (٤) فالحال ، وأنتم معرضون ،
مؤكدة لمعنى التولية فى قوله : ثم وليتم ، للتأكيد على تناهى حالهم فى الاعراض
والضلال.

وكذلك قوله تعالى : ثم أقررتم وأنتم تشهدون (٥)
وفى الآية الثانية (٦) معنى الاقرار أقرب من الشهادة : فالشهادة
فيها تأكيد على الاقرار.

---

(١) سورة لقمان آية ٧
(٢) انظر الكشاف ج٣ ص ٢٢
(٣) سورة البقرة آية ٨٣
(٤) الكشاف ج١ ص ٢٩٣
(٥) سورة البقرة آية ٨٤
(٦) سورة البقرة آية ٨٤

فالحال المؤكدة قد تأتي مؤكدة لعاملها ، وقد تأتي مؤكدة لصاحبها وقد تأتي مؤكدة لمضمون الجملة قبلها . فمثال ما جاء في القرآن الكريم من الحال المؤكدة لعاملها دون مخالفة لفظا ، قوله تعالى : "ويوم أبعث حيا" . (١) وقوله تعالى : "ولا تعثوا في الأرض مفسدين" . (٢) فإن قوله (مفسدين) مستفاد من الفعل (تعثوا) إذ معناه أفسدوا ، فجاءت هذه الحال مؤكدة لهذا الفعل (تعثوا) وهو عاملها وقوله تعالى : "فتبسم ضاحكا" . (١) ، لأن معنى التبسم : الضحك وهو نوع منه ، فيمكن أن يكون الفعل فيه معنى الحال ، وإن كان في الحال زيادة ، فإذا المراد تأكيد العامل (الفعل) وقوله تعالى : "ولى مدبرا" . (٤) "ثم وليتم مدبرين" . (٥) الإدبار منهم في الآيتين أكد الفعل (ولى) ولو أن التولي لا يتضمن معنى الإدبار ، وذلك لأنه إذا أدبر فلانا أنه ولى ظهره ، والانعكاس يكون أدبر ولم يول ظهره ، ومن ثم أكد الإدبار التولي لأن فيه زيادة كالطة على التولي ، وذلك بالإدبار والهروب ، ففائدة التأكيد بهذه الحال : أنه من الممكن أن يتولى الإنسان ظهره لشيء ولكن ربما يسرق بطرف عينه ما وراء ظهره أو ربما يكون التولي بجانبه غير مصحح ما وراءه .

ولما كان هذا من الممكن أن يتوهم ويفهم من التولي أكد أنهم لم ينظروا ولم يلتفتوا بقوله (مدبرا) ، (مدبرين) وهو المراد في سياق الآية .

ولذلك أكد بعض الأصل في الآية لهم بقوله (ولم يعقب) (٤)

ونظير ذلك قوله تعالى : "(٦) إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين" إذ في قوله تعالى : "إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم"

---

(١) سورة مريم آية ٣٣
(٢) سورة العنكبوت آية ٣٦
(١) سورة النمل آية ١٩
(٤) سورة النمل آية ١٠
(٥) سورة التوبة آية ٢٥
(٦) سورة النمل آية ١٠

معنى أنهم لا يطمعون الى الهداية ، ومع ذلك أريد تأكيد هذا المعنى بقوله تعالى : (اذا ولوا) ثم أبرز هذا التأكيد بما هو تأكيد ، وأرى صورة حيث قال (مدبرين) أي مولين ظهورهم وتاركين بعيدا حتى لا يكون هناك بصيص من الشك في أنهم ربما يطمعون الى شيء من الهدى ، فهذه أجلى صورة لتصويرهم وهم في نهاية التعنت .

أما الحال المؤكدة لعاملها فهي مثل قوله تعالى : " وأرسلناك للناس رسولا " (١) ، حيث هذه الآية لإثبات ارسال الرسول الى الناس جميعا ولذلك قدم الظرف (للناس) وهو متعلق الارسال ، وهذا يفيد نفي كونه رسولا لبعضهم خاصة ، لأنه هو المقابل لكون الناس لا لبعضهم مطلقا .(٢)

اذاً يفهم من هذا أن المراد اثبات أن محمدا رسول ، ولهذا فاني أرى أن (رسولا) توكيد لعاملها (المنصوبة به في أرسلناك) ولم يكن توكيدا للفعل العامل اذ من الممكن أن يكون المرسل غير رسول ، فقد قال الله تعالى : " اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم " (٣) فأريد من هذه الحال تقرير أنه صلى الله عليه وسلم رسول أرسل للناس جميعا حالة كونه رسولا من عند الله . وقوله تعالى : " وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد " (٤) فقوله تعالى : (غير بعيد) حال مفهومة من قوله (وأزلفت الجنة للمتقين) فهي مؤكدة لمضمون الجملة قبلها حيث فهم معناها من مضمون الجملة قبل ذكرها ، وجاء تأكيدا لهذا المعنى .

وجاء في الكشاف للزمخشري – رحمه الله – (غير بعيد) نصب على الظرفية : أي مكانا غير بعيد أو على الحال ، وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالزئير

---

(١) سورة النساء آية ٧٩
(٢) انظر الايضاح للقزويني ص ١٥٦ ، الكشاف للزمخشري جـ١ ص ٢٦٤ .
(٣) سورة الذاريات آية ٤١
(٤) سورة ق آية ٣١

والمطلق ، وإحداهما يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث أو علـى حذف الموصوف أى شيئا غير مجذوذ ، ومثاله : التوكيد كما تقول : عزيز غير مجذوذ ، وعزيز غير ذليل . أ هـ (١)

وكذلك قوله تعالى : " وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض (٢) فقوله : " خالدين فيها " تأكيد لما قبله وهو قوله : ففى الجنة والخلود مفهوم من قوله " ففى الجنة "

وجعل سيبويه هذا التوكيد بالحال من باب ما يشغل فيه المستقر توكيدا وذلك قولك : فيها زيد قائما فيها فإنما انتصب (قائم) باستغناء زيد بفيها ، وقال : وإن زعمت أنه انتصب بالآخر فكأنك قلت : زيد قائما فيها فإنما هذا كقولك قـد ثبت زيد أميرا قد ثبت ، فأعدت قد ثبت توكيدا ، وقد عمل الأول في زيد وفي الأمير فإن أردت أن تلغى فيها قلت : فيها زيد قائم فيها ، كأنه قال : زيد قائم فيها فيها ، فيصير بمنزلة قولك : قد زيد راغب فيك .

فجعل سيبويه تثنية الظرف ، وهى تكريرها ، بمنزلة ما لم يقع فيه تكرير في حكم اللفظ ، وجعل التكرير توكيدا للأول ، لا يغير شيئا عن حكمه فيما يكون خبرا وما لا يكون خبرا . وقال الكوفيون : ما كان من الظروف يكون خبرا ، ويسمونه الظرف التـام فإنك إذا كررته وجب النصب في الصفة ، وإن لم تكرره فأنت مخير ، إن شئت نصبت وإن شئت رفعت ، واحتجوا في المكرر بالآية : " وأما الذين سعدوا ففى الجنـة خالدين فيها .

---

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٠

(٢) سورة هود آية ١٠٨

وقال سيبويه : فان قلت : قد جاء : " وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ، فهو مثل : ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين ".(١)

وجاء فى كتاب الكشاف للزمخشرى : (فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة ، وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون ، من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا .(٢)

وكذلك فى قوله تعالى : " وهو الحق مصدقا " (٣) فمصدقا حال مؤكدة فهمت مما قبلها " وهو الحق " اذ الحق لايكون الا مصدقا ، وقوله تعالى : " نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا " (٤) ، وقوله : هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات " (٥) ، وقوله تعالى : " شهد الله أنه لااله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط " فقوله : (قائما) حال مؤكدة لمضمون الجملة فبمهلها اذ أن سياق الآية لاثبات أن الله سبحانه وتعالى بين لخلقه بالدلائل والآيات أنه لامعبود فى الوجود بحق الا هو وشهد بذلك الملائكة وأولوا العلم من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ، فجاءت الحال (قائما) مؤكدة لهذا المضمون لأن معنى (قائما) أنه تفرد بتدبير كل ما خلقه فى الكون بالعدل ، لا اله الا هو كررت تأكيدا لما مضى .

وقد جاء فى التنزيل الحال للتأكيد جارا ومجرورا محتملا للضمير من صاحب الحال ، وذلك كقوله تعالى : " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم " .(٦)

---

(١) سورة الطور آية ١٧، ١٨ ، انظر الكتاب لسيبويه ص ١٢٥-١٢٦ ج٢
(٢) انظر الكشاف ج ٤ص ٢٣
(٣) سورة البقرة آية ٩١
(٤) سورة آل عمران آية ٣
(٥) سورة آل عمران آية ٧
(٦) سورة البقرة آية ٧٩

فقوله : بأيديهم حال مؤكدة لمضمون الجملة قبلها وهي (يكتبون)(١)

وجاء في الكشاف : (بأيديهم) تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول : لمن ينكر معرفة ما كتبه : يا هذا كتبته بيمينك هذه (٢) .

فائدة : الاتيان (بأيديهم) تصوير الحالة في الذهن كما وقعت حتى يكاد السامع لذلك أن يكون مشاهدا للهيئة .

وقوله تعالى : " ونحن نسبح بحمدك "(٣) اذ أن التسبيح دل على الحمد ، فالحال أكدت هذا المعنى ، وقوله : " يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده "(٤) وقوله : " وان من شيء الا يسبح بحمده "(٥) ، وقوله : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات "(٦) فقوله " منه " حال والتقدير : ثابتا منه آيات محكمات وقد فهم معناه مما قبله وقوله تعالى : " انما يأكلون في بطونهم نارا "(٧) فقوله " في بطونهم " حال من الضمير في يأكلون ، وقد دل على معناه (يأكلون) فهذا تأكيد لمضمون ما قبله .

والنص من التأكيد اشعار اليقين بالنار ، اذ المعنى : انما يأكلون ملء النار في بطونهم ، فالمراد هنا من ذكر البطون تصوير الأكل للسامع حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير ، ولأجل تأكيد التشنيع على الظالمين لليتيم في حالة الأكل لأنه أبشع الأحوال التي يتناولها مال اليتيم فيها .

وجاء في الكشاف : (في بطونهم) ملء بطونهم ، يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه ، قال : كلوا في بعض بطنكم تعفوا (٨)

---

(١) سورة البقرة آية ٧٩
(٢) الكشاف جـ١ ص ٢١٢
(٣) سورة البقرة آية ٣٠
(٤) سورة الاسراء آية ٥٢
(٥) سورة الاسراء آية ٤٤
(٦) سورة آل عمران آية ٧
(٧) سورة النساء آية ١٠
(٨) الكشاف جـ١ ص ٥٠٤

وهذا كما فى قوله تعالى : "فخر عليهم السقف من فوقهم" (١) فقوله (من فوقهم) حال فهم معناها مما قبلها وجاءت لتأكيد هذا المعنى الذى فهم مما قبلها .

وقال النحويون : ان مثل هذا النوع ضرب من الاطناب مراد به التأكيد ، وسيأتى بيانه عند البلاغيين .

مايدل على الدوام من الأحوال :

هناك أحوال تدل على الدوام بقرائن خارجية ، وذلك كقوله تعالى : "أنزل عليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه الحق" (٢) فمعنى : مفصلا : مبينا فيه الحق ، وهى حال من الكتاب وعاملها أنزل ، وتبيين الكتاب للحق من الباطل أمر ثابت ولازم للكتاب ، وهذا معروف من أمر خارج عن الجملة وهو علم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له . (٣)

ومثل العلماء بالنسبة للآية : "قائما بالقسط" "والتى سبقت" يقول : ان قائما تدل على الثبوت واللزوم من أمر خارج ، وذلك لدوام قيامه تعالى بالعدل .

وبالنسبة للآية : "قل بل ملة ابراهيم حنيفا" (٤) فقيل : ان حنيفا حال من ابراهيم وهو صفات اليه .

---

(١) سورة النحل آية ٢٦
(٢) سورة الانعام آية ١١٤
(٣) انظر الكشاف جـ٢ ص٤٦
(٤) سورة البقرة آية ١٣٥

وقد جعل ابن الشجري (حنيفا) حالا من (ملة) قال في المجلس الثالث من أماليه كما نقله البغدادي في الخزانة [١] ومما جاءت الحال فيه من المضاف قوله تعالى : " قل بل ملة إبراهيم حنيفا) قيل : ان (حنيفا) حال من ابراهيم ، والأوجه من ذلك عندي أن تجعله حالا من الملة ، وإن خالفها بالتذكير ، لأن الملة في معنى الدين ، ألا ترى أنها قد أبدلت من الدين في قوله تعالى : " (دينا قيما ملة ابراهيم) [٢] فاذا جعلت حنيفا حالا من الملة فالناصب له هو الناصب للملة ، وتقديره : بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وإنما أضمر (نتبع) لأن ما حكاه الله عنهم من قولهم : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا معناه اتبعوا اليهودية أو النصرانية فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وإنما ضعف مجيء الحال من المضاف إليه لأن العامل في الحال ينبغي أن يكون هو العامل في ذي الحال " اهـ

وأما قوله تعالى : " النار مثواكم خالدين فيها " [٣] فالتقدير : أي موضع ثواكم ، أي ثوائكم ، (خالدين) حال من الضمير في ثواكم ، وهو فاعل في التقدير ، كما تقول أعجبني ضرب زيد قائما ، (قائما) حال من زيد وهو فاعل في المعنى والتقدير .

ولنا أن نقول : إن الحال مما أضيف إليه لا يجيء إلا إذا كان المضاف فاعلا أو مفعولا يصح حذفه وقيام المضاف إليه مقامه ، كما أنك لو قلت : بل نتبع ابراهيم ، فقال : بل ملة ابراهيم فكأنه حال من المفعول ، أو إذا كان المضاف فاعلا

---

(١) الخزانة ١/ ٥١١
(٢) الأنعام آية ١٦١
(٣) الأنعام آية ١٢٨

أو مفعولا وهو جزء المضاف اليه ، فكأن الحال من المضاف اليه هو الحال من المضاف ، كما في قوله تعالى : " وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين " (مصبحين) حال (١) مما دل عليه ضمير مقطوع ، وذلك لأنه نائب عن (دابر هؤلاء) فهو حال من هؤلاء المضاف اليه لأن دابر الشيء أصله فكأنه قال : يقطع دابر هؤلاء مصبحين ، فكأنه حال من مفعول مالم يسم فاعله (أي من دابر وهو المضاف) .

توالـي الصفـة :

اذا جاءت صفتان متتاليتان فلابد أن تكون الصفة العامة هي السابقة للخاصة ، اذ أن الصفة للبيان والتوضيح ، فاذا ما جاءت العامة بعد الخاصة فلا بيان ولا توضيح بها ، لأنها بعد الخاصة فلا فائدة منها .

وهذا في مثل قوله تعالى : واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . (٢) فلا يجوز أن يكون (نبيا) صفة لـ (رسول) ، لأن النبي أعم من الرسول ، اذ كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا .

ولذا فان (نبيا) حال مؤكدة لمضمون الجملة قبلها وصاحب الحال الضمير المستتر في (رسولا) والعامل في الحال ما في رسول من معنى (يرسل) أي كان اسماعيل مرسلا في حال نبوته .

وفائدة التوكيد بها (أي بالحال) هو تأكيد أنه رسول من الله وقد اصطفاه لمافيه من صفات النبوة من الوفاء بالوعد .

---

(١) سورة الحجر آية ٦٥
(٢) سورة مريم آية ٥٤

الحال المؤكدة :

تأتي الحال مؤكدة بعد اسم الإشارة والضمير والأسماء المبهمة منبهة على حال المسند إليه ، وهذا في المثال : هذا عبدالله منطلقا ، وهؤلاء قومك منطلقين ، وذاك عبدالله ذاهبا ، وهذا عبدالله معروفا ، ففي المثال الأول : هذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده (عبدالله) ولم يكن ليكون هذا كلاما حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله ، فالمبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه فقد عمل هذا فيما بعده كما يعمل الجار والفعل فيما بعده ، والمعنى : أنك تريد أن تنبهه له منطلقا ، لا تريد أن تعرفه عبدالله ، لأنك ظننت أنه يجهله فكأنك قلت : انظر إليه منطلقا ، فمنطلق حال قد صار فيها عبدالله وحال بين منطلق وهذا كما حال بين راكب والفعل حين قلت : جاء عبدالله راكبا ، فصار جاء لعبدالله وصار راكب حالا ، وكذلك هذا وما جاء من الشعر على هذا المنوال قول الشاعر ابن دارة :

أنا ابن دارة معروفا بها نسبي
وهل بدارة يا للناس من عار (١)

يجوز في هذه الحال الرفع من أربعة أوجه :

الأول : على إضمار اسم الإشارة أو الضمير ففي المثال : هذا عبدالله منطلق أي هذا ، وكان المثال : هذا منطلق أو هو منطلق .

الثاني : أن يكون الاسمان خبرا لهذا مثل قولنا : هذا حلو حامض .

الثالث : أن تجعل عبدالله معطوفا على هذا عطف بيان .

الرابع : أن يكون منطلق بدلا من عبدالله وتقديره هذا عبدالله رجل منطلق ، فتبدل رجل من زيد ثم تحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه .

---

(١) انظر كتاب سيبويه ج٢ ص ٧٨-٧٩ طبعة عبدالسلام هارون والشاهد في البيت نصب معروفا على الحال المؤكدة لجملة (أنا ابن دارة)

ومثل هذا جاء في القرآن الكريم : كلا إنها لظى نزاعة للشوى . (1)

وجاء في قراءة أبي عبد الله (بن مسعود) " هذا بعلي شيخ " . (2) ومثله

وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد . (3)

ومما جاء في الشعر من العرب يرفعه قول ابن رؤبة

من يك ذا بت فهذا بتي

مقيظ مصيف مشتي (4)

---

(1) سورة المعارج آية 15

(2) سورة هود آية 72

(3) سورة البروج آية 14

(4) انظر كتاب سيبويه جـ1 ص 83 – 84 والشاهد في بيت رؤبة وقيل انه من الخمسين التي لم يعرف لها قائل – رفع مقيظ وما بعده على الخبر . والنصب على الحال أحسن ويجوز رفعه على البدل

النوع الثالث : من الانواع الملحقة بالتكرار

التوكيد بالوصف (النعت)

والفرق بين الصفة والتوكيد نحو : أن منزلة الصفة من الموصوف منزلة المكمل لمعناه ، فهي له حتى لا يفهم المعنى المراد إلا بهما معا ، وحتى يكونا في الدلالة على معناه .

والنعت : تفسير مأخوذ من قول سيبويه (١) قال : في مثل مررت برجل ظريف ما نصه : " فصار النعت مجرورا مثل المنعوت ، لأنهما كالاسم الواحد من قبل أنك لم ترد الواحد من الرجال الذين كل واحد منهم رجل ظريف ، فهو نكرة وإنما كان نكرة ، لأنه من أمة كلها له مثل اسمه ، وذلك أن الرجال كل واحد منهم رجل ، والرجال الظرفاء كل واحد منهم رجل ظريف ، واسمه يخلطه حتى لا يعرف منها ، فتلتبس إحداهما إلى الأخرى " اهـ سيبويه

أما التوكيد فهو بمعنى المؤكد ، بخلاف الصفة ، لأنها تتضمن حقيقة الأول وحالا من أحواله ، والتوكيد يتضمن الأول فقط .

وفائدة التوكيد تقرير المعنى المراد وتمكينه كما سبق بيانه .

أما فائدة الصفة فقد تكون للتخصيص ، وذلك عند وصف النكرة ، لإخراج الاسم من نوع إلى نوع أخص منه أو للتوضيح والبيان ، وذلك عند وصف المعرفة

وقد يجيء الوصف أي النعت لمجرد الثناء والمدح لا يراد به إزالة اشتراك ولا تخصيص نكرة بل لمجرد الثناء والمدح أو ضدهما ، وتعريف المخاطب من أمر الموصوف —

---

(١) سيبويه جـ١ ص ٢١٠

(٢) انظر الأشموني جـ٣ ص ٥٩

(٣) انظر كتاب سيبويه جـ١ ص ٢١٠ ، شرح المفصل جـ٣ ص ٤٧

مالم يكن يعرفه ، وهذا فى مثل وصف البارى سبحانه وتعالى : نحو: انه العالم القادر ، لا نريد بذلك فصله من شريك له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وانما المراد الثناء عليه بمعانيه سبحانه على جهة الاخبار بمعانيه من صفات. وايضا هذا مثل قوله تعالى(١) " يحكم بها النبيون الذين أسلموا " فهذا الوصف للمدح ليس غير لأنه لا يمكن أن يكون هناك نبيون غير مسلمين (٢) حيث قال : وأريد بها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الاسلام التى هى دين الانبياء كلهم فى القديم والحديث ، وأن اليهود بمعزل عنها " ا هـ

هذا كله من الصفات وليس فيها حظ من التوكيد ، وذلك لما بينت من دلالة كل منها .

واذا ما جاءت الصفة ومدلولها مستفاد مما فى الموصوف فيصير ذكره فى الصفة كالتكرار ، اذ ليس فيه زيادة معنى ، فاذا قال : رجل ظريف فهذا الظرف لم يفهم من الموصوف (رجل) .

وبهذا تكون الصفة هنا لا للتخصيص ولا للتوضيح وانما للتوكيد ، وطريق التوكيد فى هذا هو أن المعنى كرر مرتين ، وذلك فى مثل قوله تعالى : " فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة " فكلمة واحدة صفة لـ (نفخة) وقد دلت كلمة (نفخة) على الصفة (واحدة) قبل ذكرها وذلك لأن التاء فى (نفخة) تدل على الوحدة فذكر الوحدة بعد الدلالة عليها فى كلمة (نفخة) الموصوف كأنه كرر مرتين ، ومن ثم جاء التوكيد .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤

(٢) انظر الكشاف جـ١ ص ٤٩٥

ولذا عدت هذا النوع في باب الأقوال الملحقة بالتكرار للتوكيد .

وفائدة التوكيد في هذه الآية : فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة [1] ـ الإشارة إلى أن هذه النفخة الواحدة أمر هائل وعظيم لما له أثر عظيم ومع ذلك فهو أمر هين وسهل على الله .

وكذلك في قوله تعالى في الآية : وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، جاء التوكيد هنا بالصفة (واحدة) أيضا لتوكيد معنى هائل وهو القدرة الباهرة على حمل الأرض والجبال ودكهما بدكة واحدة ، وهذا أمر هين ويسير على المولى جل جلاله .

جاء في حاشية الكشاف لأبي الحسن الجرجاني : " قوله تعالى : " فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة " قال فيه إن قلت : لم قال واحدة وهما نفختان .. إلى قال واحدة : وأما فائدة الإشعار بعظم هذه النفخة أن المؤثر لدك الأرض والجبال وخراب العالم هي وحدها غير محتاجة إلى أخرى [2]

وزيادة على ذلك فإن فوائد التوكيد بالوصف بواحدة ، ليصح أن يقوم المصدر مقام الفاعل بوصفه ولو أن التاء فيها تقوم مقام الوحدة ، للدلالة على أن النفخة لا اختلاف في حقيقتها فهي واحدة بالنوع كقوله تعالى : " وما أمرنا إلا واحدة [3] أي لا اختلاف في حقيقته ومثل ذلك قوله تعالى : وإلهكم إله واحد [4] فلو قيل . ما فائدة (إله) مع أنه لو قال : إلهكم واحد لكان أخصر .

---

(١) سورة الحاقة آية ١٣

(٢) الكشاف جـ ٤ ص ١٥١

(٣) سورة القمر آية ٥٠

(٤) سورة البقرة آية ١٦٣

فالاجابة : أن هذه الآية سيقت لاثبات أحديته في ذاته ونفي ما يقوله النصارى: انه اله واحد والأقانيم ثلاثة أي الأصول ، كما أن زيدا واحد وأعضاؤه متعددة ، فلما قال : اله واحد دل على أحدية الذات والصفة .

أما على التقدير (الحكم واحد) فيكون اخبارا عن كونه واحدا فـــي الهيته ولم يكن اخبارا عن توحده في ذاتـــه .

وكذلك في قوله تعالى : " الهين اثنين " ، في قوله تعالى : وقـال الله لاتتخذوا الهيـــن اثنين انما هو اله واحد . " (١) . صفتان قصد بهمـــا مجرد التأكيد أي للتقرير والتقوية حيث ان التثنية المستفادة من اللفظ (الهيـــن) ذكرت في الموصوف بصيغة التثنية ، فائدة قوله (اثنين) توكيد النهـــي عن الاشراك بالله ، وذلك : أن معنى التثنية شامل لجنس الصفات ، فلو وصـــف (الالهين) بوصف آخر ، فقيل مثلا : (الهين عظيمين) لأفهم هذا أن الكبيرين يجوز أن يتخذا الهين . (٢)

وفي قوله تعالى : " من كل زوجين اثنين " (٣) عند من قرأ بتنويـــن (كل) ، (زوجين) مفعول لـ (احمل) ، (اثنين) صفة أريد بها تقريـــــر المعنى المراد وهو حمل زوجين ذكر وأنثى .

وهذا كما قاله الأخفش في قوله تعالى : " فان كانتا اثنتين " (٤) ونقله الحريري عنه (٥) حيث جاء مانصه : " قال مروان بن سعيد المهلبي سأل أباالحسن

---

(١) سورة النحل آية ٥١
(٢) سورة هود آية ٤٠ ، والمؤمنون ٢٧
(٣) سورة النساء آية ١٧٦
(٤) درة الغواص للحريري صفحة ١٧
(٥) في درة الغواص للحريري ص ١٧

الأخفش فقال: ما الفائدة في هذا الخبر؟ أراد مروان: أن لفظ (كانتا) تفيد التثنية فما الفائدة في تفسير الضمير المسمى باثنتين مع أنه لا يجوز .. "فإن كانتا ثلاثا" ولا غير ذلك، فلم يفصل الخبر الاسم في شيء؟!.

فأجاب أبو الحسن: بأنه أفاد العدد المحض مجردا عن الصفة أي قد كان يجوز أن يقال: "فإن كانتا صغيرتين فلهما كذا، أو كبيرتين فلهما كذا أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات، فلما قال: (اثنتين) أفهم أن فرض الثلثين للأختين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط، وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثنى، ومعناه أنهم كانوا في الجاهلية يورثون البنين دون البنات، وكانوا يقولون: لا نورث إلا من يحمي الكرم ويقاتل العدو.

فلما جاء الإسلام بتوريث البنات أفادت الآية أن العبرة في أخذ الثلثين من الميراث منوطة بوجود اثنتين من الأخوات من غير اعتبار أمر زائد على العدد .." اهـ.

إن كل ما جرى بيانه من الصفات التي جاءت للتوكيد، لدلالة الموصوف عليها قبل ذكرها، فكانت بمثابة التوكيد حتى ظن بعض العلماء أنها ليست صفة وإنما هي توكيد، وهذا الظن بعيد، لأن التوكيد هو نفس الأول لفظا أو معنى في صراحة أو ضمنا، والصفة هنا دل عليها الأول ضمنا وليست هي نفس الأول. فمثلا ليس (واحدة) دلالة على (نفي)، وبهذا فهي ليست توكيدا نحويا وإنما هي صفة أفادت التوكيد وذلك لأن الموصوف أفاد معناها بالتضمن، وإذا كان هذا المعنى المستفاد ضمنا من التضمن شمولا وإحاطة فالتابع في هذه الحال توكيد لا صفة مثل (كل) فإن لم يكن فهو صفة، وإن كان التضمن ومعنى التابع سواء بالمطابقة فالتابع تكرار (توكيد لفظي)، وإنما تأتي الصفة مفيدة التوكيد، إذا كانت صفة لازمة، وليس المراد التوضيح أو التخصيص، وهذا في مثل قوله تعالى: "

"ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به" (١) فقوله : لا برهان له به ، صفة لـ (إلها) جيء بها للتوكيد ، لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يكون عليه برهان ، قاله الزمخشري (٢) ؛ وهي كقوله "وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا" (٣)

وهذا كما في قوله تعالى : "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه" فإن قوله : في الأرض ، صفة لـ (دابة) ، وقد أفادت (دابة) أنها على الأرض فجيء بهذه الصفة (في الأرض) لتأكيد معنى الدابة ، وبيان ذلك : أن (من) الزائدة ، و(دابة) النكرة التي تفيد الاستغراق ، أي كل دابة أكد هذا العموم والاستغراق بالصفة التي استفيد معناها قبل ذكرها (في الأرض) لإفادة استغراق جميع الدواب في جميع بقاع الأرض ، وهي : صفة لازمة ، وكذلك قوله تعالى : "ولا طائر يطير بجناحيه" ، يطير بجناحيه : صفة لازمة ، أفادت التوكيد وذلك لأن (لا) تفيد الاستغراق لدخولها على النكرة ، أي استغراق كل طائر له جناحان فأكد هذا المعنى بالصفة اللازمة "يطير بجناحيه" .

والبلاغيون يقولون : إن هذا النوع من الإطناب لأنه زيادة حيث أفيد معناها أي معنى الصفة ذكر فيما قبلها أي الموصوف ، وهذا الإطناب أريد به التوكيد . وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله عند البلاغيين .

---

(١) سورة المؤمنون آية ١١٧
(٢) الكشاف للزمخشري جـ٣ ص ١٦٢
(٣) سورة آل عمران ١٥١

النوع الرابع : من الأنواع الملحقة بالتكرار

التأكيد بالعطف عطف نسق

عطف النسق هو التالي لحرف النسق ، وكونه تاليا لحرف النسق يخرج جميع التوابع . (١)

والنعت منه الضرب وضربت ، أي الضرب الثاني أي المعطوف شريكه مع الأول المعطوف عليه في الحكم ، وليس التبعية الاتباع في الإعراب فقط فهو كما قال سيبويه : الضرب وضربت قال في كتابه (٢) : " هذا باب مجرى النعت على المنعوت ، والشريك على الشريك ، والبدل على المبدل منه ، وما أشبه ذلك " اهـ

وشرط المعطوف عطف نسق أن يكون مغايرا للأول ، لأنه لا يصح عطف الشيء على نفسه ، وبهذا فليس به تكرار ولا تأكيد ، لأنهما ألفاظ وجمل متغايرة قد عطفت بأداة من أدوات العطف .

أما إذا لم يكن بين المعطوف والمعطوف عليه تغاير فإنه يكون من نوع التكرار ، لأنه قد ذكر الشيء مرتين والغرض منه التأكيد .

ولذا عددت العطف الذي يفيد التكرار ضمن الأنواع الملحقة بالتكرار التي للتأكيد .

وبحث هذا الموضوع أي التأكيد يتطلب ثلاثة مباحث :-

---

(١) الأشموني حاشية الصبان ج٣ ص ٨٩

(١) الكتاب ج١ ص ٢٠٩

١ـ الأول : عطف الخاص على العـــــام

٢ـ الثاني : عطف أحد المترادفين على الآخــر

٣ـ الثالث : عطف العام على الخـــاص

" أما : عطف الخاص على العام ، وهو المبحث الأول فانه يكون للمعطـوف مزية خاصة على المعطوف عليه مع أنه جنس من أجناسه ، ويفرد المعطوف للتنبيه علـى هذه المزية وتنزيله منزلة التغاير في الذات والمعطوف والمعطوف عليه يـــــدلان على مفهومين مختلفين ولكن المعطوف داخل ضمن المعطوف عليه لأنه من عطـــــف الخاص على العام .

وهذا كما في قوله تعالى : " في جنات وعيون وزروع ونخل طلعهـــــا هضيم " (١) وربما يسبق الى الوهم أنه تكرير يدل على معنى واحـــــد وذلك لأن الزمخشري أشار الى ذلك في الكشاف (١) .

وعبارته : " فان قلت : لم قال : (ونخل) بعد قوله (في جنات) والجنـــــة تتناول النخل أول شيء يتناول النعم الابل ، كذلك من بين الأزواج ، حتى انهم ليذكرون الجنة ولايقصدون الا النخل ، كما يذكرون النعم ولايريدون الا الابل ، قـال زهير : من النواضح تسقي جنة سحقا قلت : فيه وجهان : أن يخص النخل بافـــراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر ، تنبيها على انفراده عنها بفضله ، وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر ، لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل "

---

(١) الشعراء آية ١٤٧ ـ ١٤٨

(٢) الكشاف جـ٣ ص ٢٥٨

فالكلمتان تدلان على مضمون إلا أن معنى الكلمة الثانية (نخل) خاص و (الجنة) عام، فكل نخل جنة، وليس كل جنة نخل، وينتظم بهذا السلك إذا كان التكرير بالمعطوف والمعطوف عليه في المعنى يدل على مضمون، أحدهما خاص والآخر عام، كقوله: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".

فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير، لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام، فكل أمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمرا بالمعروف وذلك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف.

ففائدة التكرار هنا عن طريق عطف النص: أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على مزيته وفضله وهذا أيضا: كقوله تعالى: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" وقوله تعالى: "فيهما فاكهة ونخل ورمان" وقوله: "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها" فإن الجبال داخلة في جملة الأرض، لكن لفظ الأرض عام والجبال خاص، وفائدته هنا تعظيم شأن الأمانة، اعتبار أمرها وتفخيم أمرها، وقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم كثيرا، مثل قوله تعالى: "والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة" (١)، فخص الصلاة بالذكر هنا مع أن الكتاب يشمل كل عبادة إظهارا لمرتبتها، لكونها عماد الدين.

وقوله تعالى: "من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال" (٢)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٠

(٢) سورة البقرة آية ٩٨

وجبرين هنا كأنه ذكر أربع مرات ، فانه اندرج تحت عموم الملائكة وتحت عموم رسله ثم عموم حزبه ثم خصوصه بالتنصيص عليه ، وقيل : ومن هذا قوله تعالى : " الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر " فقد قرأ أبو جعفر الملائكة بالجر عطفا على الغمام أو الظل ، هذا مع قراءة الرفع عطفا على لفظ الجلالة (١)

ومنه قوله تعالى : " والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد (٢) عطف الايمان بما نزل على محمد على الايمان وعمل الصالحات ، مع أن الايمان بما نزل على محمد من الايمان والعمل الصالح .

ولكن ذكر مرة ثانية لقصد تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه اذ لايتم الايمان الا بالايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : " ولهم فيها منافع ومشارب " (٣) .

وقوله تعالى : " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا " (٤)

ففائدة التكرار بعطف قوله تعالى : " ومن الذين أشركوا " مع دخولهم تحت عموم الناس ، هي أن حرصهم على الحياة أشد لأنهم كانوا لايؤمنون بالبعث .

وقوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب وبالآخرة هم يوقنون " (٥) .

ذكر الايمان بالآخرة بعد الايمان بالغيب مع أنه يشملها ، لأن المشركين أنكروها في قولهم [illegible] ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا " (٦) فكان في ذكرها مع المؤمنين .

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ١٩٢ ، والقرطبي جـ ٣ ص ٢٥
(٢) سورة القتال آية ٢
(٣) سورة يس آية ٧٣
(٤) سورة البقرة آية ٩٦
(٥) سورة البقرة آية ٣-٤
(٦) سورة الجاثية آية ٢٤

وشرط هذا النوع من العطف أن يكون العطف بالواو ، وإذا جاء ما عطف معطوف بغير الواو يؤول بالواو .

وما يجب نسى ذلك أن المعطوف – كما قلت – فرد من أفراد المعطوف أو جنس من أجناسه ، فإذا ما عطف بغير الواو فإن هذا المعنى لن يتأتى ، لأن الواو لا تمنع من عطف فرد على جميع أفراده ، بخلاف الفاء وثم ولكن ، وهكذا ، ومثال ما أتى بأو ومعناها الواو قوله تعالى : " ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه " (١) فأو هنا بمعنى الواو والمعنى يظلم نفسه بذلك السوء حيث دساها بالمعصية .

وكما في قوله تعالى : " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي " (٢) فأو هنا بمعنى الواو ، وأيضا في قوله تعالى : " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم " (٣)

الثاني : عطف أحد المترادفين على الآخر وهو نوع من التكرار ، وقد يسمى باب التكرار تكرار الجمل للتأكيد ، مثل قوله تعالى : " أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى " (٤) ، وعطف أحد المترادفين على الآخر مثل هذا لأنهما بمعنى واحد وذلك مثل قوله تعالى : " فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا " (٥) فالاستكانة هي الضعف ، ولكن ذكرت مرتين للتأكيد كما كررت الآية " أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى " ومثله قوله تعالى : " فلا يخاف ظلما ولا هضما " (٦) ، " لا تخاف دركا ولا تخشى " (٧) ، –

---

(١) سورة النساء آية ١١٠
(٢) سورة الأنعام آية ٩٣
(٣) سورة آل عمران آية ١٣٥
(٤) سورة القيامة ٣٤–٣٥
(٥) سورة آل عمران آية ١٤٦
(٦) سورة طه آية ١١٢
(٧) سورة طه آية ٧٧

وقوله: " ثم عبس وبسر " (١) وقوله : " انما أشكو بثي وحزني الى الله " (٢) فان البث والحزن بمعنى واحد ، وانما كررهما لشدة الخطب النازل به وتكاثر سهامه النافذة في قلبه .

والزيادة في ذكره على مرة واحدة لا تخلو اما أن تكون دلت على مادلت عليه المرة الواحدة أو دالة على زيادة معنى لم تكن في المرة الواحدة ، فان كانت دالة على مادلت عليه المرة الواحدة كان ذلك تطويلا من الكلام لا حاجة اليه ولكنه قد ورد مثله في القرآن الكريم ، والتطويل الذي لا حاجة اليه عيب في القرآن بل عيب عند البلغاء والفصحاء ، والقرآن الكريم معجز ببلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة اليه ، لذلك ينبغي أن تكون تلك الزيادة دالة على معنى زائد على مادلت عليه المرة الواحدة .

واذا ثبت هذا فتلك الزيادة دالة على معنى زائد على مادلت عليه المرة الواحدة ، وتلك الزيادة هي تأكيد الحزن وشدته في الآية " انما أشكو بثي وحزني " .

الثالث : عطف العام على الخاص

" ينكر العلماء عطف العام على الخاص ، ولكنه وجد في القرآن الكريم بقصد [illegible] عليه وتأكيده ، ودليله اذا ذكر العام بعد الخاص ، فان هذا داع الى الاهتمام به ، وفي هذا نوع من التوكيد .

وهذا كما في قوله تعالى : " ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم " . (٣)

---

(١) سورة المدثر آية ٢٢

(٢) سورة يوسف آية ٨٧

(٣) سورة الحجر آية ٨٧

فذكر (القرآن) بعد (سبعاً من المثاني) وهي جزء من القرآن الكريم والغرض من هذا التنويه على عظم شأنه.

وإذا كان عطف الخاص على العام أشار إلى مزيد فضل في المعطوف الخاص، فإنه أيضاً هنا أفاد مزيد فضل في المعطوف عليه الخاص، وذلك لأنه كرر مرتين، مرة في ذكره أولاً ومرة في ذكره في العام أي في المعطوف، فالمزية هنا في المعطوف عليه والمعطوف أيضاً، لأن ذكر المعطوف عليه كرر مرتين، فقد [illegible] قوله تعالى (سبعاً من المثاني) زادت تشريفاً بكونها جزءاً من القرآن ونبه على [illegible] عظيم قدرها بذكرها في القرآن الكريم كلام الله، وهذا كما في قوله تعالى: "إن صلاتي ونسكي" (١) فالصلاة أخص والنسك أعم، فذكرت الصلاة مرتين، أولاً ثم في النسك لأهميتها وعلو قدرها.

وهذا كما في قوله تعالى: "فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير".

فذكر (غير يسير) بعد قوله (عسير) للدلالة على أن ذلك العسر [illegible] عسره وشدته على الكافرين والتأكيد على ذلك.

وكذلك في قوله تعالى: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده".

فالبغضاء والعداوة بمعنى واحد، وإنما حسن إيرادهما في مقام واحد، لتأكيد البراءة بين إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه، والذين آمنوا به

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٢

ومن الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده ، وللمبالغة واظهار التلطيخ والمعارضة ومثل هذا ورد في القرآن الكريم كثير . مثل قوله تعالى : "تلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق" . [1] فيكون (الذي) في موضع الجر أي تلك آيات الكتاب المنزل اليك . ويكون (الحق) على الاختصار مبتدأ . وهذا مثل قوله تعالى : "تلك آيات القرآن وكتاب مبين" [2] فالكتاب والقرآن واحد . وكذا قوله تعالى : "ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء" . [3] فالضياء في المعنى هو الفرقان .

---

(١) سورة الرعد آية ١

(٢) سورة النمل آية ١

(٣) سورة الانبياء آية ٤٨

النوع الخامس : من التكرار

الإعادة التوكيد بالبدل

الواقع أن التوكيد نوع من البدل جاء بكلمات خاصة ، ولزم أن تحدد وتحدد ، فكان تشبيها لأنواع البدل رتبه أولا لجزء منه ، غير أن البدل والتوكيد أسلوب واحد .

فمثلا اذا قلنا : جاء القوم بعضهم ، وجاء القوم كلهم ، نجد أن الكلمة الثانية دلت عليها الكلمة الأولى ضمنا وهى ما نقصده ، الا أننا اذا أردنا بيانا وإيضاحا قلنا : بعضهم ، وهكذا فى المثال فى المثال الثانى فان الكلمة الثانية دلت عليها الكلمة الأولى ضمنا ، وأريد بيان الأول وتوضيحه أى تأكيده .

الا أننا نرى النحاة يعربون (بعضهم) فى المثال الأول بدل بعض وفى المثال الثانى (كلهم) توكيدا وكلاهما أسلوب واحد ، لأن القصد من البدل هو الايضاح بعد الابهام ، وهذا هو ما يقصد البيان والتوكيد .

أما اعادة البيان ، فتظهر اذا قلت مثلا : رأيت عمرا أخاك أو أباك فقد يحدث أنه تريد بعمرو الأب لا غيره تجىء بالبدل للبيان ولرفع الخلط واللبس (١)

وأما التأكيد ، فلأنه لرفع الاحتمال والتوهم فاذا ما وجدت أسماء متعددة بهذا الاسم (عمرو) غير الأب فتوهم أن يكون واحدا منهم فلما قيل : أبوك ، رفع هذا التوهم ، وبهذا رفعت الابهام ، بعضه ، وفى هذا تأكيد حيث بلغنا أنه هو المقصود ولذلك ، فانه على نية تكرار العامل .

---

(١) انظر كتاب سيبويه ص ١٥١ـ١٥٢ جـ١ تحقيق عبد السلام هارون

وبهذا فانه قد كرر الاسم الأول مرتين لبيان بالتوكيد .

فالبدل جارى مجرى التأكيد لدلالة الأول عليه السابقة كما فى بدل الكل ، أو التضمين كما فى بدل البعض أو الالتزام كما فى بدل الاشتمال .

وهذا كما جاء فى الكافية " وقد يفيد بعض البدل معنى ألفاظ الشمول فيجرى مجرى التأكيد وذلك قولهم : ضرب زيد ظهره وبطنه أيده ورجله ، وهو بدل البعض من الكل فى الأصل شبهتناه من المعطوف والمعطوف عليه معا معنى كله فيجوز أن يكون ارتفاعهما على البدل وعلى التوكيد "(١).

وهذا كما جاء فى كتاب سيبويه : هذا باب من الفعل يبدل فيه الآخر بالفعل لأنه فعل مفالبدل : أن تقول : ضرب عبد الله ظهره وبطنه ، وضرب زيد الظهر والبطن ، وقلب عمرو ظهره وبطنه ، ومطرنا سهلنا وجبلنا ، ومطرنا السهل والجبال ، وإن شئت كان على الاسم بمنزلة أجمعين توكيد (٢).

وكما جاء أيضا فى كتاب سيبويه : هذا باب من الفعل يستعمل فى الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه ، كما عمل فى الأول (٢)

---

(١) الكافية ص ٢٢٣ . [illegible]

(٢) كتاب سيبويه ج١ ص ١٥٨ ، تحقيق عبد السلام هارون

(٣) السيرافى : علم أن البدل يجىء فى الكلام على أن يكون مكان المبدل منه كأنه لم يذكر وقول النحويين : ان التقدير فيه تنحية المبدل منه ووضع البدل مكانه ليس على معنى الغائه وازالة فائدته بل على أن البدل قائم بنفسه غير مبين للمبدل منه تبيين النعت للمنعوت ، اذ لو كان على الالغاء لكان نحو قولك زيد رأيت أباه عمرا فى تقدير : زيد رأيت عمرا ، وهذا فاسد محال .

وذلك قولك : رأيت قومك أكثرهم ، ورأيت بني زيد ثلثهم ، ورأيت بني عمك ناسا منهم ، ورأيت عبد الله شخصه ، وعرفت و . و أولها مجيئا على وجهين : على أنه أراد : رأيت أكثر قومك ورأيت ثلث قومك ، وعرفت وجه أولها ، ولكنه ثنى تركيدا كما قال جل ثناؤه : فسجد الملائكة كلهم أجمعون ٣(ط)

وهذا نحو مما نرى الزمخشري في المفصل : انما يذكر الاول لنحو من التوطئة ، وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا تكون في الافراد ، (٢) ا هـ

وهذا يظهر في قوله تعالى : " وانك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله ، (١)

وفي سورة الفاتحة : " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، فلو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد أن الصراط المستقيم هو صراط الله ، ولكنه ذكر ليفيد فضل تمكن وتوكيد ، اذ هو الأول بعينه ، وكرر لنوع البيان بالتوكيد بمجموع الكلمتين (المبدل منه والبدل) وليس لافادة التأكيد بهذا البدل في الآية ، وهو يدل البعض أن الكلمة (صراط) في الآيتين ذكرت مرتين الاولى : بالعموم والثانية بالخصوص ، وهذا أيضا في قوله تعالى : " آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، (٤) وقوله تعالى : لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة ، (٥)

وهنا جاز ابدال النكرة من المعرفة ، لأن النكرة وصفت بقوله (كاذبة)

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢
(٢) المفصل للزمخشري ج ٣ ص ٦٦
(٣) الشورى آية ٥٢ ــ ٥٣
(٤) سورة الشعراء آية ٤٧ ــ ٤٨
(٥) سورة العلق آية ١٥ ــ ١٦

والبدل هنا لبيان علة النفي لتأكيد على أن النفي لكل ناحية من نواحي صفتها .

ومما يؤيد ما ذهبت اليه هنا ، قول الزمخشري في تفسير سورة الفاتحة في الكشاف : " صراط الذين أنعمت عليهم " بدل من الصراط المستقيم ، وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل : اهدنا الصراط المستقيم . اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ، كما قال : " الذين استضعفوا لمن آمن منهم ، فان قلت : مافائدة البدل ؟ وهلا قيل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ؟ قلت : فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ، ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده ، كما تقول : هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ؟ فلان ، فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل ، لأنك ثنيت ذكره مجملا أولا ، ومفصلا ثانيا ، وأوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل ، فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان ، فهو الشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع . ا هـ

ولهذا كله جعلت البدل الذي يفيد توكيدا أسلوبا من أساليب التوكيد وتحدثت عنه في الأسلوب الملحقة بالتكرار للتوكيد لا أنه توكيد نحوي ، وانما على أنه يفيد توكيدا بأسلوبه .

الباب الثاني

التوكيد بالأداة

التوكيـــــد بالأداة

التأكيد فيما سبق في الباب الأول يعتمد على التكرار سواء أكــان التكرار في اللفظ فقط والمعنى واحد أم كان التكرار في المعنى و اللفظ ، والمـــراد من هذا التكرار تقوية المعنى المراد وتمكينه أوني ماعلق في النفس من شكـــوك ومن شبهـــات.

ويؤكد بطرق أخرى للوصول الى هذا الغرض من التوكيد ، ومن هـــذه الطرق التأكيد بالأداة فتستخدم أدوات لارادة التوكيد بعضها يختص بالاسم وبعضها يختص بالفعل ، وبعضها أوسع استعمالا فتدخل على الأسماء والأفعـال .

وكل أداة من هذه الأدوات تقوم مقام التكرار ، مثال ذلك " ان " اذا ـ قلت مثلا : ان زيدا قائـم ، فقد اكدت مضمون هذه الجملة بالأداة " ان " وناب هذا الحرف مناب تكرير الجملة مرتين ، وكأنك قلت : زيـد قائم ، زيد قائـــم وتقصد من هذا التكرار تمكين المعنى المراد ، وهو مضمون هذه الجملة ، الا أن قولك : ان زيدا قائـم ، أوجز من قولك زيد قائـم ، زيد قائـم مع حصـــول غرض التأكيـــد . (١)

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ٥٩

الفصل الأول
الأدوات التي تختص بالأسماء للتوكيد

ذكرت في كتب النحو أدوات قيل عنها انها أدوات النصب ، وذلك لأنها تدخل على المبتدأ فتنصبه ، وهي : ان ، أن ، لكن ، كأن ، ليت ، لعل

ثم قيل : ان ، أن حرفا توكيد ونصب أما كونهما حرفي نصب فقد عرفنا ، وأما كونهما حرفي توكيد ، فقد أجمع على ذلك علماء النحو والمبالغة بالنصبه لان المكسوره ولها مواضع تأتي فيها ، منها الاستئناف ، والتعليل .

وأما (أن) بالفتح ففي النفس فيها شيء .

ولنبدأ غيب بان كل حرف يختص بالأسماء ويفيد توكيدا .

أولا : (إن) بكسر الهمزة

(ان) أداة لتوكيد النسبه في الجملة الاسمية ولا تتصل الا بالاسم المسند اليه (المبتدأ) ويكثر مجيء الظرف والجار والمجرور بعدها مباشرة ، وذلك لأنهم تجوزوا في الظروف مالم يتجوزا في غيرها ، و(ان) لها صدر الجملة دائما ووظيفتها تثبيت الحكم حين يكون المخاطب طالبا ذلك ، فاذا كان طلبه أشد بأن كان حاكما بخلاف ما في نفس المتكلم ، قويت (ان) بمؤكد آخر وهو اللام وحدها أو اللام ولفظ القسم ،وذلك مثل قوله تعالى : " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون ، اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا " انا اليكم مرسلون ، قالوا : ماأنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون قالوا : ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون " فنجد الآية الأولى : " انا اليكم مرسلون ا.ا أنكروا وكذبوا ، وكأنهم طلبوا معرفة حقيقة هذا الخبر ، وفي الآية الثانية زاد التأكيد باللام فقال : " انا اليكم لمرسلون " لما زاد انكارهم وتكذيبهم .

والخبر المجرد من التأكيد يقال له خبر ابتدائي أي مطلقا والثاني أي المؤكد بتوكيد واحد يسمى طلبيا . لأن السامع كأنه طلب هذا التأكيد بانكاره وشكه ، فاذا ازداد هذا الشك وأصبح انكارا لحقيقة الخبر يسمى انكاريا ، لماكان المطلوب منه وجود تأكيده بالحروف لأجل انكاره ،وحينئذ يكون هذا التأكيد واجبا .

أما اذا أكد الكلام بتوكيدين فانه يكون توكيدا حسنا ،وليس واجبا حيث انه يكتفى بتوكيد واحد مع الشك ، وهذا كما هو واضح في الآية .

والتأكيد بهذه الأداة نفيا أو اثباتا ، لأنه تأكيد نسبة المسند الى المسند اليه ، وسواء أكان الاسناد حقيقيا أم مجازيا .

وهذه اللام التى تجامع (ان) لزيادة التأكيد لها الصدارة ، الا أنها أخرت عن (ان) لضرب من الاستحسان ، وهو طرادة الفصل بينها وبين (ان) - لاتفاقهما فى معنى واحد ، ألا وهو التأكيد ، وكرهوا الجمع بين حرفين بمعنى واحد ففرقوا بينهما فهى اما أن تدخل فى خبر (ان) مثل قوله تعالى : " ان الله لغفور رحيم " وانك لتهدى الى صراط مستقيم " (١) ، وانك لتلقى القرآن لدن حكيم عليم " (٢) " وانه لعلم للساعة " (٣) " وانه لذكر لك ولقومك " (٤) - ان ربك من بعدها لغفور رحيم " (٥) .

أو على اسم (ان) اذا فصل بينه وبين (ان) وذلك بأن يكون الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا ثم يقدم الاسم ، فيجوز دخولها على الاسم . مثل قوله تعالى : " ان فى ذلك لعبرة " (٦) " وان فى ذلك لآية " وان لنا للآخرة والأولى " (٧) " ان للمتقين لحسن مآب " (٨) " ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين " (٩) .

أو على معمول الخبر ، مثل قوله تعالى : " انهم لفى سكرتهم يعمهون " (١٠)

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢
(٢) سورة النمل آية ٦
(٣) سورة الزخرف آية ٦١
(٤) سورة الزخرف آية ٤٤
(٥) سورة النحل آية ١١٠
(٦) سورة آل عمران آية ١٣
(٧) سورة الليل آية ١٣
(٨) سورة ص آية ٤٩
(٩) سورة الأنبياء آية ١٠٦
(١٠) سورة الحجر آية ٧٢

وقوله تعالى " وانه فى أم الكتاب لدنيا لعلى حكيم " (١)، لوجعلنا (فى أم الكتاب) خبرا لدخلت اللام على الخبر الثانى (لعلى حكيم)، والأفصل أن تدخل على الخبر الأول فوجب أن يكون قوله: فى أم الكتاب ظرفا متعلقا بالخبر لا خبر.

وتدخل على ضمير الفصل لزيادة التأكيد . وذلك فى مثل قوله تعالى: " انك لأنت يوسف " (٢) ، " ان هذا لهو الفصل " (٣)، " وانا لنحن الصافون " (٤)، " وانا لنحن المسبحون " (٥)، " انهم لهم المنصورون

واذا اخففت (ان) وأهملت ، تدخل هذه اللام على خبرها للفرق بينها وبين (ان) النافية ، ولذلك سميت باللام الفارقة فى مثل قوله تعالى: "ان كل نفس لما عليها حافظ" (٧).

وتأتى (ان) فى مواضع أهمها : التعليل ، أى علة لماقبلها ، وكأنها جواب عن سؤال تضمنته الجملة التى قبلها ، ويقول علماء البيان عنها بأنها للتعليل ، وهى كثيرة فى القرآن الكريم ، وتأتى فى ختام فواصل الآى ، مثل قوله تعالى : " وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء " (٨) ، فالآية ان النفس لأمارة بالسوء علة لعدم تبرئة النفس ، وحسن التوكيد هنا ، لأ

(١) سورة الزخرف آية ٤
(٢) سورة يوسف آية ٩٠
(٣) سورة النمل آية ١٦
(٤) سورة الصافات آية ١٦٥
(٥) سورة الصافات آية ١٦٦
(٦) سورة الصافات آية ١٧٢
(٧) سورة الطارق آية ٤
(٨) سورة يوسف آية ٥٣

السائل نزل منزلة الذي يشك في الخبر فلذلك أكدت الجملة بـان ،
وعلماء البيان يوجبون هنا الفصل ، لتنزيل الجملة التي دخلت ان عليها ما قبلها
منزلة الجزء ، لأنها قد اشتملت على السؤال عنها ، ويسمون هذا شبه كمال —
الاتصال أو كمال الاتصال ، لتنزيلها بالنسبة الى ما قبلها منزلة الصفة من الموصوف
أو التأكيد مع المؤكد .

والأصل الذي ينبغي أن تكون عليه (ان) هو الذي دون في الكتب من
أنها للتأكيد مثلا يحتاج اليها اذا كان المخاطب لا يشك في مضمون الجملة بعدها
وهذا كما في قوله تعالى : " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق
يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين " (١)
فاصلة هذه الآية لم تؤكد بان ، لأن المخاطبين لم يشكوا ولم يكذبوا لظهور
أدلتها فالمعنى أنه اذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه
المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوا
فيميلوا الى الايمان وترك دينهم ولو عندهم موت فالله محيط بهؤلاء الكافرين . (٢)

ثم نجد الآية بعدها : يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم
مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله
على كل شيء قدير . (٣)

نكن هذه الأفعال لا يفعلها الا من قادر على كل شيء فتأكدت القدرة
لأنه ثمة سؤال من الكفار على كل ما مر فيرد عليهم بأن الله قادر على كل شيء .

---

(١) سورة البقرة آية ١٩
(٢) سورة البقرة آية ٩
(٣) سورة البقرة آية ٢٠

فهو الخالق البارئ ، وهكذا اذا كان هناك انكار أشد فلا بد من زيادة التوكيد باللام .

فنجد مثل ذلك في قوله تعالى : " وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم " (١) لتأكيد الرحمة من الله للناس جميعا .

وسبب هذه الآية : السؤال عمن مات قبل تحويل القبلة فتأكد للناس عدم اضاعة أعمالهم ، والرأفة هي شدة الرحمة .

وهذا النوع في القرآن الكريم كثير مثل قوله تعالى : " يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم " .

وقوله عز وجل : " يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور " (٢)

وقوله تعالى : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم " (٣).

ومن مواقع ان أنها تدخل على ضمير الشأن اذا فسر بجملة شرطية مثل قوله تعالى : " انه من يتق ويصبر " (٤) أما اذا لم يفسر الضمير بجملة الشرط فلا تدخل مثل قوله تعالى : " قل هو الله أحد " .

وقد تدخل (ان) للدلالة على أن الظن قد كان من المتكلم ، وذلك اذا فصل

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣
(٢) سورة لقمان آية ١٧
(٣) سورة التوبة آية ١٠٣
(٤) سورة يوسف آية ٩٠

المخاطب شيئا ، وكان ينتظر غير ما حدث فيأتى بالتأكيد لأنه أتى على خلاف ما كان يظن أو يعتقد مثل : أن تقول : قد كان منى الى فلان من احسان ومعروف ثم انه جعل جزائى ما رأيت متبوين الخطأ الذى توهمته ، وظهر غير الذى توهمته وعلى خرتسه ، وهذا كما فى قوله تعالى : " حكاية عن أم مريم رضى الله عنها : قالت : رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ".

وكذلك قوله عز وجل حكاية عن نوح عليه السلام قال : رب ان قومى كذبون " (١)

أينزل المخاطب منزلة الذى يشك فى الكلام أو منكر له فيؤكد له الكلام لغرض كقوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم " (٢)

فائدت الآية (انك أنت العليم الحكيم) والخطاب لله سبحانه وتعالى لقصد تأكيد مضمون الجملة قبلها وهو أنه وحده ذو علم وهو العالم وحده لا شريك له.

---

(١) سورة الشعراء آية ١١٧

(٢) سورة البقرة آية ٣٢

ثانيا : (أن) بفتح الهمزة

ندون في كتب النحو : أن (ان ، أن) تؤكدان مضمون الجملة وتحققانه الا أن المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها ، والمفتوحة تقلبها الى حكم المفرد ١٠ هـ(١)

فالنحاة يجمعون بين ان ، أن وعندنا أنهما مختلف وظيفتهما مختلفة وبيان ذلك :

أولا : نجد في شرح المفصل لابن يعيش(٢) : " ولست أن المفتوحة كذلك (أي ماسبق بيانه من أنها تقع في الصلة ويحسن السكوت عليها) بل تقلب معنى الجملة الى الافراد ، وتصير في مذهب المصدر المؤكد ولولا ارادة التوكيد لكان المصدر أحق بالموضع ، وكنت تقول : بلغني أن زيدا قائم : بلغني قيام زيد ، ا هـ .

فاذا ناقشت هذه العبارة فاني أقول : ان التعبير بالجملة الاسمية غير التعبير بالجملة الفعلية .

فالجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام ، والجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث ، هذا بالنسبة للجملة فما بالنا بالفرق بين الجملة والمفرد فعندما تقول : علمت أن زيدا قائم أويقوم له من الأداء في التعبير مالايكون لقولنا : علمت قيام زيد فان استعمال (أن) ومجيء الكلام بعدها في صورة الجملة أقوى

---

(١) انظر المفصل للزمخشري جـ٨ ص ٥٨ ، ٥٩

(٢) ابن يعيش في شرح المفصل جـ ٨ ص ٥٩

وآكد من أن يكون الكلام في صورة المفرد ، وتأتي هذه القوة من اسناد الفعل الى ضمير المسند اليه اذا كان خبر (أن) فعلا ثم اسناد الجملة الفعلية الى المسند اليه ، وأيضا فان الجملة فيها من القوة اذا كان المسند اسما مشتقا .

وبهذا أقول : ان عبارة ابن يعيش " ولولا ارادة التوكيد لكان المصدر أحق بالموضع " في النفس منها شيء . والله أعلم .

فاذا لمسنا توكيدا في الجملة فليس من (أن) وانما من تركيب الجملة نفسها ، بدليل أن الأداء التي تؤديه الجملة لا يؤديه المصدر ، كما سبق بيانه .

[illegible] أن الجملة في مذهب المصدر المؤكد ، اذ ليس المراد تأكيد ذات الخبر فقط وانما المراد تأكيد اسناده الى المسند اليه ، أي تأكيد مضمون الجملة ، فنقول : علمت أن زيدا قائم ، فالمراد من هذه الجملة اسناد القيام الى زيد ، وليس المراد تأكيد القيام بدون الاسناد اذ لا يتأتى ذلك ، فاذا قلنا : انها أي الجملة في مذهب المصدر المؤكد ، معنى ذلك أننا لو جئنا بالمصدر الصريح من الجملة الداخلة عليها أي نكرره ، فنقول : علمت قيام قيام زيد ، ليتوازى التعبيران ، ولم نسمع بمثل هذا ، وانما سمعنا أن المصدر يؤكد الفعل أو المصدر .

فأرى . والله أعلم . أن الجملة مع (أن) أفادت الاخبار عن فعل بطريق أقوى من الاخبار بالمصدر بدون (أن) فانه أي المصدر مجرد اخبار بقيام دون ارادة اسناد القيام الى المسند اليه

ولذلك فاننا نحتاج الى (أن) للوصول الى صيغة أقوى اذا أردنا أن نقوى

المعنى الذى نريده ، وذلك عن طريق اسناد الفعل أو المشتق الى المسند اليه ثم الجملة الى المسند اليه (اسم أن) وهذه القوة عن طريق التركيب أى التركيب الجملة وليس عن طريق (أن) .

والخلاصة : أن (أن) خلو من التأكيد وانما هى واصلة ، ومما يؤيد ذلك أيضا : أنه يلاحظ من استعمالاتها اذ تجئ بعد أفعال تدل على الظن أو الشك ، نحو : ظننت أنك مسافر فهل نجد فى (أن) توكيدا عندما تسبق بما يفيد الظن أو الشك ، أعتقد - والله أعلم - أن هناك تعارضا واضحا بين الظن أو الشك ، وبين التأكيد فالظن رجحان أحد الطرفين لا الاعتقاد بأحدهما والشك تساوى الطرفين فضلا عن رجحان أحدهما على الآخر فكيف يتسلط الظن والشك على ما هو على تقيضه .

ومما يؤيد هذا وضوحا : أن (لو) الشرطية اذا كان بعدها مثبتا كان منفيا فى المعنى ، والعكس ، فاذا قلنا : لو أن محمدا نجح نفرح فرحا عظيما فجاءت (أن) وما دخلت عليه فاعلا لفعل الشرط المقدر ، والجملة مثبتة والمعنى منفى فاذا كانت الجملة منفية معنى ، حيث انها لم تحصل فلماذا تؤكد بـ (أن) ، لأن النفى يعارض التوكيد ، وحتى لو جاء خبر (أن) فعلا منفيا فالتعارض حاصل أيضا ، ولذلك يقال : " ان الذى أفاد التوكيد هو خبر (أن) وليس (أن) لأنه مجئ بعد لو فعلا دائما ، ولايجوز أن يكون اسما مفردا قضاء لحق (لو) فى اقتضائها الفعل " (١) .

ولذلك يأتى دائما خبر (أن) بعد (لو) فعلا كما فى قوله تعالى :

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص ١١

" ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة " ، " ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير " .

وعلى هذا – والله أعلم – (أن) ليست للتوكيد ولكنها أداة وصل وواسطة تعبير تستخدم لتصنع من الجملة التي لم تكن في تركيبها وهيئتها لتكون مسنداً أو فاعلا أو مضافا اليه منخلا : أعجبني محمد قائما لايصح أن يقال الاعلى جعل (قائم) حالا فتوصلت اللغة الى استخدام (أن) واسطة لجعل هذه الجملة فاعلا ، وعلى هذا هذه هي وظيفة (أن) وهي وظيفة لغوية .

أما انها تفيد التوكيد فليس هذا مفهوما من الكلام ولا هو مايطلبه مناسبة القول الا أن المراد من المتكلم وعبر التعبير بأن وليس للسامع في هذا دخل ولا شأن له بالتكلم ، فهي لاتفيد التوكيد ، وانما عملها عمل لغوي فقد سوغت المدخل أن يدخل على الجملة ويعمل فيها ، كما سوغت (ما) للفعل (قل) الدخول على فعل مثله ومثل قلما يكثر الوقتان في الصيف .

واذا كان قد جاء في كتاب شرح المفصل لا بن يعيش[1] " ولايقع قبلها (أي قبل أن) شئ من أفعال الشح والاشفاق نحو : اشتهيت وأردت وأخاف ، لأن هذه الأفعال : يجوز فيها أن يوجد مابعدها وألا يوجد فلذلك لايقع بعدها الا (أن) الخفيفة الناصبة للأفعال لأنه لاتأكيد فيها ولا مضارعة لمافيه تأكيد " اهـ .

فأقول : يوجد فرق في التعبير بين أن تقول : علمت أن زيدا قائم ، وبين أن تقول : أردت أن تنجح ففي الجملة الأولى الفعل (علمت) متوجه الى الاسناد

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ٧٧

أي اسناد الفعل الى زيد ، فلا بد من وجود جملة مكونة من مسند ومسند اليه ليتوجه العلم الى الاسناد الذى هو مضمون الجملة ، وقد سدت مسد المفعولين.

أما الجملة الثانية فالفعل فيها (أردت) لايطلب سوى (أن تنجح) ولم يتوجه الى اسناد بين جزئى جملة ، فلذلك لابد من أن تكون (أن) ناصبة للفعل ، ولا دخل لمعنى الفعل قبلها من حيث أداء معنى اليقين أو الرجحان وانما هو التعبير وسياق الكلام ، بخلاف سياق المعنى فى الجملة الأولى فان المعنى المراد هو العلم بأن زيدا قام بفعل ، أما فى الجملة الثانية فان المراد ارادة الفعل دون النظر الى اسناده ، ولهذا يحتاج الفعل فيها الى مفعول واحد .

وهنا نستطيع أن نقول : ان الفرق بين (أن) فى الجملة الثانية وهى أن الناصبة للفعل هو ماتفعله (أن) فى الجملة الأولى ، وهو أنهما أوصلا الفعل قبلهما لأن يعمل فيما بعدها ففى الجملة الأولى عمل الفعل فى محل الجملة وفى الثانية : عمل الفعل فى المصدر المؤول وأوصلت الفعل لأن يدخل على الفعل ، وفى الجملة الأولى أوصلت الفعل لأن يعمل فى محل جزئى الجملة . وعلى هذا فهى حرف وصل أى واصلة وواسطة بين الفعل وما دخلت عليه .

واذا قيل : ماذا يفيد (أن) فى قوله تعالى ﴿ واعلموا أن الله على كل شىء قدير ﴾ (١).

فالاجابة : أن (أن) هنا حرف واصلة لاتفيد توكيدا سوغت للفعل (اعلموا) ليطلب الجملة بعده لتكون مفعولا له ، الا أن فى الجملة تأكيدا لم يكن عن طريق

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١

(أن) وانما هو عن طريق صياغة الجملة ، وهو تقديم الظرف (علـــى
كل شـيء) لافادة السيطرة والقدرة على كل ما في السموات والأرض وهذه الافادة
لا تأتي من طريق التعبير بالمصدر بدلا من الجملة ، فلو قيل في الآية شـــلا
" واعلموا قدرة الله على كل شيء " ، بالمعنى المقصود في التعبير الأول لــن
يأتي .

هذا بالاضافة الى التعبير بالجملة بدلا من المفرد كما سبق بيانه .

وقد جاء في شرح المفصل [1] واذا قلت أن سيقوم فانه مرفوع لا يجوز
نصبه ، لأن ذلك من مواضع الشك " أ هـ

أقول : لا يجوز النصب في هذا الفعل (سيقوم) لسببين : السبب الأول
هو ما سبق من أن الفعل يطلب ضمون الجملة أو اسناد الفعل الى المسند اليه
الثاني : أن الفعل (سيقوم) فصل بينه وبين (أن) بفاصل وهو السين
وهي الفارقة بينها وبين (أن) الناصبة ، وجيء بها لدفع الالتباس بينهما
وذلك لأن (أن) المخففة يجب في اسمها أن يكون ضمير الشأن محذوفا وخبرها
جملة اسمية أو فعلية فعلها جامد أو دعاء ، وان كان الخبر غير ذلك فانه : يجب
الفصل بين (أن) وبين خبرها بفاصل ، للفرق بينها وبين الناصبة . [2] .
ويجوز هذا الرفع بسبب تقدم العلم كما ذكر ابن يعيش [3] " أما قراءة النصب في
" وحسبوا أن لا تكون فتنة " على أن حسبوا للشـــك " أ هـ

فقد وردت حسب بمعنى الظن وجاءت بعدها (أن) في القرآن الكريم

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٨ ص ٧٧
(٢) انظر شرح التصريح على التوضيح جـ١ ص ٢٣٢
(٣) شرح المفصل لابن يعيش جـ ٢ ص ٧٧

" ويحسبون أنهم على شيء " (١)، ومع ذلك جاءت حسب بمعنى اليقين ولم تأت بعدها (أن) في كلام العرب مثال الشاعر لبيد بن ربيعة :

حسبت التقى والجود خير تجارة
رباحا اذا ما المرء أصبح ثاقلا (٢)

فأرى – والله أعلم – أن سبب النصب هو أن الفصل بلا ليس فصلا فيها لعدم اختصاصه بالفعل ، فاعتبر كأن لم يكن ، ولذلك دخلت أن على الفعل ونصبته أما اذا كان الفصل بفاصل مختص بالفعل مثل : السين ، فانه لا يجوز الا أن يكون (أن) مخففة من الثقيلة وليست الناصبة للفعل ، بحيث لو قلنا : يحسبوا أن لن تكون فتنة فانه لا يجوز الا أن تكون مخففة وليست ناصبة للفعل لقوة الفاصل ولا دخل للفعل قبلها من حيث كونه لليقين أو الشك .

---

(١) سورة المجادلة آية ١٨
انظر همع الهوامع جـ٢ ص ٢١٥

(٢) انظر ديوان لبيد بن ربيعة ص ٢٤٦

ثالثــــا :"لكـــــن"

لكن حرف للاستدراك ويأتى للتوكيد ،وهى للاستدراك خفيفة أو مشددة وان أتى بعد الخفيفة مفرد فهى عاطفة (١) وفيها معنى الاستدراك ويلزم أن يسبقها نفى أونهى (٢)

أما اذا كانت بعدها جملة فهى حرف ابتداء ولاتعمل عمل ان ،وفيهمــا معنى الاستدراك ولايلزم أن يكون ماقبلها نفى أونهى فهى للاستدراك نفيا أو اثباتا .

وتدخل الواو على العاطفة فيكون العطف للواو وتخلص لمعنى الاستدراك وهذا كما فى قوله تعالى : " ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " ومثال الداخلة علــى الجملة الاسمية " لكن الله يشهــــد " (٣)

والفرق بين لكن العاطفة وبل العاطفة أن بل العاطفة تقع بعد اثبـــات أو نفى أما لكن فهى استدراك عن نفى أونهى فقط ولا تأتى للاستدراك عن اثبات اذا كانت عاطفة .

أما المشددة فهى التى تعمل عمل (ان) وتدخل على الجمل الاسميـــة

---

(١) لم تقع (لكن) الخفيفة العاطفة على مفرد فى القرآن الكريم .

(٢) أجاز الكوفيون مجئ لكن العاطفة للمفرد بعد الموجب أيضا نحو : جاءنى زيد لكن عمرو حملا على بل ، وليس لهم به شاهد ،وكون وضع لكـــــن لمغايرة ماقبلها لما بعدها مع ذلك الا أن لايعملوا هذا الوضع.
انظر الكافية ص١٧٩.

(٣) سورة النساء آية ١٦٦

وتأتى لتفيد استدراكا كما بينت كما تأتى لتفيد التوكيد .

والفرق بينها وبين (ان) أن (ان) تخلصت لمعنى التوكيد مع عمل النصب .

أما (لكن) فلم تخلص لمعنى التوكيد وانما جاءت لمعنى الاستدراك والتوكيد ولهذا لاتجامعها اللام المؤكدة خلافا للكوفيين فقد قالوا : ان اللام تدخل على خبرها كما تدخل على خبر (ان) ، واستشهدوا بقول الشاعر :

ولكننى من حبها لعميد

وأساس مذهبهم أنهم جعلوها مركبة من ثلاثة أشياء ان ، واللام ، والكاف

وأما البصريون فقد جعلوها على حرف واحد ، ومعناها الاستدراك ، كأنك لما أخبر عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثانى مثل ذلك : فتداركت بخبره ان سلبا أو ايجابا ، ولابد أن يكون خبر الثانى مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك .

ولذلك لاتقع الا بين كلامين متغايرين فى النفى والايجاب مثل قوله تعالى : " وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى " فبين الجملتين تغاير قبل لكن نفى وبعدها اثبات .

وقد تأتى الجملتان ايجابا جوازا الا أن معناهما متغاير ، فالنفى بمعنى الخبر الثانى من عدم النافى ومثل هذا كثير ، مثل قوله تعالى " ولو أراكهم الله كثيرا لفشلتم ولتنازعتم ولكن الله سلم "

فنجد أن الجملة قبل " لكن " ايجاب فى اللفظ ، والجملة بعدها ايجاب أيضا لفظا ومعنى ، أما الايجاب قبل (لكن) لفظا ، فظاهر ولكنها منفية معنى

اذ أن الجملة بعد (لو) تكون مثبتة ان كانت منفية ، ومنفية ان كانت مثبتة ،وقد جاءت الجملة بعدها مثبتة ، اذن هي منفية أى : نفي التنازع والفعل ووجدت السنة منها ،وهذا هو المعنى بعد (لكن) ، ومن هنا جاء معنى التوكيد اذ أن الجملة بعد (لكن) معناها وجد قبلها ،وكأنه كرر بعدها ، فأكدت لكن معنى الجملة قبلها ،وهذا أيضا مثل قوله تعالى : "لو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ،ولكن أكثرهم يجهلون " (١) ، فجاءت الجملة في الآية بعد (لو) مثبتة فالمعنى : النفي ، وهو نفي العلم عنهم ،وهو عين المعنى بعد (لكن) ألا وهو الجهل ، فهي مؤكدة لهذا المعنى حيث ذكر قبلها المعنى الذى نفى الجملة بعدها بالجملة بعدها أكدته لفظا .

---

(١) سورة الأنعام آية ١١١

رابعا : كأن

أما " كأن " فهي لتشبيه المؤكد بمعنى أن (كأن) مركبة من الكاف أن مثلا : ان زيدا كالأسد • هذا تشبيه مؤكد ، ثم أزيلت الكاف الى ان لتصد التشبيه فكانت الجملة : كأن زيدا أسد ، والجملة قبل مجئ الكاف أولا كان فيها تأكيد بان ووجود الكاف في خبرها يدل هذا على تأكيد التشبيه (١) .

أما بعد نقل الكاف الى ان فأصبح هذا للتشبيه أي لتشبيه المؤكد لا للتشبيه المؤكد ، وأصبحت (كأن) كلها مركبة مثل الكاف ليس فيها تأكيد وأزال معنى التوكيد من ان ، لأنها أولا غيرت من الكسر الى الفتح ، واندمجت معها و صارت حرفا واحدا .

ولذلك يقول ابن يعيش(٢) فان قيل فما الفرق بين الأصل والفرع في كأن) قيل : التشبيه في الفرع أشد منه في الأصل ، وذلك اذا قلت : زيد كالأسد فقد بنيت كلامك على اليقين ثم طرأ التشبيه فسرى من الآخر الى الأول وليس كذلك في الفرع الذي هو قولك كأن زيدا أسد ، لأنك بنيت كلامك من أوله على التشبيه ، ومن هنا يتضح أن كأن تستعمل عندما يكون الشبه بين المسند والمسند اليه قويا حتى يكون التمييز بينهما صعبا فالتشبيه بكأن أقوى وأبلغ من الكاف .

ولذلك لا يحتاج الى ان ، والكاف في الجملة التي يكون التشبيه قويا فيها بين المسند اليه والمسند (اذا أريد تقوية التشبيه) وانما تستعمل كأن ، ومن هذا

---

(١) انظر كتاب سيبويه جـ١ ص ٤٧٦ ، الخصائص جـ١ ص٣١٧ المقتضب جـ٤ ص١٠٨

(٢) شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ٨١

المعنى أفادت كأن التوكيد أي تأكيد التشبيه ، وهذا كما في قوله
تعالى "فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو" (١)

فمن قول بلقيس : كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال لأن السؤال
أهكذا عرشك ؟ والجواب : كأنه هو ، والمطابقة تقتضي أن تقول : هكذا هو ،
وفي ذلك يظهر طريقته وهو : أن السؤال أهكذا عرشك ؟ فيه عبارة جازم بتغاير
الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير أما الجواب فإن فيه عدولا عن مطابقة
السؤال وذلك لمطابقته لحال بلقيس ، لأن عبارتها : كأنه هو : عبارة من قرب عنده
الشبه حتى شك نفسه في التغاير بين الأمرين فكاد يقول : هو هو وهذه كانت حال
بلقيس " وإنما ... الكتاب " فقالت : كأنه هو ، ولم تقل هو هو ولا ليس
بهو ، وذلك من رجاحة عقلها في المحتمل " (١) .

وقوله تعالى : "كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا فيها إلا عشية أو ضحاها" (٣)
الجملة خبر لمبتدأ محذوف ، أو حال من المجرور في قوله : إنما أنت منذر من يخشاها
أي إنما أنت منذر من يخشى هذا اليوم الذين حالهم في الآخرة كحال من لم يلبث
في الدنيا إلا ساعة من نهار فأفاد تأكيد قوة تشبيههم بهذه الحالة فجاء التعبير
بكأن لأداء هذا المعنى ، وزيادة في إظهار هذا المعنى أن ضحى لم تضف إلى
اليوم وإنما أضيفت إلى عشيته ، للدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما
كاملا ، ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه ، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته فهو
كقوله ـ لم يلبثوا إلا ساعة من نهار (٤)

---

(١) سورة النمل آية ٤٢
(٢) الكشاف جـ٣ ص ١٥٠
(٣) سورة النازعات آية ٤٦
(٤) انظر الكشاف جـ٤ ص ٢١٧ طبعة بيروت

فهي ليست للتحقيق مثل (ان) فان (ان) لتحقيق الاسناد بين المسند والمسند اليه . أما كأن فهي لتقوية الشبه بين المسند والمسند اليه لا لتأكيد الاسناد . (١)

---

(١) انظر شرح التصريح جـ٢ ص٢١١

خامسا : ضمير الفصل

سبق الحديث عن ضمير الفصل فى باب التكرار بأنه يؤكد به الضمير المتصل ، وهو فى حكم المكرر اذ أن الضمير كرر مرتين ، الا أن الأول متصل والثانى ضمير منفصل مرفوع الموضع ، لأن التأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل ، ويؤكد به الضمير المستتر اذا عطف عليه كما فى قوله تعالى " اسكن أنت وزوجك الجنة " وقد سبق الحديث عن هذا فى باب التكرار .

أما ضمير الفصل لا يؤكد ضميرا حتى يكون من باب التكرار ، كما لا يؤكد ظاهرا وانما يؤكد نسبة المسند الى المسند اليه ، ولذلك يقول الكوفيون عنه بأنه عماد لأنه معتمد الاسم الأول وقوام بتحقيق الخبر بعده . (١)

والغرض من دخول الفصل فى الكلام هو ارادة الايذان بتمام الاسم وكماله ، وأن الذى بعده خبر لا نعت .

فهذا الضمير (ضمير الفصل) مثل : (ان) التى أكدت الجملة الاسمية بتأكيد الاسناد بين جزئى الجملة فكذلك الضمير يؤكد النسبة بينهما ، لذلك اعتبرته من مؤكدات الجملة الاسمية مثل ان ، وأرى - والله أعلم - أن طريق افادته تأكيد الاسناد بين جزئى الجملة هو افادة معنى القصر ، فاذا قلنا : زيد هو القائم ، معنى ذلك أننا نقصر القيام عليه دون غيره ، ولهذا يجامع ضمير الفصل اللام المؤكدة (لام الابتداء) كما تجامع (ان) لزيادة التأكيد اذا لزم ذلك مقتضى الحال والظروف المحيطة بالتكلم ، وهذا كما فى قوله تعالى : " وانا لنحن الصافون " (٢) وتعين هنا فى هذه الآية أن يكون الضمير ضمير الفصل ، لأن الضمير

---

(١) انظر شرح المفصل جـ٣ ص١٠

(٢) سورة الصافات آية ١٦٥

لا يوصف كما لا يجوز أن تلحق هذه اللام الضمير الذى لتأكيد ضمير أو البدل ، لأن اللام تفصل بين التأكيد والمؤكد ، والتوكيد من تمام الأول فى البيان فلا يفصل بينهما .

وإذا وقع ضمير الفصل بعد الضمير يجوز أن يكون توكيدا ويجوز أن يكون فصلا ، والفصل بينهما إذا جعلنا الضمير تأكيدا فهو باق على اسميته ويحكم على موضعه باعراب ماقبله ، وليس كذلك إذا كان فصلا ، قلنا أن نحكم على أنه مبتدأ وما بعده خبره وهو باق على اسميته ، ولنا أن نجعله حرفا فلا موضع له من الاعراب ، وأهم فرق بينهما هو أن لام التوكيد تدخل على الفصل ولا تدخل على التأكيد ، كما بينت فى باب التكرار .

ويجب أن يكون ما بعده معرفة لأن فيه ضربا من التأكيد ، ولفظه لفظ المعرفة فوجب أن لا يكون بعده إلا مايجوز أن يكون نعتا لما قبله ونعت المعرفة معرفة ، لذلك وجب أن يكون بين معرفتين .

ضمير الفصل يحتمل أن يكون للتوكيد وأن يكون لمجرد الفصل ، فمثال قوله تعالى : إن كنا نحن الغالبين يحتمل الاثنين ، التوكيد والفصل ، وذلك بسبب نصب الخبر ، وفى كلتا الصورتين فانه يفيد توكيدا فعلى كونه توكيدا للضمير ، فانه أفاد توكيدا بالتكرار أى تكرار الضمير المتصل ، وعلى كونه ضمير فصل أفاد توكيدا بالاختصاص أى الضمير (نا) فى (كنا) بالغلبة ، وفى هذا نوع قصر ، وهذا هو مايعنيه البلاغيون بالاختصاص فى مثل قوله تعالى : " والكافرون هم الظالمون " (١)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤

وفى قوله تعالى " وانا لنحن الصافون " (١) فانه يمتنع فيهما أن يكونا للفصل ، أما فى الآية الأولى فان الضمير لا يؤكد ظاهرا كما سبق بيانه والآية الثانية لدخول لام التوكيد (لام الابتداء) .

وخلاصة هذا كله أن ضمير الفصل يؤكد به الجملة الاسمية بتحقيق اسناد المسند الى المسند اليه ، أما ضمير الفصل الذى يؤكد به ضمير مثله فانه نوع من أنواع التكرار .

(١) سورة الصافات آية ١٦٥

سادسا : (أما) بفتح الهمزة وتشديد الميم

يقول الله سبحانه وتعالى : " وأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا " (١)

في هذه الآية ثناء عظيم للمؤمنين ونعى على الكافرين لربهم بالكلمة الحمقاء ، وأكد هذا المعنى بأسلوب (أما) وذلك لأن (أما) حرف توكيد دائما ، وهو يدل على الشرط ، لأنه بدل حرف الشرط وفعله بعد حذفهما .

والدليل على ذلك لزوم مجئ الفاء بعدها غالبا ، وربما حذفت هذه الفاء للضرورة ونادرا جدا ، لأنه لما حذفت أداة الشرط وفعله وحلت محلها (أما) كرهوا أن يليها الجزاء من غير واسطة بينهما متقدما أحد جزئى الجواب وجعلوه كالعوض من فعل الشرط ، فكأن (أما) أكدت جملة كما تؤكد (ان) الجملة فمثلا في الآية ٢٦ من سورة البقرة ، أكدت هذه الآية اسناد العلم بالمثل الذى ضربه المولى في الآية الى المؤمنين ، وفي أما الثانية أكدت الآية الجهل الى الكفار ، لأنهم سألوا عنه استهزاء وانكارا .

ولهذا فان الحرف (أما) حرف من الحروف التى أكدت الجمل الاسمية وان كان هو بدلا من أداة الشرط وفعل الشرط ، ولكنه يحتمل تأكيد الجملة الجزاء .

وقد قال الزمخشرى : فائدة (أما) في الكلام أن تعطيه فضل توكيد تقول : زيد ذاهب ، فاذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب ، ولذلك يقول سيبويه(٢) في تفسيره ، مهما يكن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦

(٢) سيبويه الكتاب جـ٢ ص ٣١٢ ، المقتضب جـ٢ ص ٣٥٤

من شئ فزيد ذاهب ، وهذا التعبير يدل بالتدرين في بيان كونه توكيدا أو أنه في معنى الشـرط " هـ (١)

والاسم الواقع بعد أما هو أحد جزئي جملـة الجزاء كما بينت مقـدم ليكون بدلا من فعل الشرط الذي حذف ، فيكون عذا من قبيـل اصلاح اللفظ .

ولما كان كذلك جاز فيه النصب على مثل قوله تعالى " فأما اليتيم فــلا تقهـر " اذ هو مفعول الفعل بعد الفـاء ، وان كان مابعد الفاء ليس من شـأنه أن يعمل فيما قبله لكنه جاز هنا من حيث كانت الفـاء في نية التقديم على جميـع ماقبلها (٢) .

وعلى ذلك فان الاسم الواقع بعد ما ان كان مرفوعا فهو مبتدأ كقوله تعالـى : " أما السفينة فكانت لمساكين " (٣) وان كان منصوبا فالناصب له مابعد الفـاء وهو الرأى الأرجح كما بينت ، كقوله تعالى : " فأما اليتيم فلا تقهـر " وأما السائـل فلاتنهـر " وقرئ " فأما ثمـود فهديناهم " بالرفع والنصب فالرفع على الابتـداء لا شتغال الفعل عنهم بضميرهـم .

وتأتي أما للتفصيـل (٤) ، ولذلك يجوز العطف عليه ، وهذا كما في قـوله تعالى : " أما الذين سعدوا ففى الجنة " (٥) " فأما الذين شقوا ففى النـار " (٦)

فهذا تفصيـل لقوله تعالى : " ذلك يوم مجموع له النـاس " .

---

(١) انظر المغنى جـ١ ص ٥٤ ـ ٥٥
(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٩ ص ١١ - ١٢
(٣) سورة الكهف آية ٧٩
(٤) شرح ابن الحاجب لكافيته ص ١٣٢ ، البحر جـ١ ص ١١٩
(٥) سورة هود آية ١٠٨
(٦) سورة هود آية ١٠٦

سابعا : ألا « الاستفتاحية " بفتح الهمزة واللام بدون تشديد "

قال الله تعالى : " ألا انهم هم المفسدون "

بدئت الجملة فى هذه الآية بـ (ألا) للتنبيه على تحقق مابعدها " انهم هم المفسدون " وكسر (ان) على استئناف كلام جديد ، جاء فى سياق آية بينت أنه عندما قيل للمنافقين : لاتفسدوا فى الأرض قالوا : انما مصلحون عند هذا قصر المنافقون على أنفسهم الاصلاح ، فكان الرد عليهم لنفى هذا الحصر بما يناسب هذا الحصر الذى يفيد التوكيد فجاءت الجملة : " انهم هم المفسدون " بتوكيد الجملة بان ، وضمير الفصل ، ثم افتتحت الجملة بـ (ألا) للتنبيه على تحقق وتأكيد هذا [1] فزادت التأكيد فى الآية تأكيدا لما أثارته من التنبيه على هذا التحقق .

ونرى قوله تعالى : " لكن لايشعرون " فى آخر الآية بمعنى " انهم مفسدون " لأن لكن للاستدراك وجاءت الجملة قبلها مؤكدة " انهم هم المفسدون " وهو اثبات ، والاستدراك من الاثبات نفى فقد جاء قوله تعالى : " لايشعرون " وهى أيضا تقرر أنهم مفسدون . [2]

ويكثر وقوع الجملة بعدها مصدرة بتوكيد مثل القسم يأتى بعده الفعل مؤكدا باللام والنون ، ويظهر ذلك فى قوله تعالى : " (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شىء محيط) " [3]

---

(١) أمالى ابن الشجرى جـ٢ ص٧٦ شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ١١٥

(٢) فسياق الآية كلها لتأكيد أنهم مفسدون ، انظر تفسير ابن عطيه جـ١

(٣) سورة فصلت آية ٥٤

فتأكدت الجملة بعدهما بإن في الجملتين ثم جيء بألا للتنبيه على تأكيد وتحقق هذه الجملة ، ففي الأولى : تحقق أنهم في شك من لقاء ربهم ، والثانية للتنبيه على تأكيد وتحقق أن الله على كل شيء قدير . وهذا لأن الهمزة التي للاستفهام اذا دخلت على النفي أفادت تحقيقا ، كما لو دخلت على (ليس) فانها تفيد اثباتا مثل قوله تعالى : أليس الله بكاف عبده " .

والمعنى : أن الله كاف عبده .

وتأتى (ألا) للتوبيخ والانكار ، وللتمنى أيضا ، وهى تعمل عمل لا التبرئة الا أن التي للتمنى لا خبر لها ، ويختص ألا في هذا بالجمل الاسمية ولكن اذا جاءت لمعنى العرض والتحضيض فتختص بالجمل الفعلية (الفعل المضارع)[1] كما في قوله تعالى : " ألا تحبون أن يغفر الله لكم " (٢).

وقوله : " ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم " (٣). (ألا) حرف عرض ، ومعناها الحض على قتالهم . (٤). وقال الزمخشري : دخلت الهمزة على (لا تقاتلون) تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة . (٥)

---

(١) الدماميني جـ١ ص ١٤٧
(٢) سورة النور آية ٢٤
(٣) سورة التوبة آية ١٣
(٤) البحر جـ٥ ص ١٦
(٥) الكشاف جـ٢ ص ١٤٢ طبعة بيروت

ثامناً : لام الابتـــــداء

سميت لام الابتداء ،لأنها تدخل على المبتدأ مثل قوله تعالى : " ولعبد مؤمن خير من مشرك " ولها الصدارة ،ولذلك تعلق العامل عن العمل فـــــي نحو: والله يعلم انك لرسوله ،وعلمت لزيد منطلق •

وهي تؤكد مضمون الجملة الداخلة عليها مثل (ان) الا أن الفـــرق بينها وبين (ان) أن (ان) عاملـة وهي ليست عاملة ، وانما يشتركان في معنى واحد وهو التوكيد وهو تحقيق معنى الجملة بعدها وازالة الشك عن مضمونها •

ولهذا كرهوا اجتماعهما فتأخرت الى الخبر ولكنها في نية التقديـــم ولم تكن اللام بعد ان لأن (ان) عاملـة ،ومن شأن العامل أن يلتصق بالمعمـــول ولا ينفصل عنه ، فتأخرت اللام الى الخبـــر •

وهي تدخل على جميع أنواع الخبر ،فتدخل على الخبر مثل الأســم كمـا في قـوله تعالى : " ان ربهم بهم يومئذ لخبـــير " (١)

هذه الآية أكد مضمونها بتأكيد ين،الأول : (ان) والثاني (اللام) والمراد تأكيده : هو أن الله عالم بالكفار فيجازيهم على كفرهـم ،وجاءت هـــذه الآية مؤكدة بهاتين ،لأنها جاءت بعد الاستفهام التقريري فهي بمثابة اجابة سؤال وعلة لما قبلها فناسب ذلك توكيدها بان •

ولما كانت سجية الانسان الحرص على المال فيبخل به من الفقـــراء

---

(١) سورة العاديات آية ١١

كان هذا منه انكارا لمعنى الآية وهو أن الله سبحانه وتعالى عالم بالانسان بعلمه سره ونجواه ، ومجازيه على كل شيء ، فأكدت لذلك هذه الآية بان واللام وكأنها كررت ثلاث مرات ، ليعلم الانسان أن المولى خبير به .

وتدخل اللام على الخبر بالجملة : اسمية أو فعلية .

أما الاسمية ففي مثل قوله تعالى : "انك لأنت العليم الحكيم" على أن ضمير الفصل مبتدأ .

وتدخل على الجملة الفعلية مثل : "وان ربك ليحكم بينهم" (١) .

ودخلت على المضارع لمضارعته الاسم ، أما الماضي فلا تدخل ، لعدم مضارعته للاسم

واختلف العلماء في الماضي الجامد والمقرون بقد ، والصواب الأول لعدم المضارعة للاسم بما جاء في القرآن الكريم من اللام المقرونة بقد ، فهذه اللام هي لام القسم وليست بلام الابتداء ، مثل قوله تعالى : "لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم" (٢) .

وتدخل على المعمول كقوله تعالى : وانك لعلى خلق عظيم ، وانهم لفي سكرتهم يعمهون " .

وتدخل على الاسم : اذا كان الخبر ظرفا وتقدم على الاسم مثل قوله تعالى : "ان في ذلك لعبرة" ، وفي أي هذه اللام تدخل على الخبر مجامعة (إن) ، أما اذا لم تجامع (ان) فلا تدخل على الخبر ، لان لها الصدارة فاذا لم تكن (ان) تقدمت على الجملة ولحقت المبتدأ مثل قوله تعالى " لأنتم أشد رهبة " (٣) "لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه" (٤) .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٤ .
(٢) سورة التين آية ٤ .
(٣) سورة الحشر آية ١٣
(٤) سورة التوبة آية ١٠٨

الحاجة الى اللام مع ان :

هذه اللام التى تدخل فى خبر ان وتسمى لام الابتداء ، ليست لازمة ، وانما تدخل اذا اقتضى الحال شدة التوكيد ، فيحتاج إليها من أن لزيادة التوكيد كما سبق بيانه فى الآية "ان ربهم بهم يومئذ لخبير".

أما إذا خففت (ان) ، فان هذه اللام تكون لازمة مع ان المخففة وهى تفيد توكيدا لانها جاءت بعد ان ، ولو كانت مخففة ودخلت على الخبر لو كانت ان مشددة ، وانما لزمت هذه اللام مع ان المخففة للفرق بينها وبين ان النافية وهذا فى مثل قوله تعالى :"ان كل نفس لما عليها حافظ" فاللام هنا أفادت توكيد اسناد الخبر الى المبتدأ ، وإشارة الى أن (ان) ليست نافية بمعنى (ما) وانما هى (ان) ومثل قوله تعالى : " وإن كنا عن دراستهم لغافلين " (١).

فان هنا مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ودخلت اللام على الخبر لتأكيد اسناد الخبر الى الاسم فلولا هذه اللام لالتبس الامر بان النافية فى مثل قوله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) ، وقال آخرون منهم أبو على أن هذه اللام التى مع ان المخففة ليست هى اللام مع ان المشددة ، وحجتهم فى ذلك دخولها على الماضى وعلى منصوب الفعل المؤخر عن ناصبه مثل قوله تعالى : " ان كاد ليضلنا عن آلهتنا "(٢) "وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين" (٣). لأن لام الابتداء لها الصدارة فلا يعمل ما قبلها فيما بعدها فى مثل قوله تعالى : (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) ، ولا تدخل على ما هو ماض فى المعنى فى مثل قوله تعالى : (ان كاد ليضلنا) .

---

(١) سورة الانعام آية ١٥٦
(٢) سورة الفرقان آية ٤٢
(٣) سورة الاعراف آية ١٠٢

والصواب – والله أعلم – هو الرأي الأول القائل بأن هذه اللام هي لام الابتداء وهي الفارقة ، لأن (إن) في الواقع حرف له استعمالات كثيرة ، فيأتي للشرط ، ويأتي للنفي ويأتي زائدا ، ولكن هذا في صورة واحدة ، فإذا لم تأت غير الكلام إلى تأييد القصد منها فإننا بذلك نلجأ إلى الكلام حيث لا مكان للإلغاز والتمويه من اللغة أن تكون أداة لتوصيل المعاني بأيسر طريق وأوضح معنى.

أما البصريون فحجتهم هو أن الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين فعل قوي حيث أثر عمله في جزئي الجملة ، ولأن هذه اللام لو تقدمت على الفعل لصحبت لاصقة بإن ، لأن اسمها ضمير الشأن وهو محذوف ، وهذا ما كرهوه.

ولم تدخل هذه اللام على المفعول الأول ، لأنه لم يصح مبتدأ ، فلزم أن تتأخر إلى المفعول الثاني وهي في تقدير تقدمها على الفعل ومفعوله ، وجيء بها لتكون فارقة بين (إن) النافية ، (إن) المخففة من الثقيلة.

وأما الكوفيون : إن هذه اللام بمعنى إلا بعد إن النافية ، فقد فسر الكسائي قوله تعالى : "وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال" برفع الفعل (تزول) على معنى : ما كان مكرهم إلا لتزول منه الجبال ، وقوله تعالى : "وإن كل لما جميع لدينا محضرون" (1) ، فإن معناها النفي ، واللام بمعنى (إلا).

فإذا نظرنا إلى هذا المعنى نجده أنه يتفق مع الرأي القائل بأن هذه اللام هي الفارقة أي لام الابتداء المؤكدة ، وهذا لأن ما بعد إلا مثبتا ومؤكدا وهو مؤكد بعد إن المخففة ، فالمعنى متفق إلا أن الرأي الأول أصح لأن (إن) كما قلت : لها صور كثيرة ، فمجيء نافية قليل وإنما تأتي غيرها ، ولذلك يجعل هذه اللام هي اللام الفارقة بعد إن المخففة مؤديا للمعنى بدون لبس .. والله أعلم

---

(1) سورة يس آية ٣٢.

تاسعا : البـــاء

الباء حرف جر ، ويلحق الأسماء ، ويأتي زائدا ومؤكدا للجملة الاسميـــة في الجملة المنفيـــة للتأكيد مثل قوله تعالى : " أليس الله بكاف عبده " ، فالبـــاء هنا لتأكيد التقرير الذي أفاده الاستفهام الداخـل على النفي .

وتدخل على الاسم في الجملة الفعلية المثبتـة للتأكيد أيضا مثل قولـــه تعالى : " وكفى بالله وكيلا " فلفظ الجلالة فاعل ودخل حرف الجر الباء عليـــه للتأكيـــد .

وسيأتي بيان ذلك في باب التأكيد بالحروف الزائدة ان شاء اللـه .

الفصل الثاني

تأكيد الجمل الفعلية

كما اختصت أدوات بتأكيد الجمل الاسمية ، لاختصاصها بالدخول على الأسماء دون الأفعال ، فكذلك اختصت أدوات بالدخول على الأفعال دون الأسماء .

وهذه الأدوات يستعينها لتأكيد الفعل ، وجعله بمثابة تكراره ، ومضمونها لتأكيد اسناد الفعل الى الفاعل ، ولم يكن اسناد الجملة الفعلية الى المبتدأ لأنه حينئذ ستكون الجملة اسمية .

أما هذه الأدوات التي اختصت بالدخول على الأفعال لمعنى التأكيد فهي :

أولاً : لام الجحـــود

فيما سبق في تأكيد الجمل الاسمية ، ذكرت لام الابتداء التي تجامع (ان) وتلزم (ان) المخففة وهذه اللام مفتوحة ، لأن لها الصدارة ، أي : هي التي يبتدأ بها ، وما يبتدأ به لابد أن يكون متحركا ، وأخف الحركات الفتحة ، فلذلك كانت هذه اللام مفتوحة .

أما هذه (لام الجحود) فهي مكسورة ، وتدخل على الفعل المضارع ، ناصبا له باضمار أن بعدها وجوبا ، مثل لام كي ، الا أن الفرق بينها وبين لام كي أنه يجوز اظهار أن بعد لام كي بخلاف لام الجحود فلا يجوز اظهار أن بعدها .

وتقع لام الجحود بعد النفي ، مثل قوله تعالى : " وما كان الله ليعذبهم "(١) " وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه " (٢) ، " لم يكن الله ليغفر لهم " (٣) فجاءت هذه اللام واتصلت بالفعل (ليعذبهم) لتأكيد نفي العذاب كما دخلت الباء في الخبر المنفي تأكيدا مثل قوله تعالى : " لست عليهم بمصيطر " ونجد في ختام هذه الآية " وما كان الله ليعذبهم " (٤) ، جاء اسم الفعل بعد النفي ولم يؤكد بالباء ، " وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " وكان من الممكن أن يؤكد اســـم الفاعل (معذبهم) بالباء الا أنه سبحانه وتعالى - وهو أعلم - لم يؤكد بالبـــاء حيث انه لا حاجة الى التأكيد لظهور سبب العذاب وهو نفي الاستغفار عنهـــم :

---

(١) سورة الانفال آية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٩ .

(٣) سورة النساء آية ١٨٦ ، فالآية الاولى سيقت ردا على النضر وقومه عندما قال استهزاء : ان كان ما يقرؤه محمد حقا ، فأمطر علينا عذابا من السماء ، فكان الرد انكار عذابهم ، على الرغم من أنهم انكروا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وذلك بسبب أنه صلى الله عليه وسلم بينهم ، لأن العذاب اذا نزل عم ، ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين .

(٤) سورة الانفال آية ٣٣ .

أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم، كقوله: "وماكان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون". فجملة الحال "وهم يستغفرون" معناها نفي الاستغفار عنهم (١).

وفي الآية الثانية: "ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وماكان الله ليطلعكم على الغيب" (٢).

نلاحظ هنا في هذه الآية جاءت اللام في الفعل (ليذر) لتأكيد عدم الترك، أي ترك اختلاط المؤمنين بغير ميز يفصل بينهما بالعذاب للكافرين والثواب للمؤمنين.

وجاء سياق الآية هكذا، لأن الآية السابقة معناها أن المولى جل جلاله أمهل الكافرين ليزدادوا إثما، فيكون لهم عذاب مهين، فجاءت الآية "ما كان الله ليذر المؤمنين" لتؤكد أن الكفار لن يتركوا هكذا لافرق بين مؤمن وكافر، وإنما سيميز بينهما، فالكافر جزاؤه العذاب المهين، والمؤمن له حسن الثواب والنعيم.

وهكذا فلام الجحود من كل فعل للإنكار والجحود، ولذلك لابد أن تأتي بعد كون منفي، لتأكيد هذا النفي، ولهذا لو سقطت (٣) هذه اللام من الكلام لم يفسد

---

(١) الكشاف جـ٢ ص١٥٦.
(٢) سورة آل عمران آية ١٧٩
(٣) جوز الزركشي في البرهان الكلام في حذف لام الجحود جـ٣ ص٣ قال: في قوله تعالى: وما كان هذا القرآن أن يفترى" كان أصله ليفترى، فلما حذف اللام بناء على جواز حذف اللام مع (أن) جاز إظهار (أن) الواجبة الإضمار بعدها، وذلك لأنها كالنائبة عن (أن) اهـ. وفي البحر المحيط جـ٥ ص١٥٧ والظاهر أن (أن يفترى) هو خبر (كان)، أي افتراء، أي ذا افتراء أو مفترى، وزعم بعض النحويين أن (أن) هذه هي المضمرة بعد لام الجحود في قولك ماكان زيد ليفعل، وأنه لما حذفت اللام أظهرت (أن) و(أن) واللام يتعاقبان فحيث جيء باللام لم تأت بأن، بل تقديرها، وحيث حذفت اللام أظهرت (أن)، والصحيح أنهما لا يتعاقبان، وأنه لا يجوز حذف اللام وإظهار أن، إذ لم يقم دليل على ذلك. وعلى زعم هذا الزعم لا يكون (أن يفترى) خبرا لكان بل الخبر محذوف، و(أن يفترى) معمول لذلك الخبر بعد إسقاط اللام.

الكلام ، الا أنه يخلو من التأكيد ، فهي شبيهة بحرف الجر الزائد الذي يلحق الخبر(١) لتأكيد النفي في الجملة الاسمية ، وسقط هذا الحرف ولا نجد تغييرات في الكلام سوى أنه خلا من التأكيد .

يختلف الجار من لام كي ، فلام كي اذا حذفت يختل الكلام ويفسد ، وهذا في مثل قوله تعالى : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فهذه اللام في (ليقربونا) هي لام كي واذا سقطت من الكلام يفسد الكلام ويختل ، اذ لا يجوز ما نعبدهم يقربونا .

ورأى يقول : وهو مذهب البصريين بأن هذه اللام ليست زائدة بل هي جارة للمصدر بعدها المؤول من أن المضمرة وجوبا والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر (كان) والفعل الذي دخلت عليه اللام ليس هو الخبر(٢).

أما مذهب الكوفيين : فاللام هي الناصبة بنفسها والجملة الفعلية خبر (كان) فلا فرق عندهم بين : ما كان زيد يقوم ، وما كان زيد ليقوم الا مجرد التوكيد الذي تفيده زيادة اللام ، وضعف مذهب الكوفيين العكبري(٣) فقال : " ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ، لا يجوز أن يكون الخبر (ليذر) لان الفعل بعد اللام ينتصب بأن ، فيصير التقدير : ماكان الله لترك المؤمنين على ما أنتم عليه ، وخبر (كان) هو اسمها في المعنى وليس الترك هو الله تعالى .

وقال الكوفيون : اللام زائدة والخبر هو الفعل ، وهذا ضعيف ، لأن ما بعدها قد انتصب فان كان النصب باللام نفسها فليست زائدة ، وان كان النصب بأن فسد لما ذكرنا "

---

(١) انها ومجرورها متعلق بمحذوف خبر كان بخلاف مجرور الباء الزائدة فانه هو الخبر ويعطف عليه رفعا على المحل وجرا على اللفظ .

(٢) انظر شرح التصريح على التوضيح جـ٢ ص٢٣٥ .

(٣) العكبري جـ١ ص١٦٠

أي : اذا كان هذا صحيحا فماذا نعمل في (كان) بعدها وجاء خبرها اسم فاعل بدلا من اللام حيث قال الله تعالى : " وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون " أليس (معذبهم) هو الخبر؟ الا أن اللام لم تأت هنا حيث لا حاجة الى التأكيد بها في الكلام ، وعلى هذا فالخبر (ليعذبهم) واللام في لام الجحود جيء بها لتأكيد النفي والنصب بعد اظهار (أن) بعد لام الجحود هو : أن لام الجحود لنفي الفعل بعدها في المستقبل ، وأن لتخليص المضارع للاستقبال ، فهي بمنزلة دخول حرف على حرف آخر بمعناه ، ولهذا نجد في الآية جاء اسم الفاعل في قوله تعالى : " وماكان الله معذبهم " حيث أراد نفي التعذيب على العموم في جميع الأحوال والأزمنة ، اذا كانوا مستغفرين وعلى هذا ، الجملة التي اشتملت على كون منفي ، وجاء بعد الكون المنفي الخبر فعل واريد نفيه ، كان نفيه بلام الجحود هذه .

ولهذا جاء الخبر بعد الكون المنفي اسم فاعل ، فان نفيه يمكن بزيادة الباء فيقال : وماكان الله بمعذبهم ، ولكنه ليس أبلغ من أسلوب لام الجحود لأن التأكيد في هذه الحال ، أشبه التأكيد بأن ، واللام في الاثبات ، حيث كرر النفي مرتين ، مرة على الكون المنفي ومرة على الفعل ومن هذا ، يجب ألا تطلق كلمة (الزيادة) على لام الجحود لأنه يؤتى بها للتأكيد كما يؤتى بأن لتأكيد الجملة الاسمية ، كما أن النصب لم يكن بها ، وانما هو بأن مضمرة وجوبا بعدها .

أما الاعتراض بأن خبر كان هو الاسم في المعنى فالجواب ان الخبر بمعنى ذا غفران أو غافر ، وليس المصدر هو الخبر من غير تأويل .

أما قوله تعالى : " وان كان مكرهم لتزول منه الجبال " [1] فهذه اللام ان

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤٦

كانت مفتوحة فهي اللام الفارقة لـ (أن) بعدها بين النافية ، كما سبق بيانه وقرأ الكسائي (لتزول) بالرفع ، وإن كانت مكسورة فهي لام الجحود ، نصب الفعل بعدها ، و(إن) نافية فهي لام الجحود جاءت بعد النفي ، والمعنى انكار زوال الجبال الراسيات من مكرهم ، أي : وما كان مكرهم وهو الكيد ضد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن عظم ـ لتزول منه الجبال مثلا يضرب به ، لأنه لا يغير إلا ايمانهم .

هذا على قراءة كسر اللام ، أما على قراءة فتحها (لتزول) فهي لام التأكيد الفارقة على أن (أن) مخففة من الثقيلة ، والمراد تعظيم مكرهم ولكن لن ينالوا من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن يستطيعوا قتله ، وإن كان هذا المكر مكرا عظيما وهائلا .

اللام الزائدة بعد الفعل :

وتأتي لام ولم يسبقها كون منفي ، ولا هي لانكار مثل لام الجحود ، وإنما هي زائدة (١) ، يجوز اظهار أن الناصبة بعدها مثل قوله تعالى :

---

(١) في المغني جـ١ ص ١٨ : اختلف في اللام من نحو : (يريد الله ليبين لكم) ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين " فقيل .. زائدة ، وقيل للتعليل ثم اختلف هؤلاء فقيل : المفعول محذوف ، أي يريد الله التبيين ليبين لكم ويهديكم ، أي ليجمع لكم بين الأمرين ، وأمرنا بما أمرنا به لنسلم ، وقال الخليل وسيبويه ومن تابعهما : الفعل في ذلك كله مقدر بمصدر مرفوع بالابتداء واللام وما بعدها خبر أي ارادة الله التبيين ، وأمرنا للاسلام ، وعلى هذا فلا مفعول للفعل .
في البحر جـ٤ ص ١٥٩ فتحمل في هذه اللام أقوال :
أحدها أنها زائدة ، والثاني : أنها بمعنى كي للتعليل اما لنفس الفعل واما لنفس المصدر المسبوك من الفعل ، والثالث : أنها لام كي أجريت مجرى (أن) الرابع : بمعنى الباء وقال : مجيء اللام بمعنى الباء قول غريب .

"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت" فإن هذه اللام زائدة لأن مفعول يريد هو المصدر المؤول من أن والفعل بعدها (أن يذهب) وليست هذه اللام جارة للمصدر وإنما جيء بها لتأكيد ، ويجوز حذفها عند عدم إرادة التوكيد فهذه اللام ، وليست هي لام التعليل أو العاقبة ، ولا لام كي ، لأن الفعل (يذهب) ليس علة للفعل يريد ، وإنما المصدر المؤول من الفعل وأن مفعول به .

أما اللام التي تدخل على الفعل الذي يكون جوابا للقسم فهي أيضا لام مؤكدة للقسم (أي للمقسم عليه) وتسمى لام القسم ، وتدخل على الفعل والجملة الاسمية لتأكيد المقسم عليه وسيأتي الكلام عنها في فصل القسم

ثانيا : " قـــد "

" قد " حرف من الحروف التي اختصت بدخولها على الأفعال ، وهي بالنسبة للفعل كجزء منه لاتنفصل عنه الا بالقسم [1] وهذا لأنها تدل على معنى في الفعل فلما كانت تدل على معنى من معاني الفعل أصبحت كالجزء منه، وهذا المعنى الذي تدل عليه هو معنى خاص بثبوت وتحقق هذا الفعل ، كما أنها تدل أحيانا على أحد أزمان الفعل ، وهو الزمن الحالي ، وذلك اذا دخلت على الفعل الماضي مثل قوله تعالى : " قد فصل لكم ماحرم عليكم " [2] ، وهذا هو السبب في لزوم قد للفعل الماضي ، اذا وقع حالا ، حتى ان النحاة يقدرون (قـــد) اذا وقع الماضي حالا ، وهذا كما في قوله تعالى : " أوجاءوكم حصرت صدورهم " [3] فان بعض النحاة يعربون (حصرت صدورهم) جملة حالية ، على تقدير (قـــد) قبل الفعل (حصرت) لجواز أن تكون الجملة للحال ،

وأيضا كما في قوله تعالى : " هذه بضاعتنا ردت الينا " [4] على تقدير (قد) قبل الفعل الماضي (ردت) للدلالة على أن الفعل للحال ، وهو مايعبر عنه النحاة بأنها للتقريب أي تقريب الماضي من الحال ،

ويقول النحاة : اذا دخلت (قد) على المضارع فهي للتقليل ، واذا دخلت على الماضي فهي للتقريب " ،

والواقع أن بين التقريب والتقليل مناسبة قوية ، وذلك لأن كل تقريب تقليل

---

(١) انظر كتاب سيبويه جـ١ ص ١٥ ، ص ١٥٨
وأنظر شرح الكافية جـ٢ ص ٣٦١

(٢) سورة الانعام آية ١١٩

(٣) سورة النساء آية ٩٠

(٤) سورة يوسف آية ٦٥

فالتقريب فيه تقليل للمسافة ، وتقريب الزمن من الحال فيه تقليل للزمن والحدث .

وعلى عكس هذا تأتي قد وتدل على التكثير أي : تكرر حدوث الفعل (بعدها) ولذلك قال بعض العلماء فيها : ان الفعل بعد قد هذه بمعنى الماضي ، لأن تكثير الحدث وتكراره لابد أن يكون في الماضي ، اذ كيف يكثر ويتكرر ويكون الفعل بعدها لا يدل على الماضي ، وهذا كما في قوله تعالى : " قد نرى تقلب وجهك في السماء " (١) ، وقال الزمخشري : (قد نرى) ربما نرى ، ومعناه كثرة الرؤية كقوله " قد أترك القرن مصفرا أنامله " (٢) .

من هذا العرض الذي سبق تدرك السبب في لصوق (قد) للفعل ينفك الا ويؤدي دلالتها على معنى في الفعل وعلى زمن من أزمانه ، بحيث كالجزء منه .

والواقع - والله أعلم - أن (قد) اذا دخلت على الفعل الماضي وكان هذا الفعل متوقعا ، فانها تفيد ما تفيده (ان) التي لتوكيد مضمون الجملة الاسمية ، وهذا كما في قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون " (٣) .

الا أن الفرق بينها وبين (انّ) أنها لا يبتدأ بها الا أن تكون جوابا لمتوقع ، بخلاف (ان) ، وهذا كما في الآية " قد أفلح المؤمنون " لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله ، ولهذا نجد (قد)تلتصق مع الفعل بعدها جوابا للقسم وهذا لأن الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٤

(٢) انظر الكشاف ج١ ص ٢٥

(٣) " " ج٢ ص ١٠٠

جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى (قد) عند استعمال الصاحب كلمة القسم، وهو كما في قوله تعالى : " لقد أرسلنا نوحا الى قومه " (١) ، وكونها جوابا للقسم نزلت منزلة الجملة التي تكون جوابا للسؤال ، ونزل هذا السائل منزلة الشاك المتردد فجاء اليه الجواب مؤكدا بقد .

وإذا قيل : إن حقيقة الفعل الماضي يدل على أن الحدث قد وقع فكيف يتوقع وقد حدث ؟ .

والجواب : أن معنى التوقع فيه أن (قد) تدل على أنه كان متوقعا منتظرا ، فإذا استعملت (قد) فيما هو مترقب فانها مؤكدة للفعل بعدها سواء أكان ماضيا أم مضارعا ، فمثال الماضي فهو كما في قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون " فلو فرض أن هذه الآية أريد تحويلها الى جملة اسمية والمعنى واحد ، جاءت الجملة الاسمية مؤكدة (بإن) فيقال — والله أعلم — إن المؤمنين أفلحوا . وكذا في قوله تعالى : " لقد تاب الله على المؤمنين " .

ومثال المضارع في قوله تعالى : " قد يعلم ما أنتم عليه " أي المعنى أن الله يعلم جميع ما في السموات والأرض هو خالقها ومالكها وعالم بها ، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين (٢) .

ومما يمكن أن يستدل على أن (قد) هنا للتقليل أي لتقليل علم المنافقين بالنسبة لعلم المولى جل جلاله .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٩

(٢) انظر الكشاف ج٣ ص٢٠٧

وكما في قوله تعالى : " لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم " (1) ، فالمعنى تعلمون علما يقينا لاشبهة لكم فيه . (2)

وفي عند ما تفيد التحقيق في المضارع تجيء معناه للمضي ، وهذا كما في قوله تعالى : " قد نرى تقلب وجهك في السماء " (3) .
وقوله تعالى : " قد نعلم إنه ليحزنك " (4) أي علمنا ، وقوله تعالى : " قد يعلم ما أنتم عليه " (5) ، وكذا تفيد التحقيق مع الماضي المترقب مثل قوله تعالى : " لقد رضي الله عن المؤمنين " (6) ، وقوله تعالى : " لقد تاب الله " (7) .

---

(1) سورة الصف آية ٥
(2) انظر الكتاب جـ١ ص ٤١١
(3) سورة البقرة آية ١٤٤
(4) سورة الأنعام آية ٣٣
(5) آل عمران آية ١٣
(6) سورة الفتح آية ١٨
(7) سورة التوبة آية ١١٧

ثالثا : التأكيد بنوني التوكيد

سبق أن بحثت في باب التكرار أن الاسم أو الفعل يكرر اذا أريد توكيده وتمكينه في النفس ، كقوله تعالى : " أولى لك فأولى " .

وينوب عن هذا التكرار نون خفيفة أو ثقيلة ، تلحق آخر الفعل المضارع أو الأمر وتكون بمنزلة تكرار الفعل مرتين ان كانت خفيفة ، أما الشديدة فهي بمنزلة تكرار الفعل ثلاث مرات .

ولما كان التكرار للتوكيد ، فكذلك النون هنا للتوكيد ، والفعل الذي يؤكده بهذه النون هو مايكون فيه معنى الطلب ، ولذلك لايؤكد بها الفعل الماضي لأنه حاصل ، ولامعنى لطلب حصول حاصل ، وكذلك كل فعل مضارع يدل على الحال ، كأن يكون الفعل يحدث في الحال ، فيمتنع تأكيده بالنون اذ كيف يؤكد الفعل حالة حدوثه .

وعلى هذا لايؤكد بالنون الا كل فعل فيه معنى الطلب ، والمراد من الطلب حدوث الفعل في المستقبل ، وهذه النون تخلص المضارع للاستقبال ، ولذلك تدخل على فعل الأمر اذ هو للطلب ، وكذلك الفعل المضارع المنهي عنه ، لأن الفعل المضارع الذي سبقته (لا) الناهية فيه معنى الطلب ، وهو النهي عن الفعل وضد النهي والأمر الاستفهام لمافيه من معنى الطلب .

ومن ثم نستطيع أن ندرك لماذا أكد الفعل (ليسجنن) بالنون الثقيلة في قوله تعالى : " ليسجنن وليكونا من الصاغرين " (١) .

---

(١) سورة يوسف آية ٣٢

ولهذا أكد الفعل بعده (وليكونا) بالنون الثقيلة وذلك لأن زليخه امرأة العزيز كانت تحب يوسف وتحرص على رؤيته فطلبت السجن ليكون بالقرب منها فتستطيع أن تراه ، فكان هذا هو طلبها وتحرص عليه ، فأكد الفعل بالنون الثقيلة للإشارة الى ذلك .

وأكد الفعل الثاني (وليكونا) بالنون الخفيفة ، لأن اذلاله ليس مطلبها ولاتميل اليه وانما كانت ترغب في السجن ليكون بالقرب منها فتتمكن من رؤيته فيكون اذلاله بعد أن لم تتمكن من رؤيته ليخضع لها ، فلذلك أكد بالنون الخفيفة للدلالة على أن هذا الفعل ليس هو المطلب الأول .

ولم يأت التوكيد بالنون الخفيفة في القرآن الكريم الا في موضعين .

الموضع الأول : هو ما ذكر (وليكونا) ، والموضع الثاني في سورة العلق الآية ١٥ في قوله تعالى : " لنسفعا بالناصية " ويجوز تأكيد فعل الأمر لأنه يدل على الطلب ، كما سبق بيانه ، أما المضارع فله بالنسبة لتوكيده بنوني التوكيد ست حالات :

الأولى : أن يكون توكيده بإحدى النونين واجبا ، وذلك اذا كان مثبتا مستقبلا جوابا بالقسم غير مفصول من لامه بفاصل نحو قوله تعالى : " وتالله لأكيدن أصنامكم " (١) وحينئذ يجب توكيده باللام والنون عند البصريين وخلوه من أحدهما شاذ أو ضرورة .

الثانية : أن يكون توكيده بهما قريبا من الواجب ، وذلك اذا كان شرطا لان المؤكد بـ (ما) الزائدة نحو قوله تعالى : " وإما تخافن من قوم خيانة " (٢)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥٧

(٢) سورة الأنفال آية ٥٨

فأما نوهن من البشر أحدا وترك التوكيد في هذه الحالة قليل في النثر

ومن ترك توكيده في الشعر قوله:

ياصاح اما تجدني غير ذي جدة
فما التخلي عن الخلان من شيمي

وهو قليل.

الثالثة: أن يكون توكيده بهما كثيرا، وذلك اذا وقع بعد أداة طلب أو نهي أو دعاء أو عرض أو تمن أو استفهام. الأول: كقوله تعالى: "ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون". (١)

الرابعة: أن يكون توكيده بهما قليلا، وذلك بعد (لا) النافية أو (ما) الزائدة التي لم تسبق بـ (ان) الشرطية نحو: "واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (٢) وانما أكد النفي هنا لأنه يشبه أداة النهي صورة.

الخامسة: أن يكون التوكيد بهما أقل، وذلك بعد (لم) وبعد أداة جزاء غير اما شرطا كان المؤكد أو جزاء.

السادسة: امتناع التوكيد بهما، اذا انتفت شروط الواجب وذلك اذا كان منفيا لفظا أو تقديرا، لفظا مثل: والله لا أقوم، وتقديرا مثل: تالله تفتأ تذكر يوسف، أو كان حالا مثل: لا أقسم بيوم القيامة، أو فصولا من اللام بفاصل أو بحرف التنفيس نحو: ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون. (٣)
ولسوف يعطيك ربك فترضى. (٤)

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤٢
(٢) سورة الانفال آية ٢٥
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٨
(٤) سورة الضحى آية (٥)

ولما كان كل فعل مضارع أو أمر أريد حصوله أكد بالنون إيذانا بقوة الرغبة بوجوده، لزمت هذه النون جواب القسم كما سبق بيانه في الحالات السابقة وهذا كما في قوله تعالى "وتالله لأكيدن أصنامكم" (١) فلا يجوز مع هذا الفعل حذف النون، لأنه مطلوب حصوله، ولئلا يتوهم أن هذه اللام الداخلة على الفعل – وهي لام القسم – هي التي تدخل في خبر ان (للتأكيد) ولغير قسم فلزمت النون.

في هذا الفعل إشارة الى هذا أو إزالة اللبس بالإضافة الى تخليص الفعل للاستقبال خاصة: لو قيل: ان زيدا ليقومن، كان هذا جواب قسم والمراد الاستقبال لا غير (٢) أي للفرق بين الزمنين، ولهذا أرجح هذا الرأي على الرأي القائل بأن اللام هنا غير لازمة، ومنهم ابن يعيش (٣).

ويقرب من اللزوم والوجوب الفعل المضارع الواقع بعد (إما) وذلك لأن (إما) مركبة من (إن) الشرطية، و(ما) الزائدة فأشبهت (ما) الزائدة اللام فتأكد لذلك الفعل بعدها بالنون.

وهذا كما في قوله تعالى: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء" (٤) وقوله "فإما ترين من البشر أحدا" (٥) أكد الفعل (ترين، تخافن) بالنون لدخول (ما) التي تشبه اللام في (لتفعلن) ووجه الشبه فيهما أن الحرف (ما) زائد للتوكيد وكذلك اللام جاء في جواب القسم للتوكيد.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥٧
(٢) انظر شرح المفصل جـ٩ ص ٣٩
(٣) انظر شرح المفصل جـ٩ ص ٣٩
(٤) سورة الأنفال آية ٥٨
(٥) سورة مريم آية ٢٦

وقد اختلف العلماء في النون بعد (ما) هل هي لازمة أو لا ؟ .

وأرى أنها لا زمة ، لأن (ما) زائدة لتأكيد ، واللام في جواب القسم للتأكيد فتساويا ، وقد جاءت أخبار شبه لزمها النون لدخول هذا الحرف وهو (ما) المؤكد : مثل قولهم " بعين ما أرينك " (١) .

وذكر ابن جني : أنه قرئ : فاما ترين ، بياء ساكنة بعدها نون الرفع . (٢)

وفيه شذوذان : الأول ترك النون ، والثاني : اثبات نون الرفع مع الشرط الجازم ، وتلحق النون الفعل جوازا بعد الطلب مثل قوله تعالى : " ولاتحسبن الله غافلا ، ولاتقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله " (٣)

---

(١) انظر شرح المفصل ج٩ ص٥
(٢) انظر المغني ج٢ ص ٢٢
(٣) سورة الكهف آية ٢٣

رابعا : التأكيد بالسين أو سوف

الفعل المضارع صالح للحال والاستقبال وعندما تتصل به السين أو سوف تخلصه للاستقبال ، وأما قوله تعالى : " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " .(١) فقيل : إن السين للاستمرار ، مستدلين بأن ذلك إنما نزل بعد قولهم : " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " ، والحقيقة أن هذا لا مستند له وإذا فهم الاستمرار فإنما يكون من الفعل ذاته لا من السين .(٢)

وقوله تعالى : " كلا سوف تعلمون " سوف هنا دخلت على فعل مكروه لأنه تهديد ووعيد ، وسوف إذا دخلت على ما يدل على الوعد أو الوعيد فإن السين تفيد أن الفعل واقع لا محالة ، كما لو دخلت (أن) على الجملة لتأكيد مضمون الجملة ، وهذا في قوله تعالى : " فسيكفيكهم الله " إذ السين في هذه الآية أفادت أن ذلك كائن لا محالة ، وإن تأخر إلى حين .

وكما في الوعد قوله تعالى : " أولئك سيرحمهم الله " .(٣) فالسين أفادت وجود الرحمة لا محالة ، فأكدت الوعد كما أكدت الوعيد في الآية " كلا سوف تعلمون " .

فقال الزمخشري في قوله تعالى : " فسيكفيكهم الله " ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين .(٤)

---

(١) سورة البقرة آية :
(٢) انظر المغني ج١ ص ١٢١
(٣) سورة النساء آية ١٧٥
(٤) انظر الكشاف ج٢ ص ٩٧ .

وقال في قوله تعالى : " علم الله أنكم ستذكرونهن " علم الله أنكم ستذكرونهن لا محالة ، ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ، ولا تصبرون عنه " (١)

وقال في قوله تعالى : أولئك سيرحمهم الله " السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك ، تعني أنك لا تفوتني ، وإن تباطأ ذلك ونحوه " سيجعل لهم الرحمن ودا " (٢)

والفرق بين السين وسوف في الوعد والوعيد :

أن السين مع الوعد للمبالغة وقصد تقريب الوقوع ، ومع سوف أنه واقع لا محالة وإن طال الأمد ، ولذلك الأكثر في السين الوعد ، وفي سوف الوعيد .

مثل قوله تعالى : " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا " (٣) وقال السين في الوعيد : " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (٤) . وهما أي السين وسوف في الوعد والوعيد يدلان على أن الفعل بعدهما واقع لا محالة ، ومع سوف واقع لا محالة وإن طال الأمد ، ومع السين للمبالغة والدلالة على قرب الوقوع .

هذا في الوعد والوعيد في القرآن الكريم ، أما في الأخبار العادية التي لمجرد الإخبار فقد يفيدان ذلك إلا أنهما لم تأت في القرآن الكريم إلا للوعد والوعيد فهما (السين وسوف) تفيدان في القرآن الكريم تأكيدا للفعل بعدهما لما ذكرته من الدلالة على قرب وقوع الفعل والمبالغة فيه مع السين

---

(١) الكشاف جـ١ ص ٢٢٥
(٢) الكشاف جـ٢ ص ١٦٢
(٣) سورة مريم آية ٩٦

والدلالة على أنه واقع لامحالة وإن طال الأمد من سوف.

وجاء في المغني : قال الزمخشري في " أولئك سيرحمهم الله " أن السين مفيدة وجود الرحمة لامحالة فهي مؤكدة للوعد واعترضه بعض الفضلاء بأن وجود الرحمة مستفاد من الفعل لامن السين وبأن الوجوب المشار اليه بقوله :
" لامحالة لا اشعار للسين به ، وأجيب بأن السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخر ، فاذا كان المقام ليس مقام تأخر لكونه بشارة تمحضت لإفادة الوقوع وبتحقق الوقوع يصل الى درجة الوجوب اهـ (١)

---

(١) المغني جـ١ ص ١٨٢

خامسا : " لـــن "

لن حرف من الحروف التي اختصت بالدخول على الفعل المضارع .
والفعل المضارع صالح للحال والاستقبال . والسين في اثباته تخلصه للاستقبال
ولن تنفي هذا الفعل المضارع المتصلة به السين أو سوف للدلالة على نفي الاستقبال
فلن خصصت نفي الفعل المضارع في الاستقبال . كما خصصت السين أوسوف اثباتــه
في المستقبل . الا أن هذا النفي لايفيد التأبيد بل ان النفي مستمر في المستقبـــل
الى أن يطرأ مايزيله . مثل قوله تعالى : " فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبـــي
أويحكم الله لي . وهو خير الحاكمين " .
فنفى شيء مفارقة الأرض الى أن يأذن له أبوه .

ولوكانت (لن) يمتد نفيها في المستقبل لما علق على نفي مفارقة الأرض
الى اذن أبيه له . ولكنها تدل على التأبيد بالمظهر في الكلام مايفيد هـــــذا
التأبيد ويطلقه . فالتأبيد فيها لايدل على الدوام ولهذا قيد النفي في قـــوله
تعالى : " فلن أكلم اليوم انسيا " (١) . وفي قوله تعالى : " ولن يتمنوه أبدا " (٢)
لن تفيد استمرار نفي الفعل المضارع في المستقبل الى حين التقييد . وهنا لم يـــأت
تقييد . وانما أتى تأبيد فهي أفادت ما أفادته (لـــن) . وجاءت لتأكيـــــد
هذا المعنى . لأن التأبيد فيها ليس على الدوام .

ولهذا يقول علماء البلاغة (المعاني) ان هذا نوع من الاطناب أي الزيادة
والتكرار جيء به للتأكيد وذلك لأن (أبدا) كررت المعنى الذي أفادته (لــــــن)
فهذا من أنواع التكرار في المعنى مع اختلاف في الألفاظ للتأكيد . وهـــــذا
كما جاء (أبدا) مع (لا) في قوله تعالى " ولايتمنونه أبدا " (٣) . وذلك لأن (لا)

---

(١) سورة مريم (٢) سورة البقرة آية ٩٥
(٣) سورة الجمعة آية ٧

تفيد النفي في جميع أزمان الفعل المضارع ، الحال والمستقبل ولم تخصص الفعل المضارع لأحد الزمنين اللذين يدل عليهما الفعل المضارع ، فلما جاءت (أبدا) بعدت النفي لمستقبل ، وأفادت ما تفيده (لا) وهو النفي في الاستقبال وأكدت هذا النفي في الاستقبال .

ولهذا كان التعبير بلن في الآية " لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " أدق وأنسب من (لن) ، وذلك لأن تعليق دخول الجنة بشيء مستحيل هو مستحيل في الحال والمستقبل اذ علق الفعل بأمر مستحيل أبدا أي في كل زمان ولو قال : فلن يدخلوا الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " كان المعنى : أن عدم الدخول في المستقبل دون النظر الى الحال مستحيل أي الاستحالة في المستقبل دون الحاضر ، وهذا ليس مرادا في الآية اذا استحالة دخولهم الجنة في كل زمان لأن الفعل علق بأمر مستحيل في كل زمان .

ولهذا أيضا جاءت الآية الكريمة في قوله تعالى : " ولا يتمنونه " (1) بلا ولم يعبر في الآية بلن ، لأن الآية جاءت بعد الشرط (ان زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت) وحرف الشرط يعم كل الأزمنة فقوبل بلا لعموم ما هو جواب له ، أي زعموا ذلك في وقت ما قيل لهم : تمنوا الموت .

وأما " لن يتمنوه " فجاء بعد قوله : قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة " (2) أي : ان كانت لكم الدار الآخرة فتمنوا الموت . الآية استعجالا للسكون في دار الكرامة التي أعدها الله لأوليائه وأحبائه ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : " لن تراني " (3) فالنفي بلن في هذه الآية لنفي ما قرب اذ هي لنفي الفعل (سيفعل) وأما (لا) فهي لنفي الفعل (يفعل).

---

(1) سورة الجمعة آية ٦
(2) سورة البقرة آية ٩٥
(3) سورة الأعراف آية ١٤٣

وبهذا أقول : ان (لن) أفادت توكيدا وذلك لأنها خصصت نفي الفعل في المستقبل ، مثل السين التي خصصت ثبوت الفعل في المستقبل ، ولأنها نفت ما كان مؤكدا بالسين فهي رد على القائل : اني سأفعل : انك لن تفعل ، وهكذا في الآية الكريمة : " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون " أكد الفعل فيها التكرار بالسين في (سوف تعلمون) لو فرض معاذ الله الرد من الكافرين على قوله تعالى : " سوف تعلمون " فان النفي سيكون منهم (لن نعلم) ، واذا كانت السين أكدت ثبوت الفعل في المستقبل فكذلك لن أكدت نفي الفعل في المستقبل . (١)

وقال الرضي : ولن وهنا نفي المستقبل ، وهي تنفي المستقبل نفيا مؤكدا ، وليست للدوام والتأبيد كما قال بعضهم . (٢)

وقال الزمخشري في المفصل : و (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل . تقول : لا أبرح اليوم مكاني ، فاذا أوكدت وشددت قلت : لن أبرح اليوم مكاني . قال الله تعالى : لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين " وقال الله تعالى : فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي ؟

وقال الزمخشري في الكشاف في قوله تعالى " ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا " (لن) أخت (لا) في نفي المستقبل الا أن (لن) تنفيه نفيا مؤكدا ، وتأكيده هاهنا للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال : محال أن يخلقوا . (٣)

---

(١) انظر سيبويه جـ٢ ص ٣٠٥ ، والمقتضب جـ٢ ص ٦
(٢) شرح الكافية جـ٢ ص ٢١٨ . المفصل جـ٢ ص ٣٠٠
(٣) الكشاف جـ٣ ص ٤٠

الفصل الثالث

التوكيد بالأدوات المشتركة بين الاسمية والفعلية

اختصت بعض الحروف بالأفعال فكان لها تأثير في اللفظ والمعنى، واختصت أخرى بالأسماء فكان لها تأثير في اللفظ والمعنى .

وهناك حروف مشتركة بين الأسماء والأفعال وذلك مثل : انما فهي مركبة من (إن) وكانت مختصة بالأسماء قبل دخول (ما) الزائدة عليها ، ولكن لما دخلت عليها (ما) الزائدة كفتها عن العمل في الأسماء ، وأزالت اختصاصها بالجمل الاسمية والفعلية على السواء مثل قوله تعالى : قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد . (١)

فالحروف المشتركة بين الأسماء والأفعال للتوكيد هي :

أولا : التأكيد بـ (ما ، الا) " أسلوب القصر .

القصر من صور التوكيد به تتحد في أداء وظيفتها على الأداة .

ومن هذه الأدوات : (ما ، الا) ، والقصر بهذه الأداة ، هو كل ما كان مؤكدا (بالا) مسبوقة بأداة من أدوات النفي المعروفة ، ما ، ان ، لا وكذلك هل المستعملة في النفي ، مثل قوله تعالى : " هل جزاء الاحسان الا الاحسان " ، وأيضا المسبوقة بلن ، ليس .

ويقوم أسلوب القصر على ما يسمى بالمقصور ، وما يسمى بالمقصور عليه .

والمقصور هو ما كان قبل الا ، والمقصور عليه ما كان بعد الا .

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٨ .

فـ (الا) أداة قصر وهي مسبوقة بالنفي ، ووظيفتها قصر ماقبلهـــا على مابعدها ، والقصر توكيد وايجاب أبدا .

وقد قال علماء النحو عنها : انها أداة استثناء في مثال : جاء القـــوم الا محمدا فالاسم " محمدا " مستثنى والمستثنى منه القوم ، وهذه الجملة لم يتقدم عليها نفي أونهي أو استفهام فهي موجبة ، والتعبير عن (الا) في هذا الشـــان بأنها أداة استثناء صحيح ، وجاء المستثنى منصوبا ، وقال بعض النحاة : ان العامل هو (الا) ، لأنها بمعنى استثنى .

أما في مثل المثال : ماجاء الا محمد فعبر عنه النحاة بالاستثناء المفـرغ وذلك لأنه ليس في الجملة مستثنى منه ، وانما الفعل جاء موجها الى محمد على جهة الفاعلية ، وفي هذا النوع من الاستثناء يأتي القصر ، ويكون اما قصر صفـة علـى موصوف ، أو موصوف على صفـة فقدور الا هو قصر هذا المجيء مثبتا على محمـــد وذلك لمخاطب ينكر هذا ويشك فيه .

و (الا) هذه ليست مثل (الا) في الاستثناء الموجب ، فـهي مسبوقـة بالنفي وجاءت أداة للقصر ، ووظيفتها قصر ماقبلها على مابعدها ، والقصر توكيـــد وايجابا أبدا .

وهذا هو مايفرق بينها وبين (الا) في الاستثناء الموجب ولذلك ألحـــق عنها النحاة في باب الاستثناء " الاستثناء المفرغ " وطريق افادة القصر بـ (ما ، الا) أنه اذا قيل مثلا : مازيد ؛ توجه النفي الى صفته لا ذاته ، لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها وانما تنفى صفاتها فاذا قيل : الا شاعر ، انتفى كونه كاتبا فهذا في قصـــر الموصوف على الصفة ، أما في قصر الصفة على الموصوف ، فاذا قيل : ماشاعر فقد دخل النفي على الوصف المسلم ثبوته ــ أعني الشعر ــ لغير من الكلام فيها ، كزيد وعمـــرو

مثلا ، توجه النفي اليهما فاذا قيل : الا زيد ، جاء القصـــــــر ، (١)

ويقتضى التوكيد بطريق القصر نحو: أننا أزلنا شبهة كان المخاطب فيهما مترددا ، ويرى غير الذى قيل ، فثبت لديه شيء كان مترددا فيه ، وكان غير واضح في ذهنه ، وهذا هو ما جرى عليه القرآن الكريم فقوله تعالى : " وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون " ، (١) فقصر موصوف على صفة ، أي لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعى اذا ادعى ، بل أنتم عندنا كاذبون فيها .

فأكدوا كلامهم بأسلوب القصر : أن الرسل كاذبون حيث قصروهم على الكذب وانتفى عنهم الصدق اذ كيف يكون لهم الصدق وقد قصروهم على الكذب .

ونجد أن طريق القصر بـ (ما ، الا) لأمر ينكره المخاطب ويعتقد خلافه فهو بمثابة التأكيد الواجب مثال ذلك في التنزيل (ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا " هذا لأنهم كانوا يعتقدون أن الرسل ليسوا من البشر فجعلوا الرسل بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم ، اذ ادعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر فأرادوا أن ينفوا عنهم النبوة بقصرهم على البشرية التي تتنافى مع النبوة ، وفي هذا تأكيد عدم النبوة عنهم .

ثم أريد اثبات أمر يعرفه المخاطب ، ويدعى خلافه ، فجاء النهج الكريم بهذه الطريقة ، حيث جاء في التنزيل " قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم " أي : نحن بشر فقط كما تقولون ، من مجاراة الخصم للالزام والافحام فكان من

---

(١) انظر الايضاح للقزويني ص ١١٥-١١٦

(٢) سورة يس آية ١٥

عادة من ادعى عليه خصمه الخطأ فى أمر هو أنه لايخالفه فيه ويصعد اليه كأنه على وجهه متنازلا للكفار : لانخالفكم فى هذا ، ولكن لايلزم من هذا أننا لسنا يونس ، وقد من الله علينا بالرسالة الكريم .

وأما قوله تعالى : " وما أنت بمسمع من فى القبور ، ان أنت الا نذير " (١)

الخطاب فى هذه الآية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو صلى الله عليه وسلم لاينكر أنه نذير الى الناس ، ولكن لما كان النبى صلى الله عليه وسلم على جانب من الحرص على ارشاد الكفار ومحاولته لهدايتهم الى الاسلام وأجهد نفسه فى ذلك نزل منزلة من يشك ويظن أنه يملك أن يهدى هؤلاء الكفار الذين جهلوا وران على قلوبهم الكفر ، ولذلك نجد الآية فى أولها مؤكدة أيضا بالباء بعد النفى لتؤكد للنبى صلى الله عليه وسلم أنه لايستطيع هداية هؤلاء الكفار الذين طبعت قلوبهم على الكفر والعناد ، وأصبحوا كالموتى الذين لايسمعون ثم أكد له أنه ليس عليه الا الانذار فقيل له : ان أنت الا نذير .

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى للنبى صلى الله عليه وسلم فى كتابه العزيز " فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر " (٢) وجاء القصر بانما هنا لأنه لايحتاج الآية مايشير الى أنه صلى الله عليه وسلم قد قام بعمل ينزل به منزلة من يشك فى أنه منذر ومذكر فقط ولكنه يعلم ذلك ، ثم أكد له ذلك بالآية التالية : " لست عليهم بمصيطر " بزيادة الباء بعد النفى .

وهذا كما فى الآية : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ،

---

(١) سورة فاطر آية ٢٢-٢٣

(٢) سورة الغاشية آية ٢١، ٢٢

أي أنه صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت ، وذلك لأنه نزل استعظامهم موته منزلة انكارهم اياه ، فجاء اليهم الكلام مؤكدا بطريق القصر بـ (ما ، الا) لدفع هذا الانكار باثبات أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وأنه سيموت كغيره من الرسل السابقين .

ولهذا جاء القصر بـ (ما ، الا) في هذه الآية التالية " قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون " (١) ، وذلك لأن القصر يفيد ما يفيد أن المخاطبين يعتقدون خلاف (ان أنت الا نذير) أي : أن النبي ليس بشيرا ويملك دفع الضر والسوء ، فسيقت لهم هذه الآية لدفع هذا التوهم ، وتؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما جاء اليهم الا ليكون نذيرا وبشيرا .

والمراد من التعبير بقصر الصفة على الموصوف أو العكس ، ليست الصفة التي هي النعت النحوي ، وانما المراد من الصفة ، الصفة المعنوية ، مثال : قصر الفعل على المفعول ، قوله تعالى : " ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم " (٢) ، فهذه الآية سيقت في مقام اشتمل على معنى : انك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله الى ما لم آمرك أن تقوله فانى أمرتك أن تدعو الناس الى أن يعبدوني ، ثم انك دعوتهم الى أن يعبدوا غيري ، بدليل قوله تعالى : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله " (٣) .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٨٨

(٢) سورة المائدة آية ١١٧

(٣) سورة المائدة آية ١١٦

وهنا أن المولى سبحانه وتعالى يعلم فعلمه قد أحاط بكل شيء يغني عن الإجابة عن سؤاله .

" ما قلت لهم إلا ما أمرتني به " ولكن لما كان حال الكافرين من عصيان نزل المولى جل جلاله منزلة من ينكر ويعتقد خلاف ذلك .

فأكدت الآية بطريق القصر بـ (ما ، إلا) والاستفهام في قوله تعالى :

" أأنت قلت للناس " استفهام توبيخ وتعريض للكفار وليس على حقيقته .

ثانيا : التوكيد عن طريق القصر بـ (انما)

انما حرف مركب من (ان) ، (ما) ، (ان) حرف توكيد دخلت عليه ما الزائدة ، فكفته عن العمل وأزالت اختصاصه بالدخول على الجمل الاسمية ، ولكن معنى التوكيد مازال به .

، (ما) حرف زائد أشبه (ما) الزائدة للتوكيد والمتصل بـ (ان) الشرطية (اما) .

قال السكاكي : ويذكر لذلك وجه لطيف يسند الى على بن عيسى الربعي ، وهو أنه لما كانت كلمة (ان) لتأكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة ، لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ، ناسب أن يضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس الا تأكيدا على تأكيد فان قولك " زيد جاء لا عمرو " لمن يردد المجيء الواقع بينهما ،

يفيد اثباته لزيد صريحا وفي الآخر ضمنا . (١)

ومن هنا قال من يقول : ان (انما) بمعنى : (ما ، الا) ، لأن (ما) حرف نفي ، (الا) بمثابة (ان) في الاثبات لادليل له الا المعنى ، ومعنى جاء النفي لم يأت من (ما) في (انما) ولكن من القصر الذي يفيد اثباتا لفظا ونفيا ضمنا ، ولهذا يصح أن يقال : انما جاء زيد لا عمرو لأن النفي ضمني ، ولا يجوز ما جاء الا زيد لاعمر لأن النفي لفظي .

وأما استدلالهم بانفصال الضمير في بيت الفرزدق ؟

أنا الذائد الحامي الذمار وانما
يدافع عن أحسابهم أنا أومثلي

---

(١) الايضاح للقزويني ص ٢١٧

اذ لايصح فصل الضمير الا بعد الا ، فانهم وان تالوا ذلك ، فقد فاتهم المعنى المراد منه ، والمراد والسبب في فصل الضمير ، هو : أن القصر يفيد الاختصاص والاختصاص يكون للثاني أي للمتأخر من انما فقد أراد الفرزدق أن يخص نفسه بالدفاع عن أحسابهم ، ولذلك جعل الفعل ضميره للغائب حتى لايستتر الضمير مع الفعل ، لأنه لوقال (أدافع) يكون الاختصاص للأحساب ، لأن قوله (عن أحسابهم) سيكون حينئذ هو المتأخر ، والاختصاص للمتأخر ، ويكون المعنى أن الدفاع عن أحسابهم دون غيرهم ، وليس هذا هو مراد الفرزدق .

وهذا يظهر في قول الله سبحانه وتعالى : " انما يخشى الله من عباده العلماء " فالمراد من سياق هذه الآية ، هو اختصاص العلماء بخشية الله ولذلك قدم لفظ الجلالة (المفعول) وأخر الفاعل (العلماء) فلو لم يكن ذلك وقيل : انما يخشى العلماء من عباده الله ، يكون لفظ الجلالة هو المختص بالخشية ومعنى ذلك أن العلماء يخشون الله وغيره أيضا ، وليس هذا هو المراد من الآية وانما المراد اختصاص العلماء بخشية الله بمعنى أن غيرهم لايخشون الله سبحانه وتعالى ؛ فاذا قيل : ان القصر عن طريق (انما) يكون لما يعلمه المخاطب ولايجهله والتوكيد لازالة الشبهات والتردد فكان ترددا أو شك مع التأكيد بـ (انما) اذا كان الكلام يلقى لمن لايجهله ولاينكره

فالجواب أنه وان كان القصر بـ (انما) يلقى لا لاختصاص ، والاختصاص طريق من طرق التأكيد ، وهذا كما في قوله تعالى : " انما عليك البلاغ وعلينا الحساب (١) " فان هذه الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم أن عليه البلاغ فقط

---

(١) سورة الرعد آية ٤٠

ولكن الموقف القصر بـ (انما) هو ما أريد اختصاصه ، فأريد بهذه الآية اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالبلاغ ، بمعنى أن عليه البلاغ فقط دون غيره من محاولات الهداية وبذل مجهود لهداية الناس ، فعليه البلاغ فقط ، وعلى المولى عز وجل الحساب ، والاختصاص هنا أفاد معنى التوكيد ، لأن (انما)

أى ليس عليه غيره ، فقصر الرسول صلى الله عليه وسلم على البلاغ هو طريق التوكيد ، وكذا كما فى قوله تعالى : " انما السبيل على الذين يستأذنونك "(١) . فالاختصاص الذى أفاد هو " على الذين يستأذنونك " لا غيره ، وفى هذا توكيد لأنه أيضا أزال الشبهة وهو أن السبيل ربما يكون لغير الذين يستأذنونك فى التخلف وغيرهم .

فالاختصاص جنس الذين يستأذنونك هم وحدهم لهم السبيل دون غيرهم .

وقد يأتى القصر بـ (انما) للتعريض والتلميح . مثال ذلك قوله تعالى : " انما يتذكر أولو الألباب "(٢) فانه تعريض بذم الكفار ، وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل .

ففى هذه الآية تأكيد لهذا المعنى ، وهو أن الكفار لا عقل لهم حيث انهم لا عقل لهم .

وجاء هذا المعنى الذى أريد تأكيده من الاختصاص الذى أفادته (انما) ، لأن الاختصاص فى (أولوا الألباب) أى أن أولى الألباب مختصون بالتذكر

---

(١) سورة التوبة آية ٩٣

(٢) سورة الرعد آية ١٩

دون غيرهم وهم الكفار فجاء التوكيد بالاختصاص بالتذكر ونفى هذا التذكر عمن عداهم • وهذا كما فى قوله تعالى : انما أنت منذر من يخشاها [1] انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب فالمعنى أنه من لم يكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار •

وفى كل هذا تأكيد على أنه لافائدة من انذار ووعظ من لا خشية له •

ثالثا : التوكيد بطريق العطف

وهذا التأكيد الذي جاء عن طريق القصر بـ (ما ، الا) ، (انما) يأتي أيضا عن طريق القصر بـ (لا) العاطفة ، فنحن اذا قلنا زيد شاعر لا كاتب فان في ذلك قصر (زيد) الموصوف على الصفة (شاعر) قصر افراد لأننا نفينا عنه أنه كاتب ، وكان التردد بين جمع الصفتين له شاعر وكاتب ، وبين قصره على صفة واحدة منهما ، وهي : شاعر أو كاتب ، فدلنا على الصفة الأولى بـ (لا) العاطفة وهي نافية أفادت اختصاصه بالشعر دون صفة أخرى ، وفي هذا تأكيد لأنه أزال شبهة وترددا بين الصفتين .

وكذلك بل العاطفة في القرآن الكريم " اذا تتلى عليهم آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون "
والمعنى : كلا ليس الأمر كما تقولون بل غلب على قلوبهم فختمها ما كانوا يكسبون من المعاصي فهي كالصدأ .

فالعطف بـ (بل) هنا أكد أن قلوبهم غلف بسبب المعاصي التي ارتكبوها ، وانتهوا الى ما قالوه وتقولوه على القرآن من أنه أساطير الأولين ، وأيضا في مثل قوله تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا بل عباد مكرمون " (١)
فدخلت بل هنا على جملة ، ومعناها ترك ما قبلها والرجوع عنه بابطاله ، وفي هذا تأكيد اذ أنها أكدت ما بعدها ونفت ما قبلها .

وربما تأتي لمجرد الانتقال من قصة الى قصة أخرى ، فهي في هذا لا تفيد تأكيدا ولكنها لمجرد الانتقال فهي حرف ابتداء ، وذلك مثل قوله تعالى : قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٦

وقوله تعالى : " ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ".

وهي في هذا حرف ابتداء لا عاطفة (١)

هذا إذا كانت بل داخلة على جملة فهي إما أن تكون عاطفة وإما أن تكون حرف ابتداء كما سبق بيانه .

وإذا كانت عاطفة مفردا وسبقها نفي أو نهي فهي لتقرير ماقبلها على حالته وإثبات ضده لما بعدها .

وأما إذا تقدمها أمر أو إيجاب فهي تجعل ماقبلها كالمسكوت عنه فلا يحكم عليه بشيء وثبوت الحكم لما بعده .. وفي هذا تأكيد لما بعدها (٢)

(١) انظر المغني جـ١ ص ١٠٢
(٢) انظر المغني جـ١ ص ١٠٢

رابعا : لام القسم

الأصل في هذه اللام أنها لام الابتداء التي تفيد التوكيد ، كما سبق بيانه في باب مؤكدات الجملة الاسمية .

ولما كان جواب القسم يحتاج الى مؤكد له ، لأنه سبقه قسم ، فوجب له التوكيد ، فمؤكد اما باللام واما بأن ، فدخلت هذه اللام على جواب القسم وسميت لام القسم .

وانما قيل عنها : ان أصلها لام الابتداء ، لأنها قد تتعرى من معنى الجواب ، وتخلص للابتداء ، وقد تتعرى من معنى الابتداء فتقول : لعمرك لأقومن ، وتقول : لعمر الله ماتدري ، فتراها هنا خالصة للابتداء اذ لايصح فيها معنى الجواب ، لأن القسم لايجاب بالقسم . ولذلك كان أخص بها معنى الابتداء . (١)

وهذه اللام تدخل على الفعل والاسم . أما الداخلة على الفعل فهي تدخل على الماضي والمستقبل فاذا دخلت على المضارع فلابد من النون المؤكدة ثقيلة أم خفيفة ، مثل قوله تعالى : " وتالله لأكيدن أصنامكم أجمعين " (٢) ، وقوله تعالى " لنسفعا بالناصية " (٣) فهذه اللام لتأكيد القسم للمقسم عليه واتصال القسم بالمقسم عليه .

والنون دخلت مؤكدة أيضا ، وصارفة للفعل الى الاستقبال ، واعلام السامع أن هذا الفعل ليس للحال ، وانما هو للاستقبال ، وهذا هو الفرق بينها وبين اللام –

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٩ ص ٢٠
(٢) سورة الأنبياء آية ٥٧
(٣) سورة العلق آية ١٥ـ١٦

المؤكدة في الجملة الاسمية اذ أن اللام المؤكدة للجملة الاسمية والتي تجامع (ان) وهي لام الابتداء ، واللام الفارقة اذا خففت ان تدخل على المضارع فقط للدلالة على الحال ولمضارعته للاسم ، لأنها لاتدخل على الاسم فقط ، فمضارعة المضارع للاسم جوز دخولها عليه ، مثل قوله تعالى : " وان ربك ليحكم بينهم " (١) أن لحاكم بينهم أما هذه اللام (لام القسم) فتدخل على المضارع الذي ظهر معناه للاستقبال بسبب دخول نون التوكيد عليه .

فان دل في الكلام دليل على معنى الاستقبال استغني عن هذه النون ولذلك حذفت النون (نون التوكيد) في قوله تعالى " ولسوف يعطيك ربك فترضى " (٢) ، وقوله " وسوف تسألون " (٣) ، لأن سوف تختص بالمضارع .

ولم تأت هذه اللام والنون الا في الفعل الذي يخلص معناه للاستقبال وذلك انما يكون في قسم ملفوظ به أو مقدر .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله :

" ليفعلن ان جاءني " مبتدأ ، قال : هي على نية القسم (٤) .

وهذا كما في قوله تعالى : " لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين " وقوله تعالى : " ولتعلمن نبأه بعد حين " (٥) أما اذا دخلت هذه اللام على الماضي ، فان الأصل في هذه اللام أنها لام الابتداء ، ولام الابتداء لاتدخل على الفعل الماضي المحض ، فلابد من معنى لتقريب معنى الماضي للحال فتدخل هذه اللام على الماضي عند اتصاله بالحرف (قد) ، لأنها تقرب معناه

---

(١) سورة النحل آية ١٢٤
(٢) سورة الضحى آية ٥
(٣) سورة الزخرف آية ٤٤
(٤) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٩ ص ٢٠
(٥) سورة ص آية ٨٨

من الخاطئ ، وهذا في مثل قوله تعالى : " تالله لقد آثرك الله علينا "
وربما حذفت هذه اللام ، كما في مثل قوله تعالى: " قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها " (١) .

وأما اذا دخلت اللام على الشرط ، فان بعض العلماء يسميها لام الشرط ، وبعضهم يسميها اللام الموطئة أي الموذنة ، والموطئة لجواب القسم وكأنها توطئة لذكر جواب القسم ، وهي تدخل على جواب القسم ، وهذا لأن القسم لايجاب بالشرط ، كما لا يجاب الشرط بالقسم ، لأن كل واحد منهما يحتاج الى جواب ، والقسم وجوابه جملتان متلازمتان ، فكانت كالجملة الواحدة ، كما أن الشرط وجوابه كالجملة الواحدة ، وهذا في مثل قوله تعالى : " لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار " (٢) ، فاللام الأولى دخلت على الشرط ، والثانية دخلت على الجواب ، فقوله تعالى : " لايخرجون لاينصرونهم " جوابا القسم بدليل وجود النون ، وقوله " ليولن " جواب القسم دخلت عليه اللام ، وقوله : " ولقد آتينا موسى الكتاب " اللام لام قسم ، ولايجوز أن تكون لام الابتداء ، لأن لام الابتداء لاتدخل الا على الأسماء وما يكون بمنزلة الأسماء كالمضارع .

وبالنسبة للام الواقعة في جواب (لو) أو (لولا) ، فاختلف العلماء فيها فبعضهم قال : انها لام القسم جاءت بعد (لو) على اعتبار نية القسم ، وهذا كما في قوله تعالى : " ولو شئنا لرفعناه بها " (٣) ولو كان من عند الله لوجدوا

---

(١) سورة الشمس آية : ٩-١٠
(٢) الحشر آية ١٢
(٣) سورة الاعراف آية ١٧٦

فيه اختلافا كثيرا " (١) وقوله تعالى : " ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة " (٢) وأو تقول " لو أن الله هداني لكنت من المتقين " (٣)

فالقسم مقدر قبل لو في جميع هذه الآيات ومثال لولا : ولولا رهطك لرجمناك " ، وبعضهم قال : ان هذه اللام هي جواب لو وهي قسم آخر قائم برأسه (٤)

والراجح — على حد ما أرى — أن هذه اللام هي لام القسم لزيادة التأكيد وإذا ما كانت هذه اللام في جواب لو فانه يجوز سقوطها وذلك لأنها زائدة في جواب الشرط للتأكيد وهذا كما في قوله تعالى : " لو نشاء جعلناه أجاجا " (٥) فقوله " جعلناه " جواب لو حذفت منه اللام ، ولهذا ذهب أبو علي في بعض أقواله الى أن اللام في جواب لو ، لولا زائدة ومؤكدة .

واستدل على ذلك بجواز سقوطها ، وهذا مما يؤكد أن هذه اللام هي لام جاءت في جواب لو أو لولا للتأكيد . (٦)

---

(١) سورة النساء آية ٨٢
(٢) سورة التوبة آية ٤٦
(٣) سورة الزمر آية ٥٧
(٤) انظر شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص ٢٢
(٥) سورة الواقعة آية ٧٠
(٦) انظر شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص ٢٣

الباب الثالث

الزهاد:

الزيـــــــادة

في البابين السابقين تناولت التأكيد بالتكرار ثم التأكيد بالأداة .
أما في هذا الباب " باب الزيادة " فهو توكيد بالأداة أيضا الا أني لم أجعله ضمن الباب الثاني " التوكيد بالأداة " لأن أداة الزيادة هنا لم تستعمل زائدة فقط ، وانما استعملت في معان أخرى أصلية ، بخلاف أدوات التوكيد التي جاءت في الباب الثاني ، فهي أدوات وضعت في أصل وضعها لتلك المعاني التي استعملت فيها ، وكانت أصلية في استعمالها مثل : (ان) ، ونون التوكيد فهما وضعا في أصل الوضع ليكونا أداة للتوكيد ، ولم يستعملا في معنى غير المعنى الذي وضعا له .

لذا جعلت بابا خاصا لهذا الموضوع ، وهو :
بـاب الزيـــادة :

التوكيد بالزيادة :

من الناس من يستنكر أن يقال : ان في القرآن كلمات زائدة . (١)
وهذا الاستنكار سببه أمور أهمها :

الغيرة على القرآن الكريم ، لأن نسبة الزيادة الى كلام الله تنافي الآية الكريمة : " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " .

وأن هذا يفتح المجال لأعداء الاسلام ، والذين يكيدون له ، فيفترون على القرآن افتراءات ، تخدم مزاعمهم وأهواءهم .

والواقع أن السبب في هذا الاستنكار من هؤلاء الغير على القرآن هو أنهم لم يفهموا معنى الزيادة في القرآن الكريم ، فالزيادة معناها ليس هو المعنى العام المفهوم من اللفظ وهو أن وجود الكلمة كعدمها ، وانما هو خروج الكلمة من معناها الأصلي الذي وضعت له ، ثم استعملت في معنى آخر مراد من الكلام .

فمثلا : الحرف (الباء) هذا الحرف موضوع في أصل وضعه لمعان ، من هذه المعاني (الالصاق) ، (التعدية) ، وغير ذلك مما دون في كتب النحو .

فاذا جاء في خبر ليس مثل قوله تعالى : " لست عليهم بمصيطر " (٢) ، فان هذا الحرف حقيقة من الممكن أن يستغنى عنه ، فيقال " لست عليهم مصيطرا "

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج٣ ص ٧٢ـ ٧٣

(٢) سورة الغاشية آية ٢٢

فاذا جاء هنا أى معنى من معانيه الأصلية أداها فى اتصاله بخبر (ليس) نجده لم يأت لأى معنى وضع له فى أصل اللغة مثلم يأت للتعدية ، ولا للاستعانة .. الخ

فاذا تدبرنا فى معنى الآية ، نجد أن المعنى يكون مؤكدا بالباء ، ولا يكون بهذا المعنى اذا خلت الآية من الباء .

اذن : الباء هنا جاءت للتأكيد ، ولا يكون فى الكلام تأكيد اذا خلا من الباء ، وهكذا فى قوله تعالى " وماربك بظلام للعبيد " .

ولا ننكر أن هذا الحرف (الباء) فى تأكيده نلمح فيه شيئا من المعنى الذى وضع له ، الا أنه ليس جوهريا فى الكلام .

وبيان ذلك : هو أنه أفاد المعان نفى الظلم من الله بالعباد ، وفى معنى نفى الالصاق التوكيد ، اذ نفى الالصاق والملازمة معناه شدة النفى ، على الرغم من أن هذا الحرف زائد ، فقد استعنا بأحد معانيه الأصلية به لافادة التوكيد ، ولكن لا عن طريق أدائه هذا المعنى أداء جوهريا ، وانما المعنى الجوهرى الأساسى الذى يؤديه هذا الحرف هنا هو التوكيد ، والتوكيد ليس من معانيه الأصلية التى وضعت له .

اذن وجود هذا الحرف فى الكلام ليس كعدمه اذ أنه يفيد التوكيد ويخلو الكلام من التوكيد عند حذفه .

ومن ثم فان كل كلمة فى القرآن الكريم تبدو زائدة فانها زائدة لمعنى يخلو الكلام من هذا المعنى اذا ماخلا من هذه الكلمة .

وبعد أن بحثت ذلك نأتي الى الكلمات الزائدة في القرآن الكريم ، فنجد أن الأسماء لاتزاد ، وأما قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ج١ ص١٦ "أن لفظ (وجه) يزاد في القرآن الكريم كما ورد في قوله تعالى : "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " (١) ، وقوله "كل شيء هالك الا وجهه " (٢) وفي غير هذه الآيات ، فقد رد هذا الكلام ورأى الطبري فساد هذا الرأي ، ودلل على فساده بأدلة واضحة (٣).

فالذي يزاد هو الحروف وبعض الأفعال .

أما الحروف الزائدة : فهي الكلمات التي تذكر في مقابلة الأسماء والأفعال في تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف ، ويعبر عنها النحاة بحروف الصلة وهي :

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٢

(٢) سورة القصص آية ٨٨

(٣) راجع الطبري ج١ ص ٩٠

أولا : " أن " مفتوحة الهمزة ساكنة النون

ترد " أن " في الأصل لمعان ووظائف متعددة منها :

أن تكون مصدرية ، مثل قوله تعالى : " وأن تصوموا خيرا لكم " (١)، وأن تكون مخففة من الثقيلة ، كما في قوله تعالى : " علم أن سيكون منكم مرضى " (٢) ، وأن تكون مفسرة ، كما في قوله تعالى " فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا " (٣).

هذه المعاني كلها تأتي فيها " أن " على الأصل ، بحيث يفسد التركيب ويختل المعنى بدونها ، فهي أصل في تركيب الجملة .

وتأتي " أن " لغير هذه المعاني الموضوعة في اللغة ، فتكون زائدة ، لأنها خرجت وانسلخت من المعاني التي وضعت لها في أصل وضعها في اللغة الى معنى آخر ، ووظيفة أخرى .

وهذا كما في وقوعها بعد (لما) الظرفية ، كما في قوله تعالى : " ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا " (٤) فحكموا بزيادة " أن " هنا لأن (لما) ظرف زمان ومعناها وجود الشيء لوجود غيره ، وظروف الزمان غير ممكنة الاضافة الى المفرد ، و " أن " هذه تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد ، فلم تبق " لما " مضافة الى الجمل ، ولهذا حكموا بزيادتها .

فلما جعلها عدة لفظها مثل " أن " المصدرية ، " أن " المفتوحة فهي بذلك انسلخت من وظيفتها والمعاني الموضوعة لها في أصل الوضع الى معنى آخر فأي معنى هذا ؟ ، دون في كتب النحو أنها زائدة لتوكيد الكلام الذي جاءت فيه ، ولكن كيف أفادت التوكيد ؟

قال في ذلك الزمخشري ـ رحمه الله ـ " أن " في قوله تعالى : " ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا " صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ (٢) سورة المزمل آية ٢٠
(٣) سورة المؤمنون آية ٢٧ (٤) سورة العنكبوت آية ٣٣

ز وقتين متجاورين ، لا فاصل بينهما ، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل : لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث "[1] ، وتبعه في ذلك أبو طيب الشلوبين ، وابن هشام في مثالته فيه ، [2] . هذا هو المعنى الذي زيدت من أجله " أن " بحيث لو خلا الكلام منها ، فإن هذا المعنى الذي ذكره الزمخشري — رحمه الله — سيخلو من المعنى أيضا .

والواني أنى أرى أن " لما " عندما زيدت أن بعدها كأنها كررت مرتين للتأكيد ، لأن معنى " لما " وجود الشيء لوجود غيره ، وزيدت " أن " بعدها لتأكيد هذا المعنى مع إرادة إيلاء المعنى الثاني للأول بدون ريث ، وذلك لأننا نلمح في أن أحد معانيها الأصلية ، وهو معنى " إذ " الذي للظرف ، كما في قوله تعالى " بل عجبوا أن جاءهم " . (٣) ، على معنى أن " أن " بمعنى إذ ، فكأن معنى الظرف كرر مرتين ، ومن هذا التأكيد من تكرير الظرف استفيد معنى حدوث الفعلين بعد " لما " في وقت واحد .

ومن ثم يتضح لنا السبب في زيادة " أن " في الآية الكريمة في سورة يوسف آية ١٢–٩٦ " فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا " .

نجد " أن " مزيدة في هذه الآية بعد " لما " وفي مقام لا يحتمل أناة ولا بطئا لأن البشرى التي يحملها رسول يوسف إلى أبيه ليست مما ألف الناس أن يتبشروا به ولكنها الأمر الذي لا يحلم له نظير سابق ، لأن يعقوب سترتد بصيرا ، وسيرى يوسف قرة عينه حيا بعد بكاء شديد عليه ، وحزن حتى ابيضت عيناه من الحزن عليه ، فيحق لحامل هذه البشرى أن يطير إلى يعقوب ليلقي على وجهه القميص .

---

(١) الكشاف ج٢ ص ١٧٩

(٢) انظر المغني ج١ ص ٣٠–٣١

(٣) سورة ق آية ٢

تزيد " أن " هنا للدلالة على سرعة حامل البشرى في الوقت الذي جاء فيه ألقى على وجه يعقوب القميص دون ريث ، بل التعلون المجيء والإلقاء حدثا في دقيقة واحدة وكأنهما فعل واحد .

كل هذا استفيد من زيادة " أن " ولولا زيادتها ، لما احتفت الجملة هذا المعنى .

ويستفاد أيضا هذا المعنى في آية سورة القصص ١٨/١٧ " فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ، قال له موسى : إنك لغوي مبين ، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ، قال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين " .

نجد في هذه الآية كررت " أن " وكلها استعملت فيما وضعت له في أصل اللغة ماعدا " أن " بعد " لما " فإنها زائدة ، جاءت لمعنى التأكيد والتركيز بعينه في الآيتين السابقتين " آية يوسف ، والعنكبوت " وهنا في هذه الآية نجد أن " أن " زيدت ؛ لأن موسى قد صرع رجلا قبل هذا الحوار في هذه الآية بين موسى والذي استصرخه وقد قضى موسى عليه بضربة واحدة بيده ، وهذا الذي يستصرخه اليوم قد رأى هذا البطش بعينيه ، فما يبعد جدا أن يفزع بمجرد أن يرى من موسى بادرة البطش به ، فيبادره بصرخته المفزعة ويقذفه بقوله يحذره ويذكره : يا موسى : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس .

فنجد المبادرة من موسى بالضرب والمسارعة من الرجل بقوله حدثتا في وقت واحد ، وكأنهما حدث واحد ، وهذا مستفاد من زيادة " أن " ومما يزيد هذا المعنى صحة آية إبراهيم .

"ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى" (1) نجد أن "أن" لم تجيء بعد لما في هذه الآية كما زيدت في آية مجيئهم لوطا. وذلك لأن الحال التي كان عليها ابراهيم كانت غير الحال التي كان عليها لوطا، فقد كان ابراهيم آمنا مطمئنا لم ينكر من قومه منكرا أو يخش عليهم فسادا، وبعد ما نجاه الله منهم وهاجر إلى أرض خير من أرضهم، وكان عليه السلام جوادا مضيافا، فلما رأى الملائكة لم يدر بخلده إلا أنهم أضياف مثله في ذلك كمثل كل جواد مضياف، حين يقدم عليه قادمون لم تكن له سابقة بلقائهم، فليس في هذه القصة إلا قصة الضيافة التي قوامها تحية وسلام وحفاوة وترحاب.

أما لوط فكان ضائقا بقومه شديد السخط عليهم، فلما رأى الملائكة حسبهم بشرا، فشغله أمرهم وتسارع إليه القلق خوفا من قومه أن يفضحوه فيهم وهم ضيف ولهم عليه حق الحماية والكرامة.

ثم كان من مقاصد القصة هنا تصوير السرعة التي صاحبت استياء لوط من مجيئه تصويرا مثيرا للإثارة، فكانت الزيادة لذلك هي الأداة المختارة لها، [illegible] هذا التعبير البارع الذي يتميز بالدقة ولطف المدخل.

وهنا بقي شيء لابد من الإشارة إليه، ألا وهو: قصة لوط ذكرت مرة ثانية في سورة هود، ومرة ثالثة في سورة الحجر، وصدرت في السورتين بلما، ولكنهما لم تتبع فيهما بأن، كما أتبعت بها في سورة العنكبوت، مع أن موضوع القصص الثلاث واحد، وهو لوط والملائكة، فما سر هذا الخلاف بينها في التعبير؟

إذا تفهمنا منهج القرآن الكريم في قصصه يمكن أن ندرك السر، فالقرآن الكريم لا يلتزم صورة واحدة للقصص التي يوردها مهما كانت مرات إعادتها.

---

(1) سورة العنكبوت آية ٣١

ولكنه يعيدها في قليل أكثر من أوجه التنويع تارة بالذكر أو الحذف ، ..
وأخرى بالاجمال أو التفصيل ، وثالثه بالتصريح أو التلميح ، وهكذا .

والنفس البشرية بالجديد أحفل واليه أميل ، فلذلك تأخذ كل قصة معـــادة
بعض ملامح تأخذ به القصة التي تقدمتها ، وانها لتتفق كلها مع ذلك على جوهر الموضوع
واحدا في كل مقام تذكر فيه ، فصورت قصة العنكبوت ما سكتت عن تصويره القصتان الأخريان
وهو سرعة الأحاسيس التي جاشت بها نفس لوط حين رأى الملائكة مقبلين عليه ، وذكـرت
قصة هود ما وصف به لوط يومئذ ، فقال : هذا يوم عصيب ، وهذا وصف يشير الى أحاسيســه
ولا يصرح بها .

وأسكت قصة الحجر عن حديث الأحاسيس ووصف اليوم معا ، واجتزأت مـن
ذلك بارتياب لوط في الملائكة ، اذ قال لهم : انكم قوم منكرون .

ثم واحت تشريفية القصة منذ أن أبلغه الملائكة سبب مجيئهم اليه الى أن ـ
قضى الله قضاءه في المجرمين من قومه . ذلك الى أمور أخرى اختصت بها كل قصـــة
في القرآن الكريم .

بقي شيء أخير بالنسبه لـ " أن " الزائدة (١) .

" وأجاز الأخفش اعمال الزائدة ، واستدل بالسماع ، كقوله تعالى : " ومالنـا
أن لانقاتل " ... الخ " .

والواقع أن سبب ما ذهب اليه الأخفش هو الآية " ومالنا لانؤمن باللــــه " (٢)

(١) الأشموني ص ٢٨٥ جـ٣
(٢) سورة المائدة آية ٨٤

حيث سقطت "أن" وذكرت في الآية "ومالنا ألا نقاتل"(1) ورد عليه بأن "أن" مصدرية (2) . وأرى – والله أعلم – أن "أن" مصدرية في الآية وليست زائدة ، والأصل : ومالنا في أن لا نقاتل " .

وسبب عدم ذكر "أن" في الآية "ومالنا لا نؤمن" أن "أن" حرف مصدر ونصب يجعل المضارع بعده للاستقبال فلم تذكر في "ومالنا لا نؤمن" لأن المراد في الآية الإيمان في الحال والاستقبال ، فناسب هنا عدم ذكرها .

---

(1) سورة البقرة آية ٢٤٦

(2) انظر الأشموني ص ٢٨٥ جـ ٣

ثانيا : "إن" بكسر الهمزة وسكون النون

إن حرف من الحروف التي تأتي لمعان متعددة ، كما سبق بيانه في "أن" .
ومن المعاني التي تردلها "إن" : النفي ، فإذا ما وجد النفي قبلها تكون زائدة ، لتأكيد النفي قبلها مثل "لا" في تكرارها معنى في قوله تعالى : "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" .

فإذا ما ذكر النفي قبلها كانت زائدة ، كما في قوله تعالى :"ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ..(١)

ولقد قال الفراء إن "ما ، إن" جميعا للنفي مبالغة في النفي وتأكيدا له ، كما تزاد اللام تأكيدا للايجاب في قولنا : "إن محمد القائم" (٢) .

وعلى هذا يكون التأكيد لفظيا ، ولكن الصواب أن "إن" هنا زائدة إذ لو كانت نافية لانتقض النفي ، لأن نفي النفي إثبات (٣) .

وهذا يدل لبن قوله تعالى "مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم" (٤) .

وعلى هذا فالتأكيد معنوي ، ولذا يطرد زيادتها مع (ما) .
وفائدة تأكيد النفي هنا في هذه الآية ، التأكيد على مدى ضعف كفار مكة ، حيث ان هذه الآية خطاب لأهل مكة ، بعد أن ذكرلهم قصة عاد ، إذ أنذر

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٦
(٢) انظر شرح المفصل جـ٨ ص ١٢٩
(٣) شرح المفصل جـ٨ ص ١٢٩
(٤) سورة الأنعام آية ٦

قومه بالأحقاف ، وقد كانوا على قوة من المال وغيره ، فقد أهلكهم الله ، ونجى هودا ومن آمن . أما أنتم يا أهل مكة فلستم مثلهم ولم تعطوا من القوة والمال مثل ما أعطوا ألستم أهون على الله منهم . . فجاء النفي مؤكدا لهم بتكراره معنويا أو لفظيا . — ليناسب حالهم من الإنكار لمجيء أنبائه واضطهادهم لهم .

ثالثا : البــــــاء

لحروف الجر معان تؤديها في الكلام ، وهذه المعاني يحتاج التعبير إليها في الجملة ، بحيث إذا حذف هذا الحرف في الجملة يختل المعنى والتركيب مثل قوله تعالى : " وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (١) "

فالباء في الآية حرف جر استعمل فيما وضع له من المعاني الأصلية ، وهي التعدية .

وقد يرد حرف الجر " الباء " في الجملة ، ولا يؤدي معنى من المعاني التي وضعت له ، عند ذلك يحكم عليه بالزيادة .

ويأتي هذا الحرف زائدا في موضعين :

الأول في الاثبات ، والثاني في النفي .

أما في الاثبات ، فهو أن يزاد مع الفضلة في الجملة كقوله تعالى : " وهزي إليك بجذع النخلة " (٢) وقوله تعالى " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم " (٣) وقوله : " تنبت بالدهن (٤) على أن تنبت من الرباعي لا من الثلاثي .

وكذلك تزاد الباء مع الفضلة في النفي ، مثل قوله تعالى " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " (٥) زيدت الباء مع المفعول (أيديكم " ، والفعل (تلقوا " يتعدى بنفسه بدون حرف الجر بدليل قوله تعالى : " وألقينا فيها رواسي " (٦) .

---

(١) سورة المطففين آية ٣٢
(٢) سورة مريم آية ٢٥
(٣) سورة الحج آية ٢٥
(٤) سورة المؤمنون آية ٢٠
(٥) سورة البقرة آية ١٩٥
(٦) سورة الحجر آية ١٩

وقوله تعالى : " ألم يعلم بأن الله يرى " (١) فالمراد : ألم يعلم أن الله يرى ، والدليل على ذلك قوله تعالى : " ويعلمون أن الله هو الحق المبين " (٢) .

وكان زيادتها في أحد جزئي الجملة في الاثبات ، قوله تعالى : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا " (٣) ، وقوله تعالى : " وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا " (٤) فإن الباء قد زيدت في الفاعل ، وهو لفظ الجلالة " رب " وذلك لإفادة تأكيد المعنى المراد في الكلام ، وليست لإفادة شيء من أجزائه الأساسية .

أما زيادتها في النفي في أحد جزئي الجملة في مثل قوله تعالى : " لست عليهم بمصيطر " (٥) وقوله تعالى " وما أنت بمسمع من في القبور " (٦) ، وقوله تعالى " أليس الله بكاف عبده " (٧) .

ففي كل هذه الآيات وردت الباء زائدة بمعنى أنها لو حذفت لا يختل المعنى ولا يفسد ، بدليل قوله تعالى " أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى " (٨) . ثم نجدها أي الباء حذفت في آية الاسراء ٩٩ ، في قوله تعالى : " أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم " فلا نجد فرقا بين الآيتين من حيث أصل المعنى

---

(١) سورة العلق آية ١٤
(٢) سورة النور آية ٢٥ ، انظر شرح المفصل ص ١٣٨ جـ ٨
(٣) سورة الاسراء آية ٦٥
(٤) سورة النساء آية ٤٥
(٥) سورة الغاشية آية ٢٢
(٦) سورة فاطر آية ٢٢
(٧) سورة الزمر آية ٣٦
(٨) سورة الأحقاف آية ٣٣

المراد وجوهره ،ولكن الفرق بينهما انما هو في شيء آخر ، وهو :أن المعنى أكد في سورة الأحقاف لعكمة بزيادة الباء ، وخلت الآية في سورة الاسراء من التوكيد بسبب عدم زيادة الباء لحكمة .

وعلى هذا فلماذا زيدت الباء ولأى معنى جاءت زائدة في كلام الله تعالى المنزه عن النقص والزيادة التي لا فائدة فيها .

فما الفائدة من زيادة الباء ؟ وكيف أفادتها ؟

أما الفائدة من زيادتها فهي التوكيد ، وأما كيف أفادت الباء التوكيد ؟ فاننا لو تدبرنا في معانيها الأصلية التي وضعت لها في أصل اللغة ، فاننا نلمح معنى الالصاق في قوله تعالى : " تنبت بالدهن " اذ أصل الكلام :تنبت الشجرة الدهن . فلما أريد تأكيد ذلك المعنى ، وهو انبات شجرة الزيتون الدهن زيدت الباء بالمفعول بمعنى الصاق الدهن بالشجرة ، وهذا يؤكد انباتها لهذا الدهن أوعلى معنى أن الشجرة ظرف للدهن ، لأن من معاني الباء الظرفية . وفي هذا تأكيد ، وهكذا في بقية الآيات كما في قوله تعالى : ألم يعلم بأن الله يرى لتأكيد معنى التعزيز بالعلم بأن الله يرى ،أى أن هذا التأكيد جاء عن طريق معنى الالصاق ،أى الصاق العلم بأن الله يرى ،وهكذا أيضا زيادتها في خبر ليس ، (ما) لتأكيد النفي كما في قوله تعالى : " لست عليهم بمصيطر " ، وما أنا بطارد المؤمنين " [1] [illegible] معنى الالصاق في الباء الزائدة بالخبر ، ومن ثم يأتي تركيد النفي ، أى بالصاق معنى النفي بخبر ليس ، أو " ما " وهو المراد نفيه ، جاء تركيد النفي .

- وكذلك في الآيات : أليس الله بكاف عبده " ، وقوله تعالى : " أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر" ، وقوله تعالى :" أولم يروا أن الله الذى خلق السموات

(١) سورة الشعراء آية ١١٤

والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى .

فان قيل : ان الاستفهام الانكاري الذي اشتملت عليه هذه الآيات يفيد التقرير أي الاثبات ، لأن الاستفهام الانكاري اذا دخل على النفي كان اثباتا ، لأنه بمثابة النفي ، ونفي النفي اثبات فكيف تكون هذه الباء الزائدة في مثل هذه الآيات المشتملة على الاستفهام الانكاري تفيد تأكيد النفي ؟ والاجابة على ذلك هو أن الباء مرتبطة بأداة النفي قبل دخول الاستفهام عليها ، فهي مؤكدة للنفي ، ثم دخل الاستفهام الانكاري على النفي المؤكد بالباء ، فانقلب تأكيد النفي الى تأكيد الاثبات ، وهذا عن طريق الباء أيضا وهذا أسلوب يفيد التهكم والتأنيب .

وهكذا نجد الباء الزائدة تفيد التوكيد في الاثبات والنفي .

رابعـــا : الـــلام

اللام نوعان : عاملـة ، وغير عاملـة

أما غير العاملة فتأتي لمعان أهم هذه المعاني قد سبق بيانها ، فقـد جاءت مع الفعل المؤكد بالنون جوابا للقسم ، وقد جاءت مؤكدة في خبر " ان " ، وقد دخلت على المبتدأ للتأكيد ، كما في قوله تعالى : " لمسجد أسس على التقـوى "

أما العاملة ، فتأتي لمعان وضعت لها في اللغة ، مثل لا م الملك ، والاستحقاق ، والتبيين ، وغير ذلك ، فهذه المواضع كلها اللام فيها عاملة أم غير عاملة ، وضعت لها اللام في أصل وضعها في اللغة .

وقد ترد اللا م لغير ذلك ، وتكون زائدة وهي اللا م الواقعة بين فعـل ومفعوله ، كما في قوله تعالى : " يريد الله ليبين لكم ويهديكم " [1] وقد اختلف في هذه الآية ، فقيل اللا م زائدة ، وقيل للتعليل والمفعول محذوف .

فاذا قدرنا محذوفا ، فليست اللام زائدة ، وانما جاءت على الأصل ، أي استعملت في أحد معانيها التي وضعت لها في اللغة .

أما ان كان " أن يبين لكم " هو المفعول ، فاللام هنا زائدة لتقوية المعنى [2]

وزيادة اللام مع أن خاصة دون الاسم الصريح ، والدليل على زيادتها قولـه تعالى : " قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا وامرت لأن أكون أول المسلميـن " [3]

وقد تزاد اللام أيضا بين المتضايفين ، لتقوية المعنى ، كما في قوله تعالـى :

---

(١) سورة النساء آية ٢٦
(٢) انظر الاشموني حاشية الصبان جـ٢ ص ٢١٥ ـ ٢١٦
، الكشاف جـ١ ص ٦٣
(٣) سورة الزمر آية ١١ ، ١٢

" ان هذا عدولك ولزوجك " (١) وطريق افادتها تقوية المعنى أننا لمحنا فيها معنى من معانيها الأصلية وهو التبيين .

وكما تأتى اللام لتقوية المعنى تأتى لتقوية العامل الضعيف ، اما لتأخره نحو قوله تعالى : " هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون " (٢) ، وقوله تعالى : " ان كنتم للرؤيا تعبرون " (٣) ، أو لكونه فرعا فى العمل ، فى مثل قوله تعالى : " مصدقا لما معهم " (٤) ، وقوله تعالى " فعال لما يريد " (٥).

وقد اجتمع التأخر والفرعية فى قوله تعالى " وكنا لحكمهم شاهدين " (٦) وأما قوله تعالى : " نذيرا للبشر " فان كان نذيرا بمعنى المنذر فهو مثل قوله تعالى " فعال لما يريد " وان كان بمعنى الانذار ، فاللام مثلها فى " سقيا لزيد " . ولما لم تكن اللام المقوية زائدة محضة نظرا لجهة التقوية تعلقت بالعامل الذى قوته عند الموضح بخلاف الزائدة المحضة فلاتتعلق بشىء (٧) ، وهذه اللام الزائدة مع المعمول فى الواحد تماما كاسبق وساعدا فى نحو : "ردف لكم " (٨)

(١) سورة طه آية ١١٧
(٢) سورة الاعراف آية ١٥٤
(٣) سورة يوسف آية ٤٣
(٤) سورة البقرة آية ٩١
(٥) سورة البروج آية ١٦
(٦) سورة الانبياء آية ٧٨
(٧) انظر الأشمونى حاشية الصبان ج٢ ص ٢١٦
(٨) ابن هاشم ص ١٤٥ ج١

خامساً : التوكيد بزيادة الحرف " ما "

" ما " تأتي اسمية ، وتأتي حرفية ، والحديث هنا بصدد " ما " الحرفية ،

وهي وضعت لمعان أهمها النفي كما في قوله تعالى : " ما هذا بشراً " (١)

وتتصل بالمضارع والماضي وتأتي مصدرية كما في قوله تعالى : " خالدين فيها ما دامت السموات والأرض " (٢)

وإذا كانت كافة عن عمل ، وهي الداخلة على إن كما في قوله تعالى " إنما يخشى الله من عباده العلماء " (٣).

و " ما " هنا زائدة ، إلا أنها ليست للتوكيد ، لأنها جاءت لعمل لفظي وهو كف " إن " عن العمل ، فخصصت لهذا العمل ولم تأت لمعنى (٤) وقد سوغت لدخول إن على الجمل الفعلية ،

أما إذا كانت زائدة (٥) بحيث لو حذفت لا يختل التركيب والمعنى وإنما يخلو الكلام من معنى جاء الحرف " ما " زائداً من أجل ذلك المعنى وهو توكيد معنى مراد ويستفاد من غيرها في الكلام .

ونستطيع أن ندرك هذا في زيادتها مع (إذا الشرطية فنجدها مرة تزاد ، ومرة لا تزاد وهذا كما في سورة الشورى في الآيتين ٣٧ ، ٣٩ " في قوله تعالى : " والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون " (٦)

---

(١) سورة يوسف آية ٣١
(٢) سورة هود آية ١٠٧
(٣) سورة فاطر آية ٢٨
(٤) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ١٣١-١٣٢
(٥) زائدة غير كافة
(٦) سورة الشورى آية ٣٨

"والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون" (١) فنجد ما زيدت في الآية ٣٨ ، لتأكيد أن هذا السلوك كان خلقا قويا يملك صاحبه عند الغضب ، فيغفر ولا يتردد فيه ، لأنه غير التردي والتروي ، وبهذا أفادت زيادة "ما" هنا أن فعل الشرط والجواب وقعا في زمنين متجاورين حتى كأنهما حدثا في زمن واحد .

وهذا كما في زيادة "أن" بعد "لما" التوقيتية ، لأن "لما" ، "اذا" ظرفان ، "ما ، أن" حرفان ، ولذلك تشابها في أداء المعنى المستفاد من زيادتهما بعد لما ، اذا .

أما الآية الثانية (٣٩) من سورة الشورى ، فالأمر فيها مختلف والحال غير الحال ، لأنها خلت من زيادة "ما" بعد "اذا" ، ففي هذا اشارة الى أنها تدعو الى اباء البغي ، ومقاومة البغاة مطلقا ، لا يخصص لها وقت ولا يحدد لها موعد لأنه قد تكون المبادرة خيرا في حال وشرا في حال أخرى ، وانما الأمر كله بيد المجاهدين هم الذين يملكون تدبير الموقف ان كان يحتاج الى عجلة أم ريث

ومن ثم ظهر الفرق بين زيادة "ما" في الكلام وعدم زيادتها ، ولهذا يقول النحاة : انه حرف صلة ، ولا يطلقون عليه "انه حشو" لماله من معنى يخلو الكلام منه اذا ما خلا الكلام من الحرف "ما"

ومن ثم أيضا حشوا أو آخرا ولا تقع ابتداء ، واذا وقعت حشوا ، فلا تقع الا بين شيئين متلازمين ، وهذا مما يؤكد زيادتها لاتصالها بين ما هو كالشيء الواحد وذلك كقوله تعالى : "أينما تكونوا يدرككم الموت" (٢) ، "فأينما تولوا فثم وجه الله" (٣) ، "أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" (٤)

---

(١) سورة الشورى آية ٣٩
(١) سورة النساء آية ٧٨
(٣) سورة البقرة آية ١١٥
(٤) سورة الاسراء آية ١١٠

فتجد " ما " هنا زيدت بين السرط بمسوليه «الشرط والجواب» وهما كالجزء الواحد .

وطريق افادة " ما " الزائدة التوكيد في استعمالها مع الشرط هو أننا نلمح فيها معنى من معانيها الأصلية «فقد استعملت شرطا» وهذا كما في قوله تعالى : " وما تفعلوا من خير يعلمه الله " (١) . فاذا كانت حينئذ وقعت زائدة بعد أداة الشرط ، ولم يكن دورها في الكلام هو معنى الشرط لوجود الشرط قبلها فاستفيد معنى الشرط من غيرها فانه من الممكن أن نلمح معنى الشرط من الحرف " ما " بعد الشرط ، وكأن " ما " تحقق معنى الشرط في أداة الشرط قبلها . وعلى هذا يكون التأكيد بها في معنى التأكيد بالتكرير ، وكأن الشرط في هذه الحال قد ذكر مرتين ، وذلك يفيد تقوية وتأكيدا .

وتزاد " ما " بين الجار والمجرور ، وهما كالجزء الواحد كما في قوله تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم " (٢) ، وقوله تعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم " (٣) وقوله تعالى : " عما قليل " (٤) ، وقوله تعالى : " مما خطيئاتهم " (٥) أو بين الخافض واسما كما في قوله تعالى " أيما الأجلين قضيت " (٦) ، و " ما " هنا في جميع هذه الآيات غير كافة ، حيث انها لم تكف الحرف عن عمل الجر فيما بعدها كما لم تكف من العمل بعد الحرف الجازم (٧)

وأرى أن زيادة " ما " هنا للمعنى الذي سبق أن بينته عند زيادتها بعد

(١) سورة البقرة آية ١٩٧
(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩
(٣) سورة النساء آية ١٥٥
(٤) سورة المؤمنون آية ٤٠
(٥) سورة نوح آية ٢٥
(٦) سورة القصص آية ٢٨
(٧) انظر ... ج٢ ص ٢-٣-٤

" اذا " الا أنها تفيد هنا فى هذه الآيات : عما قليل ، " مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا " التأكيد على قرب الندم لهم فى آية (عما قليل) ، لأن المعنى عما قليل من الزمان ليصبحن نادمين على كفرهم وتكذيبهم وفى آية سورة نوح " مما خطيئاتهم " لتأكيد أن الزمن بين خطيئاتهم والزمان الذى عوقبوا فيه كان قصيرا جدا فعوقبوا بالاغراق ، ولذلك جاء الفاء بعد أغرقوا فى قوله " فأدخلوا نارا " ليتوافق المعنى الدال على سرعة معاقبتهم وأن الزمن كان قصيرا ، أما دلالتها على ذلك بعد النكرة فواضح .

وتزاد " ما " بين النعت ومنعوته ، كما فى قوله تعالى : " ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها " (١)

وقد اختلف العلماء فى هذه الآية فبعضهم قال : ان " ما " هنا ليست زائدة ، بل هى صفة " مثلا " بمعنى " أن يضرب مثلا أى مثل " ولكنى لا أرجح هذا الرأى لسببين :

أولا : سقوطها فى قراءة ابن مسعود ، ثانيا : أنه على اعتبار أنها زائدة يفيد معنى مرادا فى الكلام ومقصودا ، وعلى اعتبار كونها صفة لا تؤدى هذا المعنى المراد .

وذلك : لأن فائدة اعتبار " ما " زائدة فى هذه الآية هو أن " مثلا " نكرة عامة فيها معنى العموم ، (بعوضة) بدل منها ، وزيدت " ما " بينهما ، ليكون المعنى لا أضرب أى مثل من الأمثال الا بالبعوضة ، و " ما " هنا جعلت ضرب المثل للبعوضة فقط ، لتأكيد معنى الخسة ومدى الضعف الذى عليه الكافرون وهذا كما قيل فى قوله تعالى : " قليلا ما يؤمنون " (٢) ان " ما " هنا زائدة ، لتقوية معنى القلة أى : ايمانهم قليل جدا .

(١) سورة البقرة آية ٢٦
(٢) سورة البقرة آية ٨٨

وجعل سيبويه " ما " زائدة في قوله تعالى " ان كل نفس لما عليها حافظ" (١)

ثم قال سيبويه : وقال تعالى : " وإن كل لما جميع " (٢) انما هو لجميع ، " ما " لغو (٣).

وسيبويه يعني بقوله " لغو " أنها صلة .

(١) سورة الطارق آية ٤
(٢) سورة يس آية ٣٢
(٣) الكتاب ج٢ ص ٢٨٣

سادسا : التأكيد بزيادة الحرف "من"

تأتي "من" لمعان كثيرة أهمها : ابتداء الغاية ، والتبعيض ، وبيان الجنس ، وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاث في قوله تعالى : "وينزل من السماء من جبال فيها من برد" (١) فمن الأولى لابتداء الغاية ، والثانية : للتبعيض ـ أي بعض جبال منها ـ والثالثة لبيان الجنس ، لأن الجبال تكون بردا وغير برد . (٢)

وتأتي زائدة ، أي يجوز سقوطها في الكلام ، إلا أن الكلام سيخلو من معنى تزاد "من" لأجله (٣) وهي وإن كانت زائدة تكون المعاني التي وضعت لها في اللغة مقصورة لا على [illegible] الجوهر والأساس فيها وإلا كانت أصلية .

وقد اشترط سيبويه لزيادتها ثلاثة شروط :

الأول : أن تكون في النكرة

الثاني : أن تكون عامة

الثالث : أن تكون في غير الموجب (٤)

وقد اشترط أن يسبقها نفي أو شبهه ، لأن معناها التبعيضية والمراد من زيادتها نفي التبعيض ، فيشملها النفي على معنى التبعيض المستفاد منها .

وهذا كما في قوله تعالى : "وما تسقط من ورقة إلا يعلمها" (٥) فلو سقط "من" يصير الكلام "وما تسقط ورقة إلا يعلمها" فهذا الكلام قد يشك السامع فيه ، فيظن أن الساقط ربما يكون ورقتان فعندئذ تأتي "من" لإزالة هذا

---

(١) سورة النور آية ٤٣
(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ١٣
(٣) كتاب سيبويه جـ٢ ص ٣٠٧
(٤) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ١٢
(٥) سورة الأنعام آية ٥٩

الشك ، وهذا التوهم فتفيد معنى العموم ، أي لا يسقط جنس ورقة ما ، فأفادت " من " هنا استغراق الجميع ، وأيضا فيما اذا دخلت " من " الزائدة على نكرة ، أي فيها معنى العموم ، كما في قوله تعالى : " ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " (١) ، " من " هنا أفادت العموم الذى أفادته النكرة " تفاوت " في الآية .

وطريق افادة " من " التأكيد في هذه ، أي مع النكرة التي أفادت العموم بنفسها هو أن " من " تفيد العموم ، وكذلك النكرة ، فكأن الكلمة كررت مرتين ، لأن معنى العموم كرر مرتين ، مرة عن طريق " من " المفيدة للاستغراق ، والنكرة العامة بعدها " تفاوت " ومن هنا جاء التوكيد .

والفائدة من هذا التوكيد هو اظهار الأدلة الواضحة بالمشاهدة على قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأنه هو وحده الذى خلق السموات والأرض بيده الملك وهو على كل شيء قدير ،

وقد سيقت هذه الآية للكفار الذين كانوا ينكرون وجود اله غير آلهتهم فناسب أن يلقى اليهم التوكيد بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب حتى يجمع التوكيد بالأسلوب مع الدليل الواضح بالمشاهدة على قدرة الله سبحانه وتعالى .

و " من " تفيد هذا العموم بعد النفي ، ولذا لا يرى سيبويه زيادة " من " في الموجب ، لأن استغراق الجنس في الموجب محال ، اذ لا يتصور مجيء جميع الناس ويتصور ذلك في النفي (٢) .

(١) سورة الملك آية ٣

(٢) انظر شرح المفصل جـ٨ ص١٢

وهذا هو الصواب ، بخلاف ما قاله الأخفش من جواز زيادة " من " فـي الموجب ، واحتج بقوله تعالى : " فكلوا مما أمسكن عليكم " [١] ، وقوله تعالـى : " ويكفر عنكم من سيئاتكم " [٢] ، وذلك لأن " من " هنا غير زائدة حيث إنها جاءت لمعنى أصلي وضعت له ، ويختل الكلام بدونها ، فهي للتبعيض في الآيتيـن [٣] وعلى هذا استعملت " من " في معانيها الأصلية استعمالا جوهريا في الكلام ، فهي في هذه الآية كما في الآية : " وينزل من السماء من جبال فيها من برد " كما سبق بيانـه .

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٨
(٢) سورة البقرة آية ٢٧
(٣) انظر شرح المفصل جـ٨ ص ١٢

سابعا : التكرار بزيادة الحرف " لا "

من الحروف المشتركة بين الأسماء والأفعال " لا " فهى تدخل على الأسماء مثل قوله تعالى " لا جدال فى الحج " وتدخل على الأفعال مثل قوله تعالى : " ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم " (١) ، ومعناها النفى سواء كانت عاطفة أم غير عاطفة .

فان جاءت فى جملة وسبقها نفى أو شبهه ثم دخلت على المعطوف على ـ دخل عليه النفى أولا لم تكن زائدة .

وهذا كما فى سورة الفاتحة " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ف " لا " هنا ليست زائدة بالمعنى المفهوم من الزيادة فى القرآن الكريم فالزيادة فى القرآن الكريم معناها انسلاخ الكلمة من معنى أصلى وضعت له فى اللغة وخروجها الى معنى آخر مراد فى الكلام .

فهى هنا مكررة لتقوية المعنى وتأكيده وتحصيصه ، وهو النفى السابق ـ المفهوم من (غير) ، وجاءت " لا " بعده ثانية ومستعملة فى النفى وهو معنى أصلى وضع له الحرف " لا " ، لتقوية معنى النفى السابق وتأكيده ، فهى بمثابة تكرار وليس بزيادة [illegible]

فمفهوم الزيادة فى القرآن الكريم أن تأتى كلمة وقد خرجت من المعنى الأصلى الذى وضعت له لتؤدى معنى جديدا مرادا فى الكلام ، بحيث يصح التركيب والمعنى بدونها ، الا أنه يخلو الكلام من معنى مراد فى الكلام وهو التوكيد .

---

(١) سورة [illegible] آية ١٢

نعم، ان " لا " فى الآية " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " للتأكيد ولكنها لم تخل من معنى أصلى لها ، وأفادت التوكيد عن طريق التكرار لا عن طريق الزيادة .

ومما يؤيد هذا الذى ذهبت اليه ، قول أبى عبيدة : انما دخلت هنا مزيدة لتوهم أن الضالين هم المغضوب عليهم ، والعرب تنعت بالواو ، وتقول : " مررت بالظريف والعاقل " فدخلت لازالة هذا التوهم . اهـ (١) ، وكذلك فى قوله تعالى : " لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد " (٢) فـ " لا " هنا ليست مزيدة اذ كيف نحكم عليها بالزيادة ، وقد أفادت معناها الأصلى ووجودها فى الكلام رفع لبسا فى المعنى ، بدونها يتناول الكلام هذا اللبس ، وهذا لأنها دخلت هنا لنفى احتمال أن يكون المقصود نفى مجيئها جميعا تأكيدا للظاهر من اللفظ ونفيا للاحتمال الآخر ، وهو احتمال أن يكون المعطوف صفة لما قبله ، أى يكون الشهر الحرام نعتا للشعائر ، وعلى هذا فان " لا " هنا تفيد النفى عن كل واحد منها نصا ، ولو لم تأت " لا " لجاز أن يكون المنفى عنها على جهة الاجتماع ، ولكنه خلاف الظاهر وهذا هو ما ذهب اليه الرمانى فى شرح الأصول . (٣).
فقال : اذا قلت : ما جاء نى زيد وعمرو ، احتمل أن تكون انما نفيت أن يكونا اجتمعا فى المجيء ، فهذا الفرق بين المحتنه والصلة ، فالمحتنه تفتقر الى تقدم نفى ، والصلة لا تفتقر الى ذلك ، وهذا كما فى قوله تعالى : " لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم " فلا هنا محتنة ، لأنه تقدمها نفى ، ولم يفهم النفى من غير أداة النفى المتقدمة ، ولذلك " لا " فى قوله تعالى : " ولاتستوى الحسنة ولا السيئة " (٤) زائدة ومؤكدة ، لأن

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة
(٢) سورة المائدة آية ٢
(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص١٣٦
(٤) سورة فصلت آية ٣٤

(استوى) من الأفعال التي لاتكتفي بشخص واحد مثل الفعل (اختصم) الدال على الانتحال الذي يدل على صدور الفعل من اثنين ، ولا يجوز أن يكون من واحد فاذا نفي هذا الفعل ، فان المعنى نفي الاشتراك وبهذا " لا " الثانية لم تأت مكرره للحرف " لا " الأول في قوله " لاتستوى الحسنة ولا السيئة " ، وانما جاءت زائدة مؤكدة للمعنى الذي أفاده الفعل المنفي وهو (استوى) [1] ، وأيضا كانت " لا " في قوله تعالى " ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك " [2] زائدة مؤكدة ، بدليل قوله تعالى في آية أخرى في سورة ص " مامنعك أن تسجد " [3] ، فجاءت تركيد للمعنى الذي تضمنه الفعل (منع) في قوله : " مامنعك " فان قيل : لم زيدت " لا " في آية سورة الأعراف ، ولم تزد في آية سورة ص والقصة واحدة ؟ .

فالجواب : أن هذه القصة سيقت في سورة الأعراف وكان المراد فيها اظهار تكبر ابليس وعصيانه لأمر ربه ولذلك جاء في الآية " مامنعك ألا تسجد اذا أمرتك " ، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " ، فظهر في الآية شيئان ، الأول : عصيان ابليس لأمر ربه فلم يسجد ، والثاني : تكبره على آدم ، فناسب ذلك تأكيد عدم السجود لآدم بـ " لا " الزائدة وتسجيل العصيان لأمر ربه على ابليس.

وما يؤيد هذا ما جاء في كتاب مشكل القرآن لابن قتيبه [4] " وقد تزاد " لا " في الكلام والمعنى طرحها لاباء في الكلام أو جحد ، ومثل بقوله تعالى : " مامنعك ألا تسجد إذا أمرتك " اهـ .

كما جاء في تفسير الطبري [5] : قال بعض نحويي البصرة معنى ذلك : مامنعك أن .

---

(١) انظر شرح المفصل جـ٨ ص١٣٧
(٢) سورة الأعراف آية ١٢
(٣) سورة ص آية ٧٥
(٤) مشكل القرآن لابن قتيبة ص٢٢٤
(٥) تفسير الطبري جـ٨ ص٩٦

تسجد ، ولا ههنا زائدة وقال بعد تحرى الدقة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله ، غير أنه زعم أن العلة فى دخول " لا " فى قوله : " ألا تسجد " أن فى أول الكلام جحدا ، يعنى بذلك قوله تعالى : " لم يكن من الساجدين " فإن العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد كالاستيثاق والتوكيد له " اهـ .

والطبرى بذلك يقصد ما قاله أبوعبيدة فى مجاز القرآن حيث قال : والعرب تضع " لا " فى موضع الايجاب وهى من حروف الزيادة قال : فما ألوم البيض ألا تسخرا اهـ

أما آية سورة ص فقد سيقت لبيان تشريف آدم حيث زاد قوله تعالى بكلمة " بيدى " والمخلوقات جميعها بيده سبحانه وتعالى ، ولكن المولى جل جلاله ذكرها هنا لقصد تشريف آدم وتفضيله على المخلوقات ولم تذكر هذه العبارة " بيدى " بجانب " خلقت " فى القرآن الكريم كله الا فى هذه الآية .

وعلى هذا ، فلا داعى للزيادة هنا فى سورة ص لتأكيد عدم السجود ماذا لم يكن هو المراد فى سرد القصة بهذه السورة (ص)

هذا ، ونرى أن القصة فى القرآن الكريم جاءت مفصلة مرة ومجملة مرة أخرى واظهار الشىء لم يكن مذكورا أولا ضحا فى سردها من قبل ، وذلك ليتوافق هذا مع النفس البشرية التواقة الى التغيير والتنويع.

أما تأويل " المنع " فى الآية الى " ما دعاك " على المجاز والقول بأن " لا " غير زائدة فى الآية وهو ما ذكره الكسائى ". (١)

---

(١) انظر مشكل العلوم ص ١٩٦

فهذا مما لا يجوز الذهاب اليه، أولا : لانه يحتاج الى تأويل بعيد ولم يستعمل فى اللغة الا نادرا ، والزيادة مستعملة كثيرا وثبتت فى اللغة وفى كلام العرب وفى القرآن الكريم . وثانيا : لأن ابليس استكبر ولم يسجد كبرا واستكبارا ، ولم يطع الله فاذا كان لم يطع الله فكيف يطيع غير الله ، لأن دعاك معناها أنه أطاع .

وعلى هذا لم يبق الا أن " لا " جئ بها لتأكيد عدم السجود واستكباره وهو المعنى المراد فى سرد قصة آدم وابليس هنا فى سورة الأعراف .

بقى شئ أود أن أنوه اليه ، وهو الفرق بين " لا " الزائدة فى قوله تعالى : " ولاتستوى الحسنة ولا السيئة "(١) وبين قوله تعالى " مامنعك ألا تسجد اذ أمرتك " (٢)

وهو أن " لا " فى آية فصلت بعد فعل منفى ، " لا " فى آية سورة الأعراف بعد فعل موجب فى المعنى ، حيث لم يتقدم نفى فى اللفظ ، ولا فيهما زائدة مؤكدة للمعنى المفهوم من الفعل قبلها ، وهو النفى ، الا أن النفى فى الآية الأولى لفظى ، وفى الآية الثانية فى سورة الأعراف ، وان كان الفعل موجبا الا أنه موجب فى المعنى اذ معنى المنع النفى .

وقد تأتى " لا " زائدة مؤكدة أيضا ولم يتقدمها فعل منفى فى المعنى ولا فى اللفظ ، وهذا كما فى قوله تعالى : " لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شئ من فضل الله "(٣) فالمعنى : لأن يعلم أهل الكتاب ، أو ليعلم أهل الكتاب ، فلو لم تكن لا زائدة لانعكس المعنى (٤) ، ويدل على هذا قراءة ابن عباس وعاصم والجحدرى :

---

(١) سورة فصلت آية ٣٤
(٢) سورة الأعراف آية ١٢
(٣) سورة الحديد آية ٢٩
(٤) أنظر شرح المفصل جـ٨ ص١٣٦

"ليعلم أهل الكتاب" وقرأ ابن مسعود وابن جبير "لكي يعلم" فهاتان الآيتان تفسير لزيادتها ، وسبب النزول يقول على ذلك ، وهو أن المشركين كانوا يقولون : إن الأنبياء منا ، ومن ذلك كفروا بهم ، فأنزل الله : "لئلا يعلم أهل الكتاب"

هذا وإن كانت "لا" لم يسبقها فعل فيه معنى النفي أولم يسبقها نفي فإن النفي بعدها وهو "العلم" وقع على النفي ، فاعتبر هذا كأنه وقع على العلم ، فزيدت "لا" هنا لتأكيد النفي الموجود فيما وقع عليه العلم ، ويحكم للعلم بحكم النفي ، فيدخل الحرف "لا" على العلم توكيدا لهذا النفي ، والمراد تأكيد نفي ما دخل عليه العلم ، وهو : أن يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله ، خلافا لما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ، فدخلت "لا" لتأكيد نفي أنهم أحباء الله وأنهم أهل رضوانه ، وهي هنا بمثابة تقدم شيء يفيد نفي العلم ، ودخلت "لا" على العلم لتأكيد هذا النفي .

وأما قوله تعالى "لا أقسم بيوم القيامة" [1] فإنها ليست زائدة ، لأن المعنى : لا أقسم بيوم القيامة وعلى وقوع هذه القيامة ، لظهورها ووضوح أدلتها وثبوتها ، ومع ذلك فإني أقسم بها ، فهذا تلويح بالقسم مع العدول عنه ، وهو أوقع في الحس من القسم المباشر ، وهذا الوقع هو المقصود من الآية ، وهو يتم أحسن تمام بهذا الأسلوب الظاهر الذي يتكرر في مواضع مختلفة من القرآن الكريم ثم يكون من ورائه حقيقة القيامة ، وحقيقة النفس اللوامة [2] . لأن المقام مقام تكذيب وإنكار ليوم القيامة ويوم البعث ، فناسب هذا الأسلوب ، وهو إرادة القسم مع العدول عنه ، ليكون له الوقع المؤثر في المنكرين المكذبين ليوم القيامة ، وهذا يناسب القول بأن "لا" رد على كلام

---

(١) سورة القيامة آية ١

(٢) انظر : ... القرآن جـ٢ ص٢٠٥

سابق من المكذبين . (١)

فاعتبار عنا نافية على الأصل أوقع في الحس من اعتبارها زائدة ، لأن المعنى واحد في كلتا الحالتين وهذا القسم بيوم القيامة الا أن اعتبار لا نافيـــة على الأصل أى عدول عن القسم ثم ارادته له من الأثر والوقع فى الحس مالا يكـــون اذا اعتبرت " لا " زائدة .

وهذا يظهر فى آية سورة الواقعة (٢) " فلا أقسم بمواقع النجوم " فالعرب تعرف مواقع النجوم ، والنجوم لها منفعة جليلة فى حياتهم ، لأنهم كانوا يعرفـــون بها الشرق والغرب ليلا وهم يسيرون فى الصحراء ، فجاء القرآن الكريم يقسم بشـــئ له أهميته فى حياتهم ، فقال " لا أقسم بمواقع النجوم " لأنه أمر معروف لديكـــم وله من المنافع العظيمة التى بها تسترشدون وأنتم فى جوف الصحراء الشاسعة ، فالقسم بها لايزيدها تعظيما ، لأنها عظيمة حقا وأنتم تعرفون ذلك ، ولكنى أقســم بها وانه لقسم لو تعلمون عظيم ، أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القســم فعدل عن القســم أولا ثم أتى بـــه .

وهذا الأسلوب له وقعة وأثـره فى النفس .

وقوله تعالى : " فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهـــــم (٣) " .

فالزمخشرى جعل " لا " الأولى مزيدة لتأكيد معنى القسم ، كما زيـــدت فى " لئلا يعلم أهل الكتاب " لتأكيد وجوب العلم ، " لايؤمنون " جواب القســم ، ثم قال : فان قلت : هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا فى " لايؤمنون " ؟ ، وأجــاب :

---

(١) انظر مشكل القرآن ص ١٤٢
(٢) سورة الواقعة آية ٧٥
(٣) سورة النساء آية ٦٥

بأنه يمنع من ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله تعالى : " فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم (١).

وأرى - والله أعلم - أن " لا " في الموضعين ليست زائدة ، أما " لا " الأولى ، فانها لنفي الكلام السابق وهو : ما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما " (٢) ، فلا وربك لا يؤمنون أن لا يجيئونك مستغفرين مؤمنين ، فـ " لا " جاءت للنفي على الأصل ، وأما " لا " الثانية فهي لتأكيد هذا النفي ، والتأكيد هنا بطريق التكرار لا بالزيادة وكأن الجملتين كررتا أي فلا يستغفرون والله لا يؤمنون فالتكرار هنا بمثابة تكرار الجملة ، جملة " لا " الأولى التي نفت ما جاء قبلها ، وجملة "لا " الثانية " لا يؤمنون " ، فكلتا الجملتين لتأكيد معنى أنهم لا يؤمنون .

وأما قوله تعالى : " وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون فيريد : وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون ، فزاد " لا " ، لأنهم لا يؤمنون اذا جاءت .

وجاء في تفسير الطبري : وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به ، ففتحوا الهمزة من " أن " ومن قرأ بذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة وقالوا : أدخلت " لا " في قوله تعالى " لا يؤمنون " صلة ، كما أدخلت في قوله : ما منعك ألا تسجد ، وفي قوله تعالى " وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون " ، وانما المعنى : وحرام عليهم أن يرجعوا ، وما منعك أن تسجد " وقد تأول قوم قرءوا ذلك بفتح الألف من أنها بمعنى لعلها ، وذكروا أن -

(١) سورة الحاقة آية ٣٨ ، انظر الكشاف جـ ١ ص ٤٠١
(٢) سورة النساء آية ٦٤
(٣) سورة الأنعام آية ١٠٩
(٤) تفسير الطبري جـ ٧ ص ٣١٢

ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب " ا هـ

أما من قرأها بكسر ان فانه يجس الكلام تاما عنده قول : " وما يشعركم " ثم يبتدئ ، فيقول : انها اذا جاءت لا يؤمنون .

وأما قوله تعالى : وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون فقد اختلف العلماء فيها .

وأرى — والله أعلم — ان جعلنا " حرام " بمعنى وجب ، فهي غير زائدة أما ان جعلناها بمعنى " منع " فهي زائدة .

وجاء في تفسير الطبري عن مجاهد : " وما يشعركم وما يدريكم أنكم تؤمنون اذا جاءت ثم استقبل بخبرهم عنهم ، فقال : اذا جاءت لا يؤمنون وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر الشأنها على أن قوله : انها اذا جاءت لا يؤمنون " خبر مبتدأ منقطع عن الاول ، وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين . ا هـ

والصحيح أنها غير زائدة ، لأننا لو جعلناها زائدة ، فالمعنى يكون بعيداً لأنه ان اراد : وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا الى الدنيا ، فهذا مالا فائدة فيه ، وان أراد التوبة ، فالتوبة لا تحرم ، ولهذا قيل : في الكلام اضمار أي : وحرام على قرية حكمنا باستئصالها أو بالختم على قلوبهم أن يتقبل منهم عمل ، لأنهم لا يرجعون أي : لا يتوبون [illegible] هو ما يوافق تفسير حرام بوجب . (٣)

---

(١) سورة الانبياء الآية ٩٥
(٢) تفسير الطبري جـ٧ ص ٣١١
(٣) انظر الذهري جـ١ ص ٢٤٠

ثامنا : التوكيد بزيادة " الواو "

الواو حرف من الحروف التي تكون عاملة وغير عاملة ، فالعاملة مثل واو القسم .
أما غير العاملة ، فتأتي لمعان أهمها العطف وهو أصل استعمالها في
اللغة ، وقد تكون للاستئناف والقطع وهي التي تكون بعدها جملة غير متعلقة بما
قبلها في المعنى ولا مشاركة لها في الاعراب ، كقوله تعالى : " ثم قضى أجلا
وأجل مسمى عنده (١) وكما في قوله تعالى : " لنبين لكم ونقر في الأرحام " (٢) وقد
تدخل على الحال وتسمى واو الحال ، وغير ذلك من المعاني التي استعملت فيها
على الأصل ويتم التركيب بها ، وتأتي في غير معانيها الأصلية التي وضعت لها ، وتكون
زائدة للتأكيد ، كما في قوله تعالى " وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (٣)
بدليل سقوطها في آية سورة الشعراء " وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون " (٤) .
قال الزمخشري : دخلت الواو هنا لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف الدالة على
أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر (٥)

ومنها هذه الواو أن تدخل على جملة صفة لنكرة ومنه قوله تعالى : " ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء
ظاهرا ، ولا تستفت فيهم منهم أحدا " (٦) .

وقوله تعالى : " أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها " (٧) ، فالواو
هنا لتأكيد لصوق الصفة ، وهو الخراب الذي لحق بالقرية بالموصوف .

---

(١) سورة الأنعام آية ٢
(٢) سورة الحج آية ٥
(٣) سورة الحجر آية ٤
(٤) سورة الشعراء آية ٢٠٨
(٥) انظر الكشاف ج٣ ص ٤٤٤
(٦) سورة الكهف آية ٢٢
(٧) سورة البقرة آية ٢٥٩

تاسعا : حـــرف الجـــر " في "

جاء في الأشموني (١) " تأتي في للتوكيد وهي الزائدة لغير تعويض ، ــ أجاز ذلك الفارسي في ضرورة كقوله :

أنا أبو سعد اذا الليل دجا

يخال في سواده يرندجا

وأجاز بعضهم في قوله تعالى :" وقال اركبوا فيها " اهـ .

وأرى ــ والله أعلم ــ أن سبب مجيئها زائدة للتأكيد ، مع أنه يجـــوز الاستغناء عنها ، فيتعدى الفعل الى مجرورها تعدية مباشرة، وانما جيء بهـــا لتوكيد معنى في الآية وهو : أنه يجب الطاعة وعدم العصيان للأمـر " اركبـــوا " وأن الحياة والرحمة والنجاة ستكون في ركوب هذه السفينة ، اذ أن النجاة من الغرق والرحمة من العذاب لم يتحققا الا بعد أن دخل المؤمنون في داخل السفينـــــة امتثالا لأمـر الآمـر ، وليعلم ولد نوح الذي قال : سآوي الى جبل يعصمـــني من الماء قال :لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحـم ، فكانت الرحمة والنجاة لمـــن دخل في السفينة لا في مكان آخر غير داخل السفينة ،فلهذا الغرض جاءت زيادة " فـي " في الآيـة ، واللـــه أعلـــم .

---

(١) الأشموني جـ٢ ص٢١١

عاشـــرا : الـــكاف

الأصل في الكاف أن تكون للتشبيه ، وقال بعض العلماء : انها تأتي لإرادة التوكيد كما في قوله تعالى " ليس كمثله شيء " (١) أي ليس شيء مثله فزيـــدت الكاف هنا لتوكيد نفي المثل ، لأن زيادة الحرف بمثابة اعادة الجملة ثانيا ، ولأن نفي مثل المثل يستلزم منه نفي المثل ، فجاء تأكيد نفي التشبيه بالله سبحانه وتعالـــى قال التفتازاني في حاشية العضد ، لأن النفي يعود الى الحكم لا الى المتعلقـــات فقولنا : ليس كابن زيد أحد ، يدل ظاهرا على أن لزيد ابنا ، وان كان يحتمـــل أن يكون نفي المثل له بناء على عدمـــه ، وقد يجاب بمنع اثبات مثله تعالـى كيـف وهو من قبيل الظاهر ، ونقيضه وهو نفي مثله قطعي اهـ (٢)

وقد اختلف العلماء في هذا فمنهم من قال : انها من باب الكناية للمبالغة والتنزيه فهي باقيـة على حقيقتها من نفي مثل مثله ، لكن المراد لازم ذلك وهـــو نفي مثله ، وانما كان لازما لأنه لو كان لـه مثل لكان هو مثلا ، فلا يصح نفي مثلـــه ولأن مثل الشيء من يكون على أوصافه ، فاذا نفوه عن يماثله فقد نفوه عنـه ونظيـره : مثلك لا يبخـل فانهم نفوا البخل عن مثلـه ، والمراد نفيه عنه ، فليـس المراد بالذات من الآية حقيقتها من نفي مثل المثل حتى يلزم وجود المثـل وقد صرحـوا بأنـــه لا يضر استحالة المعنى الحقيقي للكناية ، فضلا عن استحالة لازمها لأن المعنى الحقيقي لها غيـر مقصـود منها بالذات (٣)
وهذا هو ما أرجحه ، لأن الكاف استعملت على أصلها وهو التشبيه (٤)

---

(١) سورة الشورى آية ١١
(٢) الأشموني حاشية الصبان جـ٢ ص ٢٢٥
(٣) انظر التهذيب جـ٤ ص١٤٠ ، سر الصناعة جـ١ ص ٢٩١ ، البحر المحيط جـ٧ ص١٥
(٤) انظر الأشموني حاشية الصبان جـ٢ ص٢٢٢

حادي عشر : الفعل " كان "

الأصل في " كان الفعل الماضي الدال على المضي والانقطاع ، ولكنه يأتي في القرآن الكريم لغير هذا المعنى من الدلالة على المضي ، فانه يجيء ويدل على الأزمنة الثلاثة ، بأن يكون بمعنى الأزل والأبد وحينئذ فالفعل "كان" جاء لتوكيد معنى مراد في الآية لأنه جاوز استعماله الذي وضع له في اللغة الى ما هو أوسع وهذا كما في قوله تعالى : " وكان الله عليما حكيما " وهكذا في كل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى .

وتعد " كان " هنا بمثابة " ان " المؤكدة ، كما لو قيل : ان الله عليم حكيم ، فهذا تأكيد .

وفي " كان " تأكيد أيضا ، لأنها تدل حينئذ على الدوام والثبوت في الأزل والأبد .

ولا نقول عنها انها زائدة ـ من زاوية أنه يمكن الاستغناء عنها في الكلام لأن لها عملا لفظيا في الجملة الداخلة عليها ، وانما يمكن أن نقول عنها انها زائدة من زاوية أنها خرجت من استعمالها على الأصل ، وهو دلالتها على المضي المنقطع الى معنى الأزل والأبد .

ولذا قال الزمخشري [1] وتدل كان على وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على سابق ، ولا على انقطاع طارئ قال الزمخشري

---

(١) الكشاف جـ١ ص٣٠٧

. هذا فى قوله تعالى : " وكان الله غفورا رحيما .. [١] وفى قوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس " [٢] .

وتأتى " كان فى القرآن على الأصل فى الدلالة على معنى المضى المنقطع مثل قوله تعالى : " وكان فى المدينة تسعة رهط " [٣]

أما قوله تعالى : " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " ، فانها تدل على الأزمنة الثلاثة ، فهى مؤكدة للمعنى المراد ، وكأن (كان) " ان " فى الآية كما كأن " ان " كررت مرتين او " كانت " بمثابة اللام المؤكدة التى تدخل على خبر " ان " .

فهذه الآية " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " فيها ثلاثة توكيدات ، الأول " ان " ، والثانى " كانت " التى هى بمنزلة اللام الداخلة على خبران ، الثالث التقديم ، تقديم معمول الخبر المفيد للاختصاص .

وقوله تعالى : " ويخافون يوما كان شره مستطيرا " [٥] ، فاليوم فى الآية هو يوم القيامة ويوم الحشر ، وهو فى المستقبل ، فجئ بـ " كان " هنا للدلالة على الاستقبال ، وفائدتها توكيد مجئ هذا اليوم لامحالة .

فهذه المواضع أتت فيها " كان " للتأكيد وحكم بزيادتها للتأكيد من زاوية أنها تخلفت المعنى الذى وضعت له فى أصل اللغة الى الدوام والاستقبال والأزل .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٥٠

(٢) سورة آل عمران ١١٠ اهـ

(٣) سورة النمل آية ٤٨

(٤) سورة النساء آية ١٠٣

(٥) سورة الدهر آية ١٧

ولكنها ليست زائدة زيادة محضة ، لأن لها عملا لفظيا في الجملة الداخلة عليها ، وذلك لأنها مازالت تدل على الحدث وهو الفعل الذى هو أصلها ، وانما تجاوزت هذا وتوسعت في دلالتها على الأزمنة لأجل افادة توكيد معنى مراد في الكلام .

أما زيادتها من جهة أنه لاعمل لها فقد تأتى زائدة ولاتفيد توكيدا وانما تفيد فقط الاشارة الى الزمن الماضى الذى هو أصل معناها ، وهذا كما في قول الشاعر : في لجة غمرت أباك بحورها

في الجاهلية كان والاسلام

وقوله تعالى : " وماعلمى بما كانوا يعملون " (١) والتقدير : بما يعملون

---

(١) الشعراء آية ١١٢

ثاني عشر : الجملة الاعتراضية

سبق أن بينت في هذا الباب " باب الزيادة " الحروف الزائدة التي تزاد في الكلام لإرادة معنى التوكيد ، وكذلك الفعل " كان " يأتي لإرادة التوكيد ، وقد تزاد جملة كاملة في الكلام حشوا أو بين كلامين متصلين معنى كمعترض بين الفعل والفاعل أو بين المبتدأ وخبره ، لإرادة معنى من المعاني ، وهي جملة لا محل لها من الإعراب .

وقد جاءت في القرآن الكريم جمل معترضة كثيرا ، وهي تشير إلى معنى من المعاني مثل قوله تعالى " ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون " (١).

فالجملة المعترضة في الآية " سبحانه " وهي لا محل لها من الإعراب اعترضت بين كلامين متصلين ، وهما " ويجعلون لله البنات " " ولهم ما يشتهون " فالجملتان متصلتان معنى ، وجاءت الجملة " سبحانه " لنكتة وهي تنزيه المولى عما نسبوه إليه وهو أن يكون له بنات .

والفرق بين زيادة حرف في الكلام وبين الجملة المعترضة ، هو أن الجملة تفيد معنى مستقلا بنفسها ، ويراد بها إفادة الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا (٢)

أما الحرف الزائد ، فلا يدل على معنى مستقلا بنفسه ، وإنما هو في الكلام كالجزء من الكلمة التي يزاد فيها .

---

(١) سورة النحل آية ٥٧

(٢) انظر المغني جـ٢ ص ٤٩

ولهذا فان الجملة المعترضة نوع من أنواع الاطناب يقال له : التكميل ، يؤتى به في الكلام لافادة معنى زائد على الكلام يتم الغرض الأصلي بدونه ، ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام للتقوية والتأكيد ، بخلاف الحرف فانه ليس باطناب ، وانما زيد لتوكيد معنى في الكلام فقط بدون زيادة معنى في الكلام ، ويخلو الكلام من التوكيد اذا ما خلا من هذا الحرف.

أما الجملة المعترضة فتارة تكون مؤكدة وتارة تكون مشددة ، لأنها اما ألا تدل على معنى زائد على ما دل عليه الكلام بل دلت عليه فقط فهي مؤكدة ، واما أن تدل عليه وعلى معنى زائد فهي مشددة ، أى مقوية للتأكيد .

وتتميز الجملة المعترضة عن الحالية بكونها طلبية كقوله تعالى " فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا . (١)

فقوله تعالى : " ومن يغفر الذنوب الا الله " معترض بين " فاستغفروا لذنوبهم " ولم يصروا على ما فعلوا "

---

(١) سورة آل عمران ١٣٥

الحاجة الى الجملة المعترضة :

سبق أن بينت أن الجملة خاضعة لمقتضى الظروف التى تقال فيها ، فتخلو من التوكيد اذا كان المقام مقام تصديق ، وتؤكد اذا كان المقام مقام تردد أو انكار.

ومن ثم تأتى الحاجة الى الجملة المعترضة ، لأن المقام يحتاج الى تقرير أو تنبيه أو يحتاج الى الاشارة الى المعنى بقصد الكلام تقوية المعنى المراد والحث عليه.

وبهذا فان الجملة المعترضة تأتى فى الكلام لأسباب اقتضاها الحال.
مثال ذلك : قوله تعالى : " تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الأرض " (١).
فقوله تعالى : " لقد علمتم " اعتراض بين القسم والمقسم عليه " ماجئنا لنفسد فى الأرض " فالمقام مقام تعجب من التهمة التى وجهت اليهم ، وأريد اثبات البراءة ، ونفى المجيء للسرقة ، فجيء بالجملة المعترضة " لقد علمتم " لاقامة الحجة على أنهم غير سارقين ، وما جاءوا ليسرقوا ، والحجة هى أن الذين يوجهون التهمة يعلمون أنهم ما جاءوا ليسرقوا ، فكيف يسرقون ، وكيف توجه اليهم مثل هذه التهمة ، فالكلام فيه تأكيد على أنهم ما جاءوا للسرقة ، وذلك بالقسم ، وزيد معنى التأكيد بالجملة المعترضة ، وهى " لقد علمتم " أى : أنتم أنفسكم تعلمون أننا ما جئنا للسرقة ، فالمراد بالجملة المعترضة هنا تقرير اثبات البراءة من تهمة السرقة .

ونجد فى قوله تعالى : " قالت : ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية " (٢)

---

(١) سورة يوسف آية ٧٣
(٢) سورة النمل آية ٣٤

فالجملة " وكذلك يفعلون " معترضة بين كلام بلقيس ، بين " ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وبين قولها " وانى مرسلة اليهم بهدية " فالكلام من أوله أكد به " ان " ، ولكن لما أرادت بلقيس تقرير هذا الكلام المؤكد بان ، قالت : " وكذلك يفعلون " لتقرير وتأكيد هذا المعنى المؤكد بان ،وهذا لأن الآية السابقة لهذه الآيه وهى " قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد ، والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين " فالمقام فى هذه الحال مقام من يرغب فى الحرب فى القتال ، فأكدت بلقيس رغبتها فى عدم الحرب والقتال ، بالتأكيد على أن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ولا شك.

وكذا فى قوله تعالى :" وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون " (١).

فقال : " وأتوا به متشابها " لتأكيد المعنى السابق ،وهو: كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل :أى التشابه فى الشكل واللون والاختلاف فى الطعم ، أى أن المثل يضرب بما يكون معروفا فى الدنيا لدى الانسان ولكن الاختلاف فى أشياء أخرى ، فناسب هذا التأكيد بالجملة المعترضة ،لأن المقام مقام سؤال:

وقال الزمخشرى : فان قلت : كيف موقع قوله " وأتوا به متشابها " من نظم الكلام ؟ قلت :هو كقولك : فلان أحسن بفلان ،ونعم مافعل ، ورأى من الرأى كذا وكان صوابا " ومنه قوله تعالى : " وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون" وما أشبه ذلك من الجمل

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥

التي شاع في الكلام معترضة للتنوير " اهـ (١) .

وكذا أيضا في قوله تعالى : " فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم " . (٢)

في هذه الآية اعتراضان : الأول " وإنه لقسم " بين القسم وجوابه ، والثاني " لو تعلمون " بين الصفة والموصوف فالمراد من الاعتراض تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم ، وتأكيد اجلاله في النفوس .

وقوله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن " (٣) ، هذه الآية جاءت بعد الاخبار بأن الكافرين لهم نارا أحاط بهم سرادقها ، فناسب بعد ذلك أن يأتي الوعد للمؤمنين ، ولهذا أكده بان في قوله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات " فالمؤمنون لهم جنات عدن ، وأكد هذا المعنى بالجملة الاعتراضية " انا لانضيع أجر من أحسن عملا " للتأكيد على أنهم لامحالة لهم جنات عدن ، لأننا لانضيع أجر من أحسن عملا .

فلاشك في أن لهم جنات عدن ، ولهذا ، اعراب " انا لانضيع أجر من أحسن عملا " خبرا لان لايؤدي هذا المعنى المؤكد ، لأنه لكلام أكد أولا بان ثم باسم الاشارة والمسند ، ثم التأكيد بالجملة المعترضة ، وهذا لايكون مع اعراب " انا لانضيع أجر من أحسن عملا " خبرا لان .

وقوله تعالى : " وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر " (٤)

---

(١) الكشاف جـ١ ، ٢٦١ـ٢٦٢

(٢) سورة الواقعة آية ٧٥ـ٧٦

(٣) سورة الكهف آية ٣٠ـ٣١

(٤) سورة النحل آية ١٠١

فقوله تعالى " والله أعلم بما ينزل " اعتراض بين الكلامين وذلك لأن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : " إنما أنت مفتر" فاعترض بقوله " والله أعلم بما ينزل " اجابة وتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ينسخ آية مكان آية وهو يعلمها وينزل غيرها لمصلحة العباد ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب ولكنهم لا يعلمون ، ولذلك كان ختام الآية : بل " أكثرهم لا يعلمون .

وقد يكون الكلام يحتاج الاشارة الى شيء يقتضيه المقام ، وهذا في قوله تعالى : " ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (١) فقوله " سبحانه " اعتراض بين الجملتين باقتضاء المقام . لأن المشركين جعلوا الملائكة بنات الله وهو منزه عن الولد ، وكانوا يكرهون البنات أما ما يشتهونه وهو البنون جعلوه لأنفسهم فالمقام مقام تنزيه الله عما زعموه ، ولهذا جيء بالجملة الاعتراضية .

وتأتي الجملة الاعتراضية لقصد التبرك مثل قوله تعالى : " لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين " لتقدم المشيئة قبل الانتهاء من الكلام لقصد التبرك .

وتأتي أيضا للترغيب ، كما في قوله تعالى : " فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم " (٢) فقوله تعالى : " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين : اعتراض وقع بين قوله تعالى : " فأتوهن " وبين " نساؤكم حرث لكم " وهما متصلان معنى ، والجملة الثانية بيان للأولى فكأنه سبحانه وتعالى قال : فأتوهن من حيث يحصل منه الحرث ، فأتى في هذا بالجملة المعترضة للترغيب في هذا ، وللتأكيد على أن الغرض الأصلي في الاتيان هو طلب النسل لا اقتضاء الشهوة ، فلا تأتوهن الا من حيث يأتي النسل .

---

(١) سورة النحل آية ٥٧

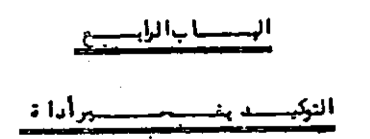
(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢_٢٢٣

وهذا كما في قوله تعالى : ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك ‌. (١) فاعترض بين قوله "ووصينا" وبين الموصى به " أن اشكر لي ولوالديك " وفائدة الجملة المعترضة هنا اذكار الولد بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفصاله ، وفي هذا حث وترغيب وزيادة تأكيد على بر الوالدين ، ولهذا قرن شكره بشكر الوالدين .

وعلى السعدي ، وجه حسن الاعتراض حسن الافادة مع أن مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الافادة ، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها . (٢)

---

(١) سورة لقمان آية ١٤ .
(٢) الايضاح للقزويني ص٢١٧



الباب الرابع

التوكيد بغير أداة

التوكيد بغير أداة

في الأبواب الثلاثة السابقة عرضت لكل توكيد كان بتكرار أو بما يقوم مقام التكرار ، وهو التوكيد بالأداة .

ثم عرضت للأدوات التي تختص بالأسماء ، والأدوات التي تختص بالأفعال ، فالأدوات المشتركة بين الأسماء والأفعال ، ثم عرضت للتوكيد بالحروف الزائدة .

أما هنا في هذا الباب ، فالتوكيد فيه لا يكون من جراء أداة أو تكراره وإنما هو توكيد جاء من نظم الكلام بطريق خاص ، ونظم خاص أفاد توكيدا للسامع أو القارئ .

وأهم هذه الطرق في نظم الكلام هي :-

أولا :التوكيد بالقسم

الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه ، لازالة الشك عند المخاطب عن اخباره عن المقسم عليه،ويحسن القسم في مقام الانكار ، وجاء القسم في القرآن الكريم لكمال الحجة وتأكيدها ،وذلك لأن كل حكم وخبر يحتاج الى أحد اثنين ،ـ اما الشهادة واما القسم ،فذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم لكمال الحجة بالأدلة القاطعة الشاهدة على قدرته ووحدانيته ،بالقسم ،حتى لا يبقى حجة للجاحدين الكافرين في يوم القيامة.

وهو أسلوب مكون من جملتين ،الأولى : جملة القسم ،والثانية جوابه وامتزجت الجملتان حتى أصبحتا كالجملة الواحدة مثل الجملة المكونة من مبتدأ وخبر فجملة القسم بمثابة المبتدأ ، وجملة الجواب بمثابة الخبر ،ولذلك فان جملة القسم وحدها لاتفيد ، وانما تفيد اذا انضم اليها جملة الجواب.

ودورها في الكلام اشعار المخاطب بأن جملة ستأتي بعدها في الكلام كما يشعر بذلك المبتدأ ،وأنها ستحقق ،ولهذا فهي أي جملة القسم تفيد تأكيد جملة جواب القسم ،وهذا التأكيد جاء من سياق الجملة الأولى ، وهي جملة القسم وليس لها أي دور مباشر آخر كأن يكون لها أثر لفظي مثل : "ان" الداخلة على الجملة الاسمية أوتفيد توكيدا بالوضع اللغوي مثل لام الابتداء ،فانها أي :لام ـ الابتداء تفيد توكيدا حيث أنها وضعت في اللغة لاجل هذا كما وضعت ان ،ولكن جملة القسم لم توضع الا أنها تفيد قسما على تحقق شيء نفيا أو اثباتا ، والجملتان جملة القسم، وجملة الجواب خبريتان ،الا أن جملة القسم لاتصير جملة مستقلة مفيدة بذاتها ،لأنها ليست هي المقصودة ، وانما المقصود في الكلام هو جملة المقسم عليه ،ولم يؤت بجملة القسم الا لافادة تأكيد وتحقق المقسم عليه ،وبهذا تكون الجملتان

بمنزلة الجملة الواحدة ، وهذا كجملتى الشرط والجزاء .

ولما أشارت جملة القسم الى تحقق وتأكيد جملة الجواب احتاجت جملة المقسم عليه الى مؤكد مثل اللام فى الفعل المضارع ، واللام وقد فى الماضى كما سبق بيانه ، وأن فى الجملة الاسمية ليناسب هذا معنى التأكيد والتحقق الذى أشارت اليه جملة القسم .

جملـــة القســـم :

جملة القسم هى جملة خبرية ، ولما جاءت توكيدا للخبر (المقسم عليه) سميت قسما ، وإن كان فيها اخبار .

ولذلك قالوا ان قوله تعالى : " والله يشهد ان المنافقين لكاذبون " (١) قسما وإن كان فيه اخبار الا أنه لما جاء توكيدا للخبر (المقسم عليه) سمى قسما .
ولما كانت الأفعال التى بجملة القسم لاتتعدى بنفسها جاءوا بحرف الجر وهو الباء ، لايصال معنى الحلف الى المحلوف به (المقسم به) ، هذا اذا كانت جملة القسم جملة فعلية ، أما اذا كانت جملة أسمية ، فالجملة مكونة من مبتدأ وخبر ، ولهذا دخلت عليها لام الابتداء ، مثل قوله تعالى : " لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون " (٢) ، الا أن الخبر محذوف لطول الكلام .

المقســـم بـــه :

المقسم به فى جملة القسم هو كل اسم من أسماء الله وصفاته ، ونحو ذلك مما يعظم ، وقد يقسم بأشياء من صنع الله للدلالة على عظمة الخالق ، وهذا كما فى

(١) المنافقون آية ١
(٢) الحجر آية ٧٢

قوله تعالى : " والعصر ان الانسان لفى خسر ، والسماء ذات الحبك والعاديات ضبحا "

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع وهى : فورب السماء والأرض انه لحق " (١) قل اى وربى انه لحق " (٢) " قل بلى وربى لتبعثن " (٣) ، فوربك لنحشرنهم " (٤) ، فوربك لنسألنهم أجمعين " (٥) ، فلا وربك لا يؤمنون " (٦) ، فلا أقسم برب المشارق والمغارب " (٧) ، والباقى كله أقسم بمخلوقاته ، كقوله " والتين والزيتون " ، فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم " (٨) ، فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس " (٩) .

وقد يحذف المقسم به ، كقوله تعالى : " قالوا نشهد انك لرسول الله " (١٠) أى : نحلف انك لرسول الله ، لأن الشهادة بمعنى اليمين ، بدليل قوله تعالى : " أيمانهم جنة " (١١) ، وأما قوله " فالحق والحق أقول " (١٢) فالأول قسم بمنزلة (والحق) وجوابه " لأملأن " ، وقوله " والحق أقول " (١٣) جملة اعتراضية أريد بها توكيد القسم ، وقوله تعالى : " والسماء ذات البروج "

---

(١) سورة الذاريات آية ٢٣
(٢) سورة يونس آية ٥٣
(٣) سورة التغابن آية ٧
(٤) سورة مريم آية [illegible]
(٥) سورة المعارج آية [illegible]
(٦) سورة مريم آية ٦٨
(٧) سورة المعارج آية ٤٠
(٨) سورة الواقعة آية ٧٥
(٩) سورة التكوير آية ١٥-١٦
(١٠) سورة المنافقون آية ١
(١١) سورة المنافقون آية ٢
(١٢) سورة ص آية ٨٤
(١٣) سورة ص آية ٨٤

جوابه " قتل أصحاب الأخدود حذفت اللام وقد تخفيفا .

جملة المقسم عليه :

جملة المقسم عليه هي الجملة المؤكدة ، فإن كانت فعلا وقع القسم عليه ، وإن كانت اسمية مؤكدة بإن ، فالذي يقع عليه القسم في المعنى الجزء مثل قوله تعالى : " والعصر إن الانسان لفي خسر " فالقسم وقع على الخبر (في خسر) فهو يؤكد الخسران دون الانسان ، وقد يحذف في الجواب " جملة المقسم عليه " ويبقى القسم للعلم به كقوله تعالى : ص ـ والقرآن ذي الذكر " على أحد الأقوال أن الجواب حذف لطول الكلام وتقديره لأعذبنهم على كفرهم " .

أداة القسم :

ان جملة القسم تتكون إما من فعل والمقسم به وحرف يوصل معنى الحلف الى المقسم به ، وإما من جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر ، ولطول الكلام يحذف الخبر في جملة القسم ، كما يجوز أن تحذف الجملة كلها ، لدلالة الكلام ، كما في قوله تعالى : " ولتعلمن نبأه بعد حين " ولتدخلن المسجد الحرام " ، لأقطعن أيديكم [١] ، وهذا تخفيفا لكثرة الكلام في أسلوب القسم .

وبالنسبة للجملة الفعلية في جملة القسم يحذف الفعل أيضا تخفيفا واجتزاء بدلالة حرف الجر عليه ، فيقولون بالله لأفعلن ، وأكثر الأقسام المحذوفة الفعل لاتكون الا بالواو ، فاذا ذكرت الباء أتى بالفعل ، كقوله تعالى : وأقسموا بالله جهد أيمانهم [٢] ، وقوله تعالى : " يحلفون بالله [٣]

(١) سورة الشعراء آية ٤٩ (٢) سورة النمل آية ٣٨
(٣) سورة التوبة آية ٦٢

ولاتجىء الباء والفعل محذوف ، وعليه حمل بعضهم قوله تعالى : " يابنى لاتشرك بالله " (١) وقال : الباء باء القسم وليست متعلقة بـ (تشرك) وكأنه يقول : يابنى لاتشرك ثم ابتدأ فقال بالله لاتشرك ، وحذف لاتشرك لدلالة الكلام عليه .

وأدوات القسم خمسة أحرف وهى : الباء والواو والتاء واللام ومن فأما الباء فهى أصل هذه الحروف ، لأنها حرف اضافة ومعناها الالصاق فأضافت معنى القسم الى المقسم عليه وألصقته ، كما تدخل الباء فى الفعل (مررت) الى (زيد) فى قولك مررت بزيد . ولهذا فهى أصل حروف القسم (٢) وغيرها من الحروف المذكورة محمول عليه الا أن الواو أقرب الى الباء لاتفاقهما فى المخرج ، وأن الواو للجمع والباء للالصاق ، فهما متقاربان .
ولذلك أنيب الواو عن الباء وكثر استعمالها وحدث للفرع مالم يحدث للأصل حيث كانت أكثر الحروف استعمالا . واستعملت مع حذف فعل القسم ولكن لكون الباء أصلا امتازت عن غيرها وذلك بدخولها على المضمر ولا يكون ذلك فى الواو وظهور الفعل بعدها . والحلف على سبيل الاستعطاف .

وقد تحذف هذه الباء فينتصب الاسم المقسم به كما نصبوا الاسم على نزع الخافض كما فى قوله تعالى : " واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام "

---

(١) سورة لقمان آية ١٣

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٩ ص ١٨

ما يجري مجرى القسم :

هناك ألفاظ تجري مجرى القسم وهي نوعان :

الأول :

ما تكون جارية كثيرها من الأخبار وليست بقسم فلا تجاب بجوابه : كقوله تعالى : " وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة " (١) وقوله تعالى : فيحلفون كما يحلفون لكم " (٢) ، ولقد أخذنا ميثاقكم إن كنتم مؤمنين " (٣) فهذا النوع هو الذي جرى مجرى الأخبار ، ولم يجب بجواب القسم ، ويجوز فيه أيضا أن يكون قسما وله جواب ، فإن جملته جاريا مجرى الخبر كان هذا القسم حالا ، وهذا مثل قوله تعالى " وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا " (٤) فقوله " ورفعنا " حال غير جواب وكذلك قوله تعالى : " وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله " (٥) فقوله " لا تعبدون " حال ، وكأنه قال : خذوا ميثاقكم موحدين ، وكذلك قوله تعالى : وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم " أي غير سافكين ، فيكون حالا من المخاطبين المضاف إليهم .

والنوع الثاني :

له جواب قسم ، كقوله تعالى : " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ، ولا تكتمونه " (٦) ، وقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم " (٧)

---

(١) سورة البقرة آية ٦٣
(٢) سورة المجادلة آية ١٨
(٣) سورة الحديد آية ٨
(٤) سورة البقرة آية ٦٢
(٥) سورة البقرة آية ٨٣
(٦) سورة آل عمران آية ١٨٧
(٧) سورة النمل آية ٣٨

وقوله : وإذ أخذ نا ميثاق بني اسرائيل لا تعبد وا الا الله " (١) وقوله تعالى : " وإذ أخذ نا ميثاقكم لاتسفكون د ماءكم " (٢) " لاتسفكون " جواب قسم وقوله :"ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق " (٣)، "وماله في الآخرة من خلاق ".

نرى النفي بما في الذي وقع جوابا للقسم وأكد بزيادة " من " في قوله " من خلاق " ،وقوله : " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم " (٤) .
وقوله " كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم " (٥)؛ كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا (٦) فيمن كسر همزة ان في قوله : " انه من عمل منكم سوءا بجهالة "

وان هنا لتأكيد المقسم عليه ،وقوله : كتب الله لأغلبن أنا ورسلي " (٧)
وقوله :"وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص " (٨)، وجواب القسم هنا " مالهم من محيص " والقسم " ظنوا " لأنها بمعنى اليقين ، أي أيقنوا وبلغ أمرهم باليقين كأنهم : أقسموا مالهم من محيص وزيدت " من " لتأكيد القسم عليه وهو نفي المهرب من العذاب ، ولا يصح أن تكون الجملة مفعولا لظننت على أنها سدت مسد المفعولين ،لأن الجملة غير الموصولة بحرف مثل : "أن" لا يصح أن تكون فاعلا أو مفعولا بدون حرف يوصل الى ذلك .

اجتماع الشرط والقسم :

اذا اجتمع الشرط والقسم فإن تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب

(١) سورة البقرة آية ٨٢
(٢) سورة البقرة آية ٦٣ ، ٨٤ ، ٩٣
(٣) سورة البقرة آية ١٠٢
(٤) سورة آل عمران آية ٨١
(٥) سورة الانعام آية ١٢
(٦) سورة الانعام آية ٥٤
(٧) سورة المجادلة آية ٢١
(٨) سورة السجدة آية ٤٨

كان الجواب للقسم ، وأغنى عن جواب الشرط وإن تقدم الشرط كان الجواب له وأغنى عن جواب القسم ، وهذا مثل قوله تعالى : لئن لم تنته لأرجمنك "[1] تقديره : والله لئن لم تنته فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم ، ولكنها زائدة ، وتسمى لام الموطئة أو المؤذنة للقسم ، كما سبق بيانه .

والذي يدل على أن هذا الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام عليه وأنه ليس بمجزوم .

وهذا كما في قوله تعالى : " لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله " [2] فلو كان جواب الشرط لكان مجزوما .

وأما قوله تعالى : " ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون " [3] فاللام في " لئن " هي الموطئة للقسم ، واللام في لالى الله ، هي لام القسم ، ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور ، والأصل لئن متم أو قتلتم لتحشرون الى الله ، فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه .

---

(١) سورة مريم آية ٤٦
(٢) سورة الاسراء آية ٨٨
(٣) سورة آل عمران ١٥٨

أن تقول : انطلق زيد بسبب قولنا : زيد المنطلق ، فيصبح الخبر مبتدأ والمبتدأ خبرا ، ومثل هذا يقال في الاستفهام بالهمزة : أأنت فعلت أو : أفعلت هذا ، كما في قوله تعالى : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم فان القصد هنا من تقديم (أنت) حمله على الاقرار بالفعل الحاصل ، والذى لا مشاحة فيه ولا جدال في وقوعه فأصبح الفاعل مبتدأ حيث أسند الفعل الى ضميره في الاستفهام .

فأرى - والله أعلم - أن التقديم الذى أصبح له موقع اعرابي غير ما كان عليه قبل التقديم وهو النوع الثاني ، انما هو للاهتمام والعناية بالمقدم وبيان ذلك في الآية الكريمة : " أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم " (1) ، الشك هو في (أنت) ، لأن المراد من الاستفهام حمله على الاقرار بالفعل ، وأنه هو الذى حطم الأصنام فهم يريدون الفاعل لا الفعل ، اذ أن الفعل حاصل ولا شك فيه ، وانما المراد هو الاهتمام بمعرفة من الذى حطم الأصنام .

وهذا وان كان الغرض منه الاهتمام والعناية به ، الا أن معنى التخصيص الذى هو القصر لازم لمعنى الاهتمام والعناية بأمره في مثل هذه الصورة .

أما في مثل : محمد عرفته فاذا جعلت : محمد : مبتدأ ، وقلت : محمد عرفته فان مثل هذه الصورة للاهتمام والعناية لا الحصر والاختصاص .

---

(1) سورة الانبياء آية ٦٢

وعلى هذا ليس كل تقديم فى هذا النوع ـ وهو النوع الثانى ـ للاختصاص والحصر ، فقد يكون للعناية والاهتمام .

وهذا هو مايقوله النحاة (١).

أما النوع الأول : وهو : ابتاء المقدم على ما كان عليه من الموقع الاعرابى قبل التقديم فان هذا النوع لقصد الحصر ، وهو مايعبر عنه بالاختصاص والحصر اسلوب من أساليب التوكيد ، لأنه يزيل الشك والتردد أو الانكار وهذا هو مايتم به التوكيد فى الكلام .

وان كان هذا النوع قد يكون فيه معنى الاهتمام والعناية به أيضا كما يقول النحاة .

وهذا كما فى قوله تعالى : "ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ." (٢) وقوله تعالى : " ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم : ." (٣) ، قدم المخاطبين فى الآية الأولى دون الثانية ، لأن المخاطب فى الأولى للفقراء ، بدليل قوله تعالى : " من املاق ، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم .

والخطاب فى الآية الثانية للأغنياء بدليل قوله تعالى : " خشية املاق " فان الخشية انما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ، لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

---

(١) انظر دلائل الاعجاز ص ٨٤
(٢) سورة الانعام آية ١٥١
(٣) سورة الاسراء آية ٣١

وكما بينت أن الأصل في الفاعل أن يكون مقدما على المفعول وأن يكون بعد الفعل ، فقد نجد المفعول مقدما على الفاعل أو على الفعل .

فمثال الضرب الأول : تقديم المفعول على الفاعل : قوله تعالى : " فأوجس في نفسه خيفة موسى " فان تقديم المفعول على الفاعل ، أفاد قصر موسى على الخوف ، لأن المراد تأكيد خوف موسى ، ولذلك وجه اليه الخطاب بالتأكيد عن طريق " ان ، والضمير " ليناسب خوفه الشديد الذى أفاده تقديم المفعول (خيفة) على الفاعل (موسى) وان كان هذا التقديم ناسب نظم الكلام ، لأن المعنى فى القرآن مقدم على الصناعة اللفظية عكس العلماء من يقول : ان ذلك لتناسب الفواصل ، ولكن مناسبة الكلام رؤوس الآى فى القرآن الكريم ، لم يكن نظم القرآن الكريم له وحده ، وانما كان للمعنى أولا ثم مراعاة رؤوس الآى والفواصل أو لتحسين النظم ، نعم : ان النظم له وقعه فى الأسماع ، ولكن القرآن الكريم راعى المعانى كما راعى مناسبة النظم فى الآى .

وأما تقديم المفعول على الفعل ، فان هذا فى باب الاشتغال ، كما دون فى كتب النحو .

فانى أرى أن تقديم المفعول على الفعل مع ابقائه على حالته فى الاعراب قبل التقديم ، فان لم يذكر ضميره مع الفعل ، فان ذلك للاختصاص الذى يفيد التوكيد مثل قوله تعالى : " فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ، وقوله (اياك نعبد) ، (اياك نستعين) " .

وأما قوله : " كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل " فليس فى الآية اختصاص لأنه اما أن يكون كلا ، مفعولا لفعل محذوف فسر بالفعل بعده ، وهو : " هدينا " وهذا أيضا فى " نوحا هدينا " يكون هذا من باب التأكيد بالتكرار ، أى تكرار

الجملة الفعلية ، وأجرى الفعل بعده (هدينا) مجرى اللازم للعلم بالمفعول به ، وكذلك مع (نوحا)

وإما أن يكون (كلا) قدمت لتشبه المرتفعة بالابتداء في أن كلا منهما لم يسبقها عامل في اللفظ ، لأن التقدير : كلا منهما لاسحق ويعقوب و هذا أبلغ وأقوى من التأخير (١) .

وأما اذا ذكر ضمير مع الفعل فاما أن تذكر جملة قبله مفسرة بالجملة بعده فان ذلك من باب التكرار والتأكيد .

واذا ذكرت هذه الجملة المفسرة بعد المفعول به ، فانه للحصر والاختصاص

وأما قوله تعالى : " فأما ثمود فهديناهم " على قراءة النصب فالتقديم هنا للاختصاص ، لأنه يمتنع تقديم جملة مفسرة قبل الفعل بسبب (أما) اذ لا يأتي بعدها الا اسم .

أما على قراءة الرفع فلا اختصاص اذ لا تقديم في الآية ، وربما يقال : ان التقديم في هذه الآية لمصلحة التركيب ، لأن (أما) لا يأتي بعدها فعل . أقول : ان هذا على قراءة الرفع ، لأن ما بعدها مبتدأ ، أما على قراءة النصب فلا بد من توجيه الفعل عليه ، والفعل لا يكون بعد أما فيكون تقدير الفعل بعد (ثمود) ومن هنا يكون التقديم للاختصاص فقط .

هذا بالنسبة لتقديم المفعول على الفعل .

أما تقديم الظرف ومتعلقات الفعل .

(١) انظر المغني ص ١٦٥ جـ١

فان كان التقديم في الاثبات دل على الاختصاص كما في قوله تعالى : " لإلى الله تحشرون " (١) فالمعنى : أنكم تحشرون الى الله لا الى غيره في الآخرة فيجازيكم ، وقوله تعالى : لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " (٢) لأن الخطاب في الآية لأمة محمد دون غيرهم فأخر (على الناس) في الشهادة الأولى ، ا ذ لا اختصاص بالناس دون غيرهم ، أي أن أمة محمد شهداء على الناس جميعا أي على الأمم يوم القيامة على أن رسلهم بلغتهم ، أما الرسول صلى الله عليه وسلم سيكون يوم القيامة شهيدا على أمة محمد فقط دون غيرها ولهذا قدم (على الناس) على الخبر في الشهادة الثانية ، وكما في قوله تعالى : " وأرسلناك للناس رسولا " (٣) أرسلناك للناس جميعا من العرب وغيرهم ، وعلى هذا فان (أل) في قوله تعالى (للناس) للاستغراق .

وان كان التقديم في النفي فان تقديمه يفيد تأكيد تفضيل المنفى عنه ، كما في قوله تعالى : " لافيها غول ولا هم عنها ينزفون " (٤) والمعنى أنه ليس في خمر الجنة مافي خمرة غيرها من الغول ، أي ليس فيها كما في خمرة الدنيا ماينتاب العقل ولا مايسكره ولهذا لم يقدم الظرف في قوله تعالى : " ذلك الكتاب لاريب فيه " (٥) اذ لو قدم لكان معناه أن الريب موجود في الكتب السماوية الأخرى ، وأن القرآن اختص بعدم الريب دون غيره .

وقد يكون التقديم لأمر اقتضته صحة المعنى وهذا كما في قوله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٨

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣

(٣) سورة النساء آية ٧٩

(٤) سورة الصافات آية ٤٧

(٥) سورة البقرة آية ١

" وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه " فانه لو أخر (من آل فرعون) من (يكتم ايمانه) لتوهم أن (من) متعلقة بـ (يكتم) فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون وهذا المعنا بعيد .

التقديم للحصر والاختصاص :

وقد لايكون التقديم للحصر أو الاختصاص ، وذلك عند مايكون المراد مجرد تمكين الخبر فتصدر الجملة بالضمير الفاعل ويسند اليه الخبر بعده ، فيأتي الضمير معرى من العوامل اللفظية ثم تسند اليه الجملة (الخبر) بعده ، فان الخبر يثبت في النفس ، لأن المخاطب عندما استمع الى الضمير فانه يكون تواقا الى سماع الخبر عنه ، وبذلك يتمكن في النفس خير تمكن .

ومن هنا قالوا : ان الشئ اذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من تقدم اضمار (١)

وهذا كما في قوله تعالى : " قل هو الله أحد " أضمر لفظ الجلالة ثم فسر بقوله (الله أحد) فنجد في هذا التعبير تأثيرا لانجده اذا جاءت الآية بدون اضمار ، فتصدير الجملة بالضمير ثم الاتيان بالخبر هو أسلوب من أساليب التوكيد .

والتوكيد جاء من سياق الكلام ، لأن ذكر الضمير شئ مبهم ، والابهام يستدعي

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢ ، طبعة السيد رشيد رضا

من المخاطب الاستعداد لإعمال الفكر لمعرفة الخبر ، فحينما يأتي الخبر والنفس مشتاقة اليه يثبت في النفس ، ويكون له من الأثر في النفس ما لا يكون اذا بدأ الجملة بدون تصديرها بالضمير ، وهذا كما في قوله تعالى : " وبالآخرة هم يوقنون " (١) وقوله تعالى : " أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون " فتقديم الضمير هنا لا يفيد اختصاصهم في الآية الأولى بالوقوف بالآخرة ، وفي الثانية اختصاصهم بالنشر ، وانما المراد هو مجرد الاخبار عنهم بهذا الخبر دون النظر الى غيرهم .

وكما في قوله تعالى : " واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون " وذلك لأن عبادتهم لها تقتضي ألا تكون مخلوقة فالمقام مقام استغراب بعبادتهم لها على أنها آلهة ، ومن شأن الاله أن يكون خالقا ولكن هذه الآلهة مخلوقة لا خالقة فقدم الضمير في قوله (وهم يخلقون) لتقرير هذا المعنى أي أنها مخلوقة فكيف تعبد؟

ويكثر هذا الأسلوب في الوعد وما شاكله ، وذلك لأن من شأن من تعده بشيء ربما يعتريه الشك في الوعد فيكون محتاجا الى تأكيده ، فيلقى اليه الكلام مصدرا بالضمير ثم الاخبار عنه فيتمكن الخبر عنده خير تمكن ، وهذا هو ما يريده الموعود وما يرنو اليه .

ولذلك نجد في القرآن الكريم الجملة التي تأتي للوعد مصدرة بالضمير ، كقوله تعالى : " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٢) وقوله تعالى : " بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم " (٣) على اعتبار أن هو مبتدأ والفوز العظيم خبره وكذلك الوعيد كما في قوله تعالى " يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا

---

(١) سورة البقرة آية ٤
(٢) سورة البقرة آية ١١٢
(٣) سورة الحديد آية ١٢

ولا هم ينصرون » (١) أى لا يمنعون من العذاب فى الآخرة ، وهذا كما فى قوله تعالى : " كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار " (٢) فتصدير الضمير فى هذه الآية (ما هم بخارجين من النار) يفيد تأكيد نسبة الخلود لهم لا إختصاص الخلود بهم ، ودون النظر الى غيرهم ، ولا يخفى هذا أن المؤمنين العصاة مخلدون فى النار ، ولا يخرجون كما لا يخفى العكس ، فهذا لم يتعرض له نفى المعنى فى هذه الآية ، وانما تعنى الآية مجرد الاخبار بأن هؤلاء المتحدث عنهم خالدون فى النار دون اعتبار تخصيص الخلود بهم ، لأنه لو اعتبرنا ذلك ، لألزمنا المولى جل جلاله ما لا ينبغى لنا أن نلزمه من الخبر أو عدمه عن المؤمنين العصاة ، فلا تتعارض الآية مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه : أن العصاة يخرجون من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يبقى بها موحد أبدا ، لأنه لم يتقدم التصدير إلا لمجرد تمكين هذا الخبر فى النفس لأنه فى معرض الوعيد .

---

(١) سورة الطور آية ٤٦

(٢) سورة البقرة آية ١٦٧

الباب الخامس

لمحة الى التوكيد عند البلاغيين

لمحـة الـى التوكيد عند البـلاغـيين

سبق أن بينت أن الجملة هي موضوع دراسة النحاة والبلاغيين والجملة خاضعة لمناسبات القول وللعلاقة التى تكون بين المتكلم والمخاطب .
ولن يكون الكلام مفيدا الا اذا كان حال المخاطب مراعا لوقع الكلام فى نفس المخاطب موقع القبول والاقتناع.

ولذا تناول البلاغيون دراسة الجملة كما تناولها النحاة.

ومن صور الكلام أسلوب التوكيد فتناوله النحاة ، وقدموا لنا طرقه وأدواته التى يؤكد بها الكلام لظروف يقتضيها الحال .

وجاء البلاغيون وخاضوا فى ذلك وكانت لهم آراء وتوجيهات فى أسلوب التوكيد .

لذلك فانى أشير فى هذا الباب الى التوكيد عند البلاغيين ، وقبل أن أشير الى الأساليب المختلفة التى سلكها البلاغيون ، لتوكيد الكلام يجدر بى أن أقف على رأى البلاغيين فيما قاله النحاة عن التوكيد فى الأبواب الأربعة السابقة وأول هذه الأبواب التكرار.

فنجد البلاغيين خاضوا فيه حتى جعلوا الاطناب يشمل التكرار فكل تكرار اطناب.

فالبلاغيون قسموا التكرار الى قسمين : الأول : ما كان تكرار فى اللفظ والمعنى جميعا ، وهذا كما فى سورة الرحمن " فبأى آلاء ربكما تكذبان " تكرار

من جهة اللفظ والمعنى فقد كررت هذه الآية في سورة الرحمن احدى وثلاثين مرة, ذكر فيها الله سبحانه وتعالى بعد كل نعمة أو ما يؤول الى النعمة ، تقريرا لها ، واعلاما لشأنها ، كما كررها بعد النار وعذابها ترهيبا وانذارا للكافرين والعصاة ، وهكذا أيضا في سورة المرسلات فقد كرر قوله "ويل يومئذ للمكذبين" مبالغة في الانكار عليهم وتأكيدا لوقوع السخط عليهم والغضب لأجل تكذيبهم ، وحذارا من الاتيان بمثل ما أتوا به من انكار لهذا اليوم العظيم .

وأيضا في سورة القمر كرر قوله تعالى : "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر" فكررت هذه الآيات لما يحصل فيه من ايقاظ النفوس بذكر قصص الأولين والاتعاظ بما أصابهم من العقوبات ، وحل بهم من أنواع العقوبات فيكونون بمنزلة قرن الصماء ، لئلا تستولي عليهم الغفلة ويغلب عليهم الذهول والنسيان .

وهكذا في كل ما ورد من الآيات المكررة في قصص القرآن وصور ترغيبه وترهيبه هذا هو رأي البلاغيين .

أما النحاة فلم يعدوا هذا تكرارا ، لأن كل آية جاءت لمعنى خاص بها ينتهي عنده الكلام ثم يستأنف الكلام من جديد لمعنى جديد ، وهكذا ، وقد بينت هذا في باب التكرار عند النحاة ، (١) باب التكرار .

فالتكرار عند النحاة ما كان مرددا في اللفظ لمعنى واحد ، وهذا كما في قوله تعالى : "فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر" (٢) وقوله تعالى : "أولى لك

---

(١) انظر ص ١٣ باب التكرار

(٢) سورة المدثر آية ١٨ ــ ١٩

فأولى ثم أولى لك فأولى " (١)، وهذا كما فى قولنا : لا اله الا الله وحده لاشريك له لأن قولنا : لا اله الا الله، هو معنى : وحده لاشريك له " فهما فى المعنى سواء ،وكرر القول هنا لتقرير المعنى وإثباته ، وذلك لأن من الناس من يخالف فيه كالنصارى فالتكرير فى هذا المقام أبلغ من الايجاز ، وهذا توكيد بالتكرار أيضا عند البلاغيين الا أنه نوع آخر من أنواع التكرار عندهم .

وانى أرى أن التكرار فى اللفظ لمعنى واحد ماهو الا لمجرد رفع توهم التسلط والنسيان أو للتنبيه فهو لمجرد التوكيد ،وليس له من القوة والأثر فى النفس ما للتكرار فى اللفظ والمعنى جميعا كما شاهدوه فى الآيات السابقة اذ أيقظ القلوب من غفوتها وزجرها عن الاثم ،وأثار فى النفوس الاعتبار والاتعاظ حتى سادها الخوف والرهبة ،وشغفها حبا وميلا الى الخير والى كل مايؤدى الى الجنة والنعيم ألايكون هذا أقوى أسلوب وأوقع كلام جاء من طريق التكرار للتوكيد .

وهذا كله فيما تكرر لفظه مرات كثيرة فى القرآن الكريم .

فأما ماكان تكراره مرتين فهو غير خال من فائدة ظاهرة ، وهذا كما فى قوله تعالى : " ويريد الله أن يحق الحق بكلماته " ثم قال بعد ذلك " ليحق الحق ويبطل الباطل " فهذا وان تكرر لفظه ومعناه ، فلا يخلو من حال لأجله وقع التناسب وذلك من جهتين : أما أولا : فلأن الأول وارد على جهة الانشاء ،والثانى : وارد على جهة الخبر .

وأما ثانيا : فلأن الأول وارد فى الارادة والثانى وارد فى الفعل نفسه ،ولأن الأول : الغرض به اظهار أمر الدين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل

---

(١) سورة القيامة آية ٣٤ ـ ٣٥

من ناره ، ولهذا قال بعده " ويقطع دابر الكافرين "

والغرض الثاني التمييز بين ما يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم اليه من التوحيد ، وإخلاص العبادة لله ، وبين أمر الشرك وعبادة الأصنام ، ولهذا قال بعده " ولو كره المجرمون " .

أما النوع الثاني من أنواع التكرار عند البلاغيين فهو : التكرار في المعنى دون اللفظ ، وهذا كما في قوله تعالى : " انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال " فقوله تعالى (والجبال) وارد على جهة التأكيد المعنوي ، فانه تعظيم شأن هذه الأمانة المشار اليها وتفخيم حالها ، وكذلك قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " (١) فقوله تعالى : " يدعون الى الخير " عام في كل شيء وانما كرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جهة التأكيد والمبالغة ، وكذلك قوله تعالى : فيهما فاكهة ونخل ورمان " (٢) فانما خصا النخل والرمان بالذكر ، وان كانا داخلين تحت الفاكهة تعظيما لأمرهما ومبالغة في رفع قدرهما ، وقد ذكرت ذلك في باب العطف (٣) باب التكرار (بالعطف) .

وخلاصة هذا الكلام أنه اذا كان التكرار في اللفظ والمعنى جميعا ، فهو توكيد عند البلاغيين وليس توكيدا عند النحاة .

اما غير ذلك فهو توكيد عندهما " عند النحاة والبلاغيين " كالتكرار بضمير الفصل والصفة والعطف فهو تكرار عند الجميع .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤

(٢) سورة الرحمن آية ٦٨

(٣) انظر ص ٢٠١ – ٢٠٢

والتكرار نوع من أنواع الاطناب ، والاطناب عندهم تأكيد ، لأنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، وهذا هو الفرق بينه وبين التكرير ، فالتكرير : دلالة اللفظ على المعنى مرددا ، فهو جزء من الاطناب الذى يأتى للتوكيد .

وهذا هو ما انفرد به البلاغيون ، وهو أنواع كثيرة سماها البلاغيون بأسماء منها : الاحتراس ، كما فى قوله تعالى : " اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ". (١) فاحترس بقوله " من غير سوء " عن امكان أن يدخل فى ذلك البهق ونحوه من أمراض تشوهه ، فهذه الزيادة لتأكيد معنى السلامة .

وكذلك فى قوله تعالى : " أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ". (٢)
فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة لتوهم أن ذلك لضعفهم فلما قيل : (أعزة على الكافرين) أكد معنى التواضع للمؤمنين والعطف عليهم ، وانتفت عنهم صفة الضعف ولذلك عدى (الذل) بعلى لتضمنه معنى العطف ، وهذا كما فى قوله تعالى : " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ". (٣) ومن أنواع الاطناب التتميم : كما فى قوله تعالى : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ". (٤) فقوله : " على حبه " اتمام للمعنى المراد ، المراد منه تأكيد معنى البذل والعطاء مهما كانت الحال ، ومهما كانوا فى حاجة الى ما يبذلونه وهذا كما فى قوله تعالى : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة " .

ومن أنواع الاطناب . التذييل : وهو أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام

---

(١) سورة القصص آية ٣٢
(٢) سورة المائدة آية ٥٤
(٣) سورة الفتح آية ٢٩
(٤) سورة الدهر آية ٨

مستفى فى معنى الأول ، ليكمل فهمه .

ومنذا كما فى قوله تعالى : " ومن جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا "(١) فقوله تعالى : " ان الباطل كان زهوقا " تأكيد للمعنى الأول ، وهو فى معناه ، ولكنه بعد ما انتهى من الكلام الأول استأنف لتأكيد هذا المعنى فقال : " ان الباطل كان زهوقا " ولهذا أكد " بان " لأنه كلام مستأنف أو بيان وطئة لتقرير المعنى الأول ، وغير ذلك لفائدة تأكيد وتقرير معنى مراد فى الكلام .

ومن أمثلة الاطناب فى القرآن الكريم قوله تعالى : " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى " فعبارة (بيدى) زيادة فى الكلام ، اذ ان الخلق لابد أن يكون بيديه أى بقدرته ، اذ كيف كان هناك خلق بدون قدرته سبحانه وتعالى ، ولكن زيدت لمعنى مراد فى الكلام ، وهو ارادة تشريف آدم ، وأنه مخلوق فضله الله على سائر المخلوقات ، ولذا زيد فى الكلام (بيدى) لارادة تأكيد هذا المعنى ومقتضى هذا التأكيد تكبر ابليس على آدم وانكاره أن يكون أعظم منه وعلى هذا جاء قوله سبحانه وتعالى : " ذلكم قولكم بأفواهكم " فقوله تعالى : " بأفواهكم " زيادة ، لأن القول لا يكون الا بالأفواه ، فكلمة الأفواه دل عليها القول ، ولكن لما كان فى القول افتراء ، أنكره المولى ، لأنه لا حقيقة له ، وانما هو كذب وافتراء منهم وما هو الا قولهم ، فأشار الى ذلك بقوله (بأفواهكم) ، ويدل على ذلك قوله تعالى فى قصة الافك " اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم " .

فأفاد قوله : " بأفواهكم تأكيد ان الافك الذى افتروه ما هو الا كذب وافتراء .

---

(١) سورة الاسراء آية ٨١

(٢) سورة ص آية ٧٥

منهم ولمحمد ، أصل من الحقيقة ، في سياق هذه الآية ، جاء قوله تعالى :

" ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل " [١] فسياق هذه الآية : أن الانسان يقول لزوجته : أنت علي كظهر أمي ، فضرب الله لذلك مثالا فقال : كيف تكون الزوجة أما ، والجمع بين الزوجية والأمومة في حالة واحدة كالجمع بين القلبين في الجوف ، وهذا تعظيم لما قالوه وانكار له ، وهو : بان من انكار له قلبان يحتل بهما أفضل من عقل محمد ولما كان الكلام في حالة الانكار والتعظيم أتى بذكر الجوف مع أنه يعلم أن القلب لايكون الا في الجوف ، ولكنها زيدت في الآية لزيادة تصوير المعنى المقصود ، لأنه اذا سمعه المخاطب صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان في ذلك تأكيد على النفي والانكار .

وهذا كما في قوله تعالى : " فخر عليهم السقف من فوقهم " [٢] فزيد قوله " من فوقهم " لأن السقف لايكون الا في أعلى ، ولأن المقام مقام تخويف وترهيب وزجر فناسبت هذه الزيادة ذلك لترسيخ وتأكيد الشعور بالخوف في النفس والترهيب من الكفر والالحاد .

ونجد تلك المعاني في سرد الآية بكمالها فقد قال الله سبحانه وتعالى " قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون " ، فعند تلاوة هذه الآية يخيل الينا أن سقفا خر على أولئك من فوقهم ، وأثارت في النفس الرعب والخوف ، ولايحدث هذا اذا لم تذكر العبارة " من فوقهم " .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٤

(٢) سورة النحل آية ٢٦

واذا دل الموصوف على الصفة ، فلا حاجة الى الصفة ، ولذا يكون ذكرها من باب الاطناب أو الزيادة ، وهذا كما في قوله تعالى : " فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة "جاءت الزيادة في الآيــة بقوله (واحدة) لأن الموصوف (نفخــة) دل عليها بتاء الوحدة ، (1)، ولــكن زيادتها لمعان اقتضاها المقام ، وهي أن النفخ في الصور الذي تقوم به الأموات من القبور مهول جسيم دال على القدرة الباهرة ، وكذلك حمل الأرض والجبال ، فلما كانا بهذه الصفة جيء فيهما (نفخة واحدة) ، (دكتا دكة واحدة) ، للدلالة على أن هذا الأمر العظيم مهول يسير على الله تعالى يفعل ويمضى الأمــر فيه بنفخة واحدة ، ودكة واحدة ، ولا يحتاج فيه الى طول مدة ولا مشقة فجيء بذكــر الواحدة لتأكيد الاعلام بأن ذلك هين سهل على الرغم من عظمــه .

ولنا أن نقول بعد بيان هذه المعاني التي أداها الاطناب في الآيــة انه زيادة على ذلك قد أكسب الكلام قوة في اللفظ ، وذلك لمناسبة رؤوس الآي فانه من أول الســورة : الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة فاننا نجد الوزن متحدا في جميع فواصل الآي ، وهذا ما يجعل المعاني التي في الآيات لها الأثر والوقــع العظيم في النفوس ، فترسخ المعاني في النفوس والعقول ، وهذا هو ما يرمى اليــه أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، وبهذا أرى أن حســن النظم وجرس الألفــاظ وفواصل الآي له فائدة هي تقوية المعنى المؤكد في الآية ، وبهذا فانه أسلــوب من أســاليب التوكيد ، وهو حسن النظم وموسيقاه .

الا أنه مما تجدر الاشــارة اليه هو أن مراعاة التوازن في فواصل الآي لم تكن الا بعد أن روعى أداء المعاني في الآي ثم بعد ذلك يراعى التــــوازن

---

(1) انظر ص ١٢٦ـ١٢٧

الموسيقى فى فواصل الآى منكلا الأمرين : مراعاة المعانى المرادة وتوازن الفواصل يؤديان الى المراد وهو ا ترسيخ المعنى المراد فى النفس سواء أكان عن طريق توكيد الكلام بأحد طرق التركيد أم النظم الموسيقى .

وكل ما مر من أمثلة للإطناب الذى أريد به تأكيد معنى من الكلام هو اطناب فى جملة واحدة ، وقد يأتى الاطناب فى جمل متعددة ، ويسمى النفى والاثبات وهو أن يذكر الشئ على سبيل النفى ثم يذكر على سبيل الاثبات أو بالعكس ، وفى أحدهما زيادة ليست فى الآخر ، وهذا كما فى قوله تعالى : " فى سورة الروم " ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم بالآخرة هم غافلون " فقوله : (يعلمون) بعد قوله تعالى (لا يعلمون) اطناب اذ أن (يعلمون) هى بمنزلة (لا يعلمون) الا أن الفعل فى الأول جاء مثبتا ، والثانى جاء منفيا ، فالله سبحانه وتعالى : نفى العلم عن الناس بما خفى عنهم من تحقيق وعده ، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا فكأنهم (علموا وما علموا) اذ العلم بظاهر الأمور ليس بعلم ، وانما العلم هو ما كان بالباطن من الأمور ولما كان المراد من (لا يعلمون) هو المراد من (يعلمون) كان تكرارا ، ولكن لما كان فى الجملة شئ زائد لم يذكر فى الجملة الأولى كان اطنابا ، اذ الجملة الثانية احتوت على شئ زائد فكان اطنابا وليس تكرارا وأفاد التوكيد ، لأن المقام مقام عدم العلم بوعد الله فأكد هذا المعنى بتسليط العلم على ظاهر الحياة ، والعلم بالظاهر ليس علما فهم لا يعلمون وهذا هو المراد فى الآية .

ولما كان الاطناب في الكلام قد يأتي للتوكيد عند البلاغيين ، فاننا نراهم يعتبرون الاستثناء أسلوبا من أساليب التوكيد ، ووجه التوكيد فيه ثني ذكر الشيء مرة مجملا ومرة مفصلا ، وهذا كما في قوله تعالى : " فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما " (١) فان في الاخبار عن المدة بهذه الصيغة تمهيدا على السامع فأول ما يباشر السمع ذكر الألف ثم استثنى (الخمسين) فكان العدد (تسعمائة وخمسين) كرر مرتين ، مرة قبل (الا) مجملا ومرة بعد (الا) مفصلا .

وقد يأتي الاستثناء لتأكيد المعنى الذي قبل (الا) وهذا كما في قوله تعالى : " ليس لهم طعام الا من ضريع " (١) فالمعنى قبل (الا) لا طعام لهم ثم استثنى ، وبهذا الاستثناء استشرفت النفس قبل ذكر ما بعد (الا) أنه لهم طعام ، وتاقت النفس اليه معرفة هذا الطعام فقيل (من ضريع) وهو طعام لا يؤكل ، فوصل في النفس المعنى وهو أنه لا طعام لهم أصلا .

وهذا كما في تأكيد المدح بما يشبه الذم بأن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح ، بتقدير دخولها فيه ، وهذا كما في قوله تعالى : " لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما " (٢) ، فعند قوله تعالى : " لا يسمعون فيها لغوا " معناه أنهم لا يسمعون فيها اللغو ، وعندما أتت أداة الاستثناء توهمت النفس أنه ستأتي صفة ذم بعد هذا ، لأن الاستثناء من صفة ذم الا أنها مفهومة فلما قيل (سلاما سلاما) أكد المعنى الأول وهو أنهم لا يسمعون في المعنى الا قولا حسنا أصلا .

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٤

(٢) سورة الغاشية آية ٦

(٣) سورة الواقعة آية ٢٥-٢٦

ولما كان هذا الأسلوب أسلوب توكيد ، لأنه جعل النفس تستعد وتتوق الى معرفته خيوص المعنى في النفس ، ثابتا نرى البلاغيين يقولون : ان التفسير بعد الاضمار أسلوب من أساليب التوكيد وذلك لما يحدثه هذا الأسلوب في النفس لأن النفس تتطلع بعد سماع الضمير وهو ما يحس بضمير الشأن والقصة الى الكشف عنه وطلب تفسيره ، فعندما تذكر الجملة المفسرة لهذا الضمير يتمكن في النفس ويرسخ معناها في العقول وهذا هو ما يفعله أسلوب التوكيد ، كما في قوله تعالى " قل هو الله أحد " فان (هو) ضمير الشأن ، وهو في المعنى الجملة المفسرة (الله أحد) فكان هذا بمثابة تكرار الا أن التكرار هنا سلك طريقا بعد بما له من الأثر في النفس ما يثبت المعنى فيها ، وهذا هو ما قاله عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز (١) : ليس اعلامك الشيء بغتة مثل اعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الاعلام في التأكيد والاحكام ، ومن هنا قالوا : ان الشيء اذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم اضمار ، ويدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى : " فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فخامة وشرفا وروعة لا نجد منها شيئا في قولنا : فان الأبصار لا تعمى ، وكذلك السبيل أبدا في كل كلام كان فيه ضمير القصة ، فقوله تعالى : " انه لا يفلح الكافرون " يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل : ان الكافرين لا يفلحون لم يفد ذلك ، ولم يكن ذلك كذلك الا لأنه تعلمك إياه من بعد تقدمه وتنبيه أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطد ، ثم بين ولوح ثم صرح ، ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق ا هـ

ومن هذا النوع التفسير بعد الابهام ، وذلك كما في قوله تعالى : " وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين " (٢)

(١) عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ص ١٠٢
(٢) سورة الحجر آية ٦٦

ويكون هذا الأسلوب من شأنه لتفخيم أمر المبهم واعظامه ، لأنه هو الذى يحرك النفس أولا فيذهب بالسامع كل مذهب ، وذلك لأنه فسر (الأمر) بقوله " أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين " ففى ابهامه أولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم لذلك وتعظيم لشأنه فكأنه قال : وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع ، فلما كان بهذه المكانة من الفخامة ، كان الابهام أولا يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه وتشوف الى ما يرد بعده ، وهذا — ولاشك — مما يؤكد الخبر فى النفس خير تمكين .

وقد يأتى التوكيد عن طريق على العكس من ذلك ، وذلك بالاجمال بعد التفصيل كما فى قوله : " فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة " فقوله : (عشرة كاملة) اجمال بعد تفصيل ، ولكن أكد بها مجموع العدد السابق ، لأن الواو تجىء فى بعض المواضع للاباحة فرفع هذا اللبس بقوله (عشرة) وقوله (كاملة) تحقيق لذلك المعنى وتأكيد ، من باب مجىء الصفة للتأكيد .

واذا كان وضع الضمير موضع المظهر من أساليب التوكيد كما هى الحال فى تفسير الضمير فان وضع المظهر موضع الضمير أسلوب من أساليب التوكيد التى ترمى الى توكيد معنى مراد فى الذهن ، وهذا كما فى قوله تعالى : " قل هو الله أحد ، الله الصمد " فالآية الأولى فيها أسلوب من أساليب التوكيد عن طريق الاضمار ثم التفسير كما مر ، وفى الآية الثانية وضع المظهر موضع الضمير ، لأنه اذا ذكر الاسم ثم أريد ذكره ثانيا فان الذى يذكر ضميره ، هذا هو الأصل ولكن يعدل عن هذا الأصل ويذكر المظهر لارادة معنى مراد ، وهذا فى قوله (الله الصمد) ذكر الظاهر (لفظ الجلالة) بدلا من الضمير ، لتأكيد أن الله هو الخالق وحده لاشريك له ، فانه وان كان قد أكد هذا المعنى فى الآية الأولى الا أنه أريد تمكينه فى النفس فذكر المظهر وعدل عن الضمير وهذا كما فى قوله

" وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " (١)

ومما يتصل بهذه المواضع مواضع التوضيح بعد الاجمال أو التفسير بعد الابهام (الاضمار) باب الاشتغال ، لأنه من باب " اضمار الشيء ثم تفسيره " وهو عند النحاة : اعمال فعل محذوف في اسم ثم تفسير الفعل المحذوف بعد هذا الاسم المعمول ، ولجأ النحاة الى ذلك لمسائل لفظية وذلك مثل دخول (اذا على الاسم ، ولا تدخل (اذا) على الاسم وانما تدخل على الفعل ولهذا قدر النحاة فعلا محذوفا بعد (اذا) والاسم بعدها معمول لهذا الفعل المحذوف يفسره الفعل بعد الاسم ، وهذا كما في قوله تعالى : " اذا السماء انشقت " .

ونظر البلاغيون الى هذا الأسلوب ولم يهتموا بالمسائل اللفظية ، ولكنهم تلمسوا المعاني التي تدور حول هذا الأسلوب وتأثيره في النفس ، فقالوا ان الشيء اذا أضمر ثم فسر كان أفخم مما اذا لم يتقدم اضمار ، وهذا هو ما نفهم من كلام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز . (٢)

وطريق هذه الافادة هو أننا اذا ذكر الاسم دون اسناد اليه يجعل النفس تتوق وتتشوق الى معرفة هذا المسند فاذا ما ذكر تمكن في النفس ، وهذا كما في قوله تعالى : " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره " (٣) .

ولم يكن التوكيد عن طريق أن الجملة كررت مرتين مرة قبل الاسم وهي الجملة المحذوفة ومرة بعد الاسم وهي الجملة المفسرة ، وذلك لأنه لا يجوز حذف المؤكد

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٥ ، انظر الايضاح للقزويني ص ١٥٦

(٢) عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ص ١٠٢

(٣) سورة التوبة آية ٦

وبناء التوكيد ونرى أن الخليل وسيبويه أجازاه الا أنه رد هذا الرأى (١) .

وعلى فرض أننا جعلنا التوكيد جاء عن طريق تكرار الجملة فانه يكون توكيدا لفظيا

ولكن البلاغيين جعلوا التوكيد من بيان الجملة ، وهو ذكر الشئ مبهما ثم تفسيره

وهو أسلوب يثير انتباه النفس والتشوف إلى معرفة هذا المبهم ثم يأتى التفسير

فيلتقى فى النفس خير استعداد لقبوله ، ومن ثم تمت فائدة هذا الأسلوب وهى

تمكين المعنى فى النفس .

وعلى كل حال فكلا الفريقين أسلوب أريد به تمكين المعنى فى النفس

فهو أى " باب الاشتغال أسلوب من أساليب التوكيد .

وقد جاء هذا الأسلوب فى القرآن الكريم كثيرا ، كما فى قوله تعالى :

" قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى " (٢) وقوله تعالى : " يدخل من يشاء

فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما " (٣) وقوله تعالى : " فريقا هدى وفريقا

حق عليهم الضلالة " (٤) فقد نجد الأثر الذى أفاده هذا الأسلوب ، اذا قيل :

قل لو تملكون خزائن رحمة ربى " وفى قوله تعالى : " (أعد للظالمين) بدلا من

(والظالمين أعد لهم) .

وفى قوله تعالى : " فريقا هدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة " اذا جعلنا

الاسم المتقدم مفعولا للفعل بعده ، لم يكن فى هذه الحال هناك فعل محذوف ومع

ذلك ، فان الأسلوب مازال يفيد التوكيد ، حتى فى هذه الحالة ؛ لأنه عندما قدم

---

(١) انظر المغنى جـ٢ ص ١٦٨

(٢) سورة الاسراء آية ١٠٠

(٣) سورة الدهر آية ٣١

(٤) سورة الأعراف آية ٣٠

الاسم على الفعل حصل الابهام ، واحتاجت النفس الى التفسير ، وهذا كما سبق بيانه فيكون التوكيد من باب الابهام ثم الايضاح .

ومن هنا يظهر لنا الرد على القائل بأن التوكيد في مثل هذا الأسلوب وهو باب الاشتغال جاء من تكرار الجملتين ، الجملة المحذوفة المقدرة والجملة المفسرة ، ولانحتاج الى الرد القائل بأنه لايجوز توكيد المحذوف وبقاء التوكيد .

وبهذا ظهر لنا أن كل ما جاء مكرارا في باب التكرار توكيد عند النحويين (١) والبلاغيين ، ولم يخالف البلاغيون النحويين الا في التكرار في اللفظ والمعنى جميعا فهو تأكيد عند البلاغيين كما سبق بيان ثم انفرد البلاغيون بالاطناب ويكل الأساليب التي تنتج الاطناب ، وهذا في كل ماذكر في أساليب الاضمار ثم التفسير والايضاح بعد الابهام ووضع المظهر موضع المضمر ، وباب الاشتغال فكلها أساليب توكيد عند البلاغيين .

وبالنسبة للتوكيد بالأدوات التي جاءت في باب التأكيد بالأداة ...

---

(١) انظر كتاب سيبويه جا ص ٩٦-٩٧ ، ومن الشواهد الشعرية للنحويين قول الشاعر النحوي ، مروان النحوي أحد اصحاب الخليل :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله
والزاد حتى نعله ألقاها

فعند اعراب حتى ابتدائية ونصب (نعله) فانه في هذه الحال يقدر فعل بعد حتى عامل في (نعله) النصب ، ويفسره (ألقاها) فجملة ألقاها توكيد على حد قوله : لقيت القوم حتى عبد الله لقيته .

وأساليب الحصر والتقديم ، كلها أساليب توكيد عند الفريقين على السواء

وبالنسبة لحروف الزيادة : لم يختلف الفريقان في أنها للتوكيد الا أن البلاغيين فصلوا وعللوا في ضرورة افادتها للتوكيد ، ولذلك نجد البلاغيين بالنسبة لبعض الحروف قالوا انها للتوكيد ولم يكن الحرف زائدا في أصلها ، وهذا كما في قوله تعالى :

" مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم " (١)

بمعنى أن الباء ... أذهب الله نورهم " (٢)

وقد ترى بهذا رجال البلاغيين " ان قوله تعالى " ذهب الله بنورهم " أبلغ من " أذهب الله نورهم " لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهبه ، وليس كل من أذهب شيئا فقد ذهب به ، لأن الذهاب بالشيء هو استصحاب له ومضي معه وفي ذلك نوع احتجاز للمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حالته والعودة الى مكانه ، وليس كذلك الاذهاب للشيء لزوال معنى الاحتجاز عنه (٣)

وبهذا ظهر لنا أن الباء على الرغم من أنها ليست زائدة واستعملت في معناها الأصلي وهو التعدية مع الفعل (ذهب) بحيث لا يكتمل التركيب في العبارة الا بها عدت حرفا للتوكيد ، أو النظام نفسه أي : الفعل غير المتعدي (ذهب) مع الباء أفاد توكيدا لم يفده الفعل المتعدي (أذهب) .

وهذا لأن البلاغيين مناهجهم المعاني وأوغلوا في المعاني مالم يتوغل فيه النحاة .

اما بقية الحروف التي ذكرت في باب الزيادة فالفريقان متفقان على زيادتها للتأكيد .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧ .
(٢) المغني جـ١ ص ١٠٤ حاشية الأمير
(٣) المثل السائر لابن الأثير جـ٢ ص ٢٢

وبعد أن أشرت إلى ما انفرد به البلاغيون من أساليب التوكيد ،-
أشير أيضا إلى بعض الأساليب الأخرى التي عدها البلاغيون من أساليب
التوكيد ، وهي أساليب المبالغة ومن هذه الأساليب : الاخبار بالمضارع
عن الماضي ، وذلك لقصد تبيين هيئة الفعل باستحضار صورته ، ليكون السامع
كأنه يشاهدها باستحضار الصورة هكذا للسامع ما يجعلها واضحة لمفهومه
وراسخة في ذهنه ، وهذا هو ما يفعله أسلوب التوكيد لدى السامع فلهذا
كان هذا الأسلوب من أساليب التوكيد .

والنحاة أمام هذا التعبير لم يوضحوا أو يشيروا إلى أنه أسلوب من
أساليب التوكيد ، ولكنهم قالوا : ان هذا الفعل مضارع ومعناه المضي ، وهذا
كما جاء في همع الهوامع (١) من حالات الفعل المضارع أن ينصرف معناه إلى المضي
وهذا كما في قوله تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة (٢)
فالمعنى : أصبحت الأرض ، لاشتراط اتحاد الزمان في الفعلين المتعاطفين ، لأن
قوله (فتصبح) معطوف على قوله (أنزل) .

وقد دون في بعض كتب النحو : ان التعبير بالمضارع عن الماضي لاستحضار
الصورة ، إلا أنهم لم يشيروا إلى أنه أريد به التوكيد .

أما البلاغيون فقد تناولوا هذا الأسلوب على أنه أسلوب من أساليب
الالتفات والمبالغة أريد به التوكيد .

وطريق التوكيد في مثل هذه الصورة ، استحضار الصورة لدى السامع وجعله

---

(١) همع الهوامع ج١ ص ٢٢-٢٣
(٢) سورة الحج آية ٦٣

يشاهدونها ويحسون بها ، وهذا أقوى وآكد من التعبير بالماضي .

وقد يكون التوكيد بالعكس ، أي الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع الذي معناه للمستقبل ولم يوجد فعله ، وفائدة هذا أن الفعل الماضي اذا أخبر عن المضارع الذي معناه للمستقبل والذي لم يحدث فعله بعد ، كان ذلك أبلغ وآكد في تحقيق الفعل وايجاده ، لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد ، والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المضارع عن الماضي ، استحضار الصورة أمام السامع ليشاهدها في التعبير بالمضارع عن الماضي أما الغرض من التعبير بالماضي عن المضارع الدلالة على ايجاد الفعل الذي لم يوجد بعد .

وهذا كما في قوله تعالى : " ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض " (١) فانه سبحانه وتعالى انما قال : (ففزع) بلفظ الماضي بعد قوله (ينفخ) وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع ، وأنه كائن لا محالة ، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به ، وهكذا في كل الأشياء العظيمة التي يستعظم أمرها .

وهذا كما في قوله تعالى : " ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا " (٢) فقال سبحانه وتعالى : (وحشرناهم) ماضيا بعد (نسير) ، (ترى) وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الأحوال ، وذلك لأن الحشر هو المهم ، لأن من الناس من ينكره فناسب تلك الحال أن يأتي بالماضي للتأكيد .

---

(١) سورة النمل آية ٨٧

(٢) سورة الكهف آية ٤٧

أما النحاة فنجدهم يقولون : قد ينصرف الماضي الى الاستقبال ، وذلك اذا اقتضى طلبا أو وعدا ، كما في قوله تعالى : " انا أعطيناك الكوثر " أو عطف على ما علم استقباله ، وهذا كما في الآية : " ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والأرض " (١) وجاء في مشكل القرآن (٢) " يأتي الفعل على بنية الماضي وهو دائم أو مستقبل ، وهذا كما في قوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس " (٣) أي أنتم خير أمة ، وكذلك قوله تعالى : " اتى أمر الله فلا تستعجلوه " (٤) يريد يوم القيامة أي سيأتي قريبا فلا تستعجلوه اهـ "

ومما يجري هذا المجرى الاخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل ، وذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي ، وذلك في قوله تعالى " ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود " (٥) فاستعمل اسم المفعول الذي هو (مجموع) بدلا من الفعل المستقبل الذي هو يجمع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع للناس ، وأنه الموصوف بهذه الصفة . (٦)

وكما أن الانتقال من الماضي الى المضارع وبالعكس أسلوب من أساليب التوكيد فكذلك الانتقال من الخطاب بالجملة الفعلية الى الجملة الاسمية وهذا كما في قوله تعالى : " واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون " (٧) ، فانهم لما خاطبوا المؤمنين بالجملة

---

(١) انظر همع الهوامع جـ١ ص ٢٤
(٢) مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٩٥
(٣) سورة الاعراف آية ١١٠
(٤) سورة النحل آية ١
(٥) سورة هود آية ١٠٢
(٦) انظر المثل السائر لابن الأثير جـ٢ ص ١٩
(٧) سورة البقرة آية ١٤

الفعلية خاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية المؤكدة بان المشددة ، لأنهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر ، فكان ذلك عقيدة منهم ورائجا عند اخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فانما قالوه تكلفا واظهارا للايمان خوفا ومداراة ، وكانوا يعلمون أنهم لو قالوا بأوكد لفظ لما راج لهم عند المؤمنين الا رواجا ظاهرا لا باطنا ، ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين (آمنا) وفي خطاب اخوانهم (انا معكم) فالتعبير بالجملة الاسمية بدلا من الجملة الفعلية يشبه تأكيد الخبر باللام كما في قوله تعالى : " قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون " (١)

وكذلك الانتقال من المفرد الى الجمع قد يراد به التوكيد ، وهذا كما في مجيء المصدر على فعول جمعا كما في قوله تعالى : " لانريد منكم جزاء ولا شكورا " (٢) جمع الشكر للتأكيد على شي أي شكر .

وأيضا الانتقال من وزن الى وزن آخر أكثر منه في الوزن فلابد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه اولا ، لأن الألفاظ أدلة على المعاني ، وأمثلة للابانة عنها فاذا زيد في الألفاظ دلت الزيادة في المعاني ، ويستعمل هذا في مقام المبالغة لتأكيد معنى وهذا كما في قوله تعالى : " فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر " (٣) فمقتدر هنا أبلغ وأقوى من قادر ، وانما عدل اليه للدلالة على تفخيم الأمر وشدة

---

(١) سورة يوسف آية ١١-١٢

(٢) سورة الدهر آية ٩

(٣) سورة القمر آية ٤٢

الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب أو الدلالة على بسطة القدرة فإن المقتدر أبلغ في البسطة من قادر، وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر، وقادر اسم فاعل من قدر، ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل.

وعلى هذا ورد قول أبي نواس:

فعفوت عنه عفو مقتدر
حلت له نقم فألغاها

أي: عفوت عنه عفو قادر متمكن لا يرده شيء عن امضاء قدرته، ومثل هذا كثير، كما في قوله تعالى: "فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا" (١) فإن غفارا أبلغ في المغفرة من غافر، لأن فعالا يدل على كثرة صدور الفعل، وفاعل لا يدل على الكثرة، وعليه ورد قوله تعالى: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (٢) فالتواب هو الذي يتكرر منه التوبة مرة على مرة وهو فعال، وذلك أبلغ من التائب، لأن التائب صدرت منه التوبة مرة واحدة، فإذا قيل: تواب، كان صدور التوبة منه مرارا كثيرا.

وكذلك اسناد الفعل الى الجمع بدلا من المفرد نوع من انواع الالتفات مرادا به التأكيد كقوله تعالى: "قال رب ارجعون" (٣) على تأويل: ارجعني، ارجعني فلهم الفاعل جمعا وقد جاء الفعل مسندا الى الجمع، وذلك لأن المراد تكرير الفعل، واختصر اللفظ بدلا من تكرير الفعل ثلاث مرات للتأكيد وأجرى الفعل على الجمع، وهذا كما في قولنا: لبيك اللهم لبيك، فنحن نلبي وننثني (لبى) قصدا للتكرار تأكيدا.

---

(١) سورة نوح آية ١٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢

(٣) سورة المؤمنون آية ٢٣

وهذا أيضا في قوله تعالى : " ثم ارجع البصر كرتين " (١) يكون اللفظ في صورة المثنى وجمعه

وهذا كما في قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول وحومل

فإنه جعل الخطاب للمثنى (قفا مثنى والخطاب لنفسه ، وذلك بدلا من تكرار الفعل مرتين للتأكيد ، وعلى هذا فإن هذا يعد أسلوبا من أساليب التكرار للتأكيد عند العرب ، وقد ورد مثله في القرآن الكريم .

ومما يفيد التوكيد تاء المبالغة تلحق اسم الفاعل لقصد المبالغة كقولنا : هذا رجل نابغة ، كما تلحق وزنا من أوزان المبالغة مثل : علامة ونسابة للمبالغة وهذا كما في قوله تعالى : " فمن تصدق به فهو كفارة له " (٢)
والمعنى : فمن تصدق بالقصاص بأن عفا عن خصمه ، فهو كفارة له ، لحقت التاء صيغة المبالغة (كفار) لتوكيد المبالغة .

لكن هذا وما شابهه يقصد به المبالغة لتوكيد فهو ضرب من أساليب التوكيد ولا يكون إلا فيما يكون فيه معنى الفعلية ، فمثاله في الفعلية " فكبكبوا فيها هم والغاوون " (٣) ، فإن معنى (كبكبوا) من الكب وهو القلب ، إلا أنه مكرر المعنى وإنما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب ، لأنه في موضع يقتضي ذلك .

وأما ما يجري مجرى الفعلية فهو مثل اسم الفاعل ، واسم المفعول كما —

---

(١) سورة الملك آية ٤
(٢) سورة المائدة آية ٤٥
(٣) سورة الشعراء آية ٩٤

وهكذا كل ما اشتمل على شئ من هذه الزيادات ، لزيادة المبالغة التي يقصد بها التوكيد .

أما الزيادة التي في التصغير فليست زيادة للمبالغة للتوكيد وانما هي زيادة لمعنى هو عكس أسلوب المبالغة للتوكيد اذ يأتي لمعنى الصغر والتحقير فلا يدخل معنا هنا زيادة للتصغير .

وهذه الزيادة التي للمبالغة عند البلاغيين فانها زيادة أيضا للمبالغة عند النحويين ولم يختلف فيها الفريقان فهذا من الأمور التي اتفق فيها الفريقان بل قد بدأ بحثها والكلام عنها النحويون وشاركهم فيها البلاغيون .

ومن الأساليب التي عدها البلاغيون للتوكيد ، تعليق حدوث شئ على حصول أمر مستحيل ، وذلك لقصد ابراز الكلام في صورة المستحيل ، وهذا الأسلوب وان اختص به البلاغيون ، فان الأفكار والمعاني التالية تتفق دائما عقلا ولهذا نرى النحويين عند ارادة معنى التوكيد في مثل هذه الأساليب يضعون الألفاظ لهذا الأسلوب بما يتفق مع المعنى المراد ، وهو توكيد عدم حدوث أمر ما وهذا كما في قوله تعالى : " لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " .(١)

نجد أن دخول الجنة لهؤلاء المتحدث عنهم أكد استحالته بتعليق الدخول على أمر مستحيل ، وهو ولوج الجمل في سم الخياط ، وهذا من الأمور المستحيلة بداهة فيستعمل النحاة في مثل هذا حرف النفي (لا) كما في الآية ، لنفي الفعل (يدخلون)

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٠

لأن النفي بـ (لا) يفيد نفي الفعل في الأزمنة الثلاثة ماضيا وحالا ومستقبلا . مثلوتين : لن يدخلوا الجنة حتى يلج في سم الخياط " . فلا يصح لأن (لن) تفيد نفي الفعل مستقبلا فقط ، وهذا لا يتفق مع تعليق الفعل على أمر مستحيل ، أما (لا) فالنفي بها ليس للاستقبال فقط بل لغيره من الأزمنة ، وهكذا نجد أهل المعاني والنحاة يتلاقوا في معظم أساليب التوكيد إلا أن البلاغيين خالفوا النحاة عنهم في بعض الأمور .

وهذا لأن البلاغيين توغلوا وخاضوا في المعاني أكثر من النحويين .

خاتمة

اللغة وسيلة للتفاهم ، ولا يتم التفاهم بين أبناء اللغة إلا إذا روعيت الملاءمة التي تكون بين المتكلم والمخاطب ، إذ لا يكون الكلام مفيدا ولا الخبر مؤديا غرضه ما لم يكن حال المخاطب مراعى لدى المتكلم ، ويجد المخاطب حق القبول والفهم .

ومن أجل هذا تكلم أصحاب علم المعاني في مقتضى الحال ، وتناولوا العوامل عرفانا منهم بما للكلام من ظروف تتحكم فيما يصدر عن المتكلم من كلام يتلقى فيه إنكاره إلى المخاطب ، فيتشكل الأسلوب بما تمليه تلك الأحوال على المتكلم .

ومن هنا كان المنطلق الذي انطلقت منه في رسالتي هذه ، والأساس الذي أرسيت عليه المنهج الذي رسمته للرسالة .

وليس هذا المنطلق جديدا على علم النحو من بين فروع اللغة وآدابها ، وإنما هو الأساس الذي ينبني عليه تأليف الجملة أو تأليف الكلام .

فنجد الرضي في شرحه الكافية يتناول هذا الموضوع ويصرح ببيان الغرض الذي وضع له التوكيد أحد ثلاثة أشياء :

١) أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه .

٢) أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط .

٣) أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا . (1)

وكذلك نرى الزمخشري يقول — وهو يعالج أسلوب التوكيد في دراسته النحوية — أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد ، وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه ، وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة أو ذهابا عما أنت بصدده ، فأزلته ، وكذلك إذا جئت بالنفس والعين ، فإن لظان أن يظن حين قلت : زيد .

---

(1) شرح الكافية ج٢ص ٣٢٨

أن إسناد الفعل فيه تجوز أو سهو أو نسيان (١).

ثم ما أتيت به من جديد في الوقوف على الالتزام بمراعاة حال السامع، وملاحظة ما ينبغي أن يشتمل عليه من عناية، والإشارة إلى الحاجة إلى أهمية مراعاة المقامات القولية عند تعبير المتكلم عما في نفسه من أفكار تعبيرا صحيحا يكون مطابقا لمقتضيات الفصاحة التي يعتبرها الدارسون أساسا من أسس صحة الكلام.

ولم تختلف نظرة البلاغيين الدارسين التابعين عن معالجة الخطاب في ابداء صور التوكيد، فقد كان الكلام العربي عنده ما اشتمل عليه من التركيب على قدر الحاجة وما يؤدي فيه حال المخاطب، فإن كان المخاطب خالي الذهن استغنى المتكلم عن مؤكدات الكلام، وإن كان المخاطب طالبا متطلعا حسن تقوية الكلام بمؤكد، وإن كان منكرا أو شاكا بخلاف ما في نفس المتكلم وجب توكيد الكلام بحسب ما تشعر به حال المتكلم من درجة في الإنكار أو ضعف فيه.

لذلك كان لزاما علي أن أتعرض إلى التوكيد عند البلاغيين بجانب عنصر المعنى الذي وضعته للتوكيد عند النحاة، وكان من وراء هذا الأساس الذي وضعته للمعنى أن استقصيت أساليب التوكيد، فوجدتها لا تخلو من أربعة موضوعات:

الأول: التكرار بنوعيه، وأعني بهما التكرار اللفظي والتكرار المعنوي وقد بحثت في هذا الموضوع، متى تكون الحاجة إلى التوكيد اللفظي؟، ومتى تكون الحاجة إلى التوكيد المعنوي؟.

ثم استقصيت أحوال التوكيد بألفاظه المعنوية والنعت النحوي على (كل) التي تفيد الإحاطة والاستغراق، فوجدت أنها إذا أضيفت إلى ما فيه (أل) الجنسية كان حسنا لإفادة الاستغراق الذي تفيده (كل).

ولهذا نجد القرآن الكريم وهو مصدر اللغة الأول، يقول: "فأخرجنا منه

---

(١) المفصل ١١١١، ١١١٢.

من كل الثمرات"(١) (كل) هنا مضافة الى مابعده (أل) التي للجنس فعمت افادتها ، ولم يقل القرآن الكريم: "فأخرجنا به من الثمرات كلها" ولو أن المعنى واحد ، ويستوى هذه الأمران من افادة كل الاحاطة والشمول الا أن استعمال كل مضافة الى ما بعده (أل) التي للجنس دون استعمالها مؤكدة للثمرات مضافة الى ضميرها به حكمة ، وذلك لأن (من) في الآية لبيان الجنس لا للتبعيض والمجرور في موضع المفعول لا في موضع الظرف ، والمراد من الثمرات أنفسها وأدخل (من) لبيان الجنس كله ، فلو قال : أخرجنا به من الثمرات كلها ، لقيل : أى شيء أخرج منها ، وتوهم أن المجرور في موضع الظرف وأن مفعول أخرجنا فيما بعد ، فاذا تقدمت (كل) زال هذا التوهم لأن (كل) اذا تقدمت اقتضت الاحاطة والشمول بالجنس واذا تأخرت اقتضت بالتوكيد جنسا شائعا كان أو معهودا ، فكان الابتداء بـ(كل) أحضر للمعنى وأجمع للجنس.

كما تتبعت أحوالها في الجملة المنفية ، فوجدت أن كل اذا تقدم عليها النفي أفادت سلب العموم ، أما اذا تقدمت على النفي فانها تفيد عموم السلب وهي عند اضافتها الى (ما) المصدرية والظرفية ، وأصبح التركيب من (كل+ما) أفاد التركيب العموم والتكرار ، كما في قوله تعالى : "كلما نضجت جلودهم"(٢).

ووجدت أن (كل) تأتي صفة وتفيد التمام والكمال بجانب أنها وضعت للتوكيد في أصل اللغة ، وهي وان كانت تأتي صفة الا أنه لا يجوز قطعها الى الرفع أو النصب ، كما تكون الحال مع الصفة لأن القطع يجوز في الصفة ، وعلة ذلك أنها كالتوكيد وان كانت صفة ، وألفاظ التوكيد لا يجوز قطعها ، ولذلك يقول سيبويه في كتابه(٣): سألت الخليل رحمه الله عن : مررت بزيد وأتاني أخوه أنفسهما ، فقال : الرفع على :

---

(١) سورة الاعراف الآية رقم ٥٧

(٢) سورة النساء الآية رقم ٥٦

(٣) كتاب سيبويه جـ٢ ص٦٢ طبعة عبدالسلام هارون

عنا ماجيا أنفسهما ، والنصب على : أعنيهما أنفسهما ولايجئ غيره ، لأنه ليس مما يعتد به .

وإذا استنفدت التوكيد اللفظي ، وجدت أشياء أخرى تابعة للتوكيد اللفظي من حيث التكرار ، وتعد أسلوبا من أساليب التوكيد ، إلا أنها ليست توكيدا نحويا بمعنى التابع ، كما ذكر في كتب النحاة ، ولكن أساليبها أفادت توكيدا ، وذلك مثل : المفعول المطلق ، فإنه أكد الفعل ، والحاجة اليه في الكلام مثل الحاجة الى التوكيد اللفظي ، فإذا اقتضته الظروف والأحوال الملابسة للخطاب ، وذلك إذا قلت مثلا : ذهب زيد ، فإن كان الشك في الفعل لا في الاسناد الى زيد ، قلنا : ذهب زيد ذهابا ، وهذا كما في قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " (١) فإن المصدر (تكليما) أكد الفعل والذي اقتضى التوكيد هو الشك والتوهم في الفعل ، بأن كان الكلام بالوحي أو بغيره لا بالكلام المعروف ، فأزيل هذا التوهم بالمصدر حيث أكد حدوث الفعل .

وكان هذا من باب التكرار ولو أنه ليس تابعا نحويا وكذلك في الحال المؤكدة ، والصفة التي يراد بها التوكيد ، والعطف عندما يعطف الشيء على مثله لإرادة التوكيد كما في قوله تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف (٢) فالأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير ، لأنه أمر بالمعروف . ثم تتبعت أساليب البديع ، فوجدته في بعض أساليبه نوعا من أساليب التوكيد وهو التكرار وقد أشار الى الطريقة الى هذا قول الزمخشري في المفصل ، " وانما يذكر الأول لنحو من التوطئة وليناد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا تكون في الافراد (٣) .

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٤ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .
(٣) المفصل ١٢١ .

وتطبيق هذا في قوله تعالى : " وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله " (١) ، وفي سورة الفاتحة : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم " فلو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد أن الصراط المستقيم هو صراط الله ، ولكنه ذكر ليفيد فضل تمكن وتوكيد اذ هو الأول بعينه ، وكرر لغرض البيان والتوكيد بمجموع الكلمتين ، البدل والمبدل منه ، ومن هنا يظهر لنا أن التوكيد نوع من البدل جاء بكلمات خاصة ولزم أن تتعدد وتحدد فكان تفصيلا لأنواع البدل وتعبيرا لجزء منه ، ثم زاد البدل في أنه للتخصيص لا للعموم اذ هو المقصود بالحكم بخلاف التوكيد .

وهكذا جعلت هذه الأساليب كلها من المصدر المؤكد والنعت والعطف والبدل ملحقة بأساليب التكرار لما فيها من تكرار .

<u>الثاني : التوكيد بالأداة :</u> ومنها ما يختص بالدخول على الأسماء ومنها ما يختص بالدخول على الأفعال ، ومنها ما هو مشترك بينهما ، ومن الأدوات التي تختص بالأسماء (ان) ، وتثبت وأخواتها ، فوجدت اكثر مواقع (ان) أنها تكون للتعليل عما قبلها ، وذلك لتنزيل ما قبلها منزلة سؤال الشاك فلذلك حسن التوكيد بها ، وهذا كثير في فواصل الآي في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم " (٢) .

ويؤكد مع (ان) باللام اذا كان المقام مقام انكار أو حاكيا بخلاف ما يقوله المتكلم ، وذلك لشدة التوكيد كقوله تعالى : " قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون " (٣) بعد قوله : " اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا : انا اليكم مرسلون " (٤) ، فلم يؤكد هنا باللام حيث لا حاجة الى زيادة التوكيد .

---

(١) سورة الشورى الآية ٥٢ ـ ٥٣

(٢) سورة البقرة الآية ٣٢

(٣) سورة يس الآية ١٦ (٤) سورة يس الآية رقم ١٤

ثم تتبعت هذه اللام فوجدتها يؤكد بها مع (ان) ـ وتسمى لام الابتداء ـ حين الحاجة اليها ، وقد تكون فارقة مع (ان) المخففة للفرق بينها وبين (ان) النافية

ويؤكد بها في القسم وتدخل على الفعل المضارع ، ومن هذه اللامات مفتوحة ما لام الجحود فهي مكسورة ، وتدخل على الفعل لتأكيد النفي ، فهي بمثابة الباء الزائدة التي تدخل على الخبر المنفي لتأكيد النفي .

ثم استقصيت أحوال ضمير الفصل ، فوجدته يؤكد به مرة على أنه نوع من أنواع التكرار ، فلا يؤكد نسبة ، وانما يؤكد الضمير السابق كما لو كررنا اسما أو حرفا ، وهذا كما في قوله تعالى : " اسكن أنت وزوجك الجنة " (١) أكد الضمير المستتر للعطف عليه فجعلت هذا النوع من التوكيد في باب التكرار .

ومرة أخرى يؤكد نسبة ، فجعلته في باب التوكيد بالأداة ، فهو بمثابة (ان) حين دخولها على الجملة الاسمية لتأكيد النسبة ، وطريق افادة توكيد الاسناد بين جزئي الجملة بضمير الفصل هو افادة معنى الحصر ، فاذا قلنا مثلا : زيد هو القائم معنى ذلك أننا قصرنا القيام عليه دون غيره ، وهذا كما في قوله تعالى : " انه هو التواب الرحيم " (٢) .

أما (أن) بالفتح فلم أقتنع بأنها للتوكيد مثل (ان) بالكسر فقد تتبعت مواقعها وأساليبها ، فوجدتها واصلة أي تسمح بدخول الفعل على الاسم ولا تطلبه فاعلا مثل : يسرني أن محمدا ناجح ، فلو غيرنا هذا التركيب وقلنا : يسرني محمد ناجح ، نجد أن الجملة تغيرت وليس فيها تأكيد حقا كما في المثال الأول فالأن قوة الأسلوب في المثال الأول لم تأت من (أن) وانما من الجملة المكونة من اسمها وخبرها أي من التركيب ذاته لا من (أن) .

---

(١) سورة البقرة بعض الآية ٣٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ٣٧

وقد تتبعت (لو) التي يليها (أن) في القرآن الكريم - وهو المصدر الأول للنحاة - فوجدت أن خبر (أن) بعد (لو) دائما يكون فعلا، وذلك لأن الجملة بعد (لو) اذا كانت مثبته لفظا فهي منفية معنى وبالعكس، لذلك لا يجوز أن يأتي خبر (أن) بعد (لو) اسما، لأنه لا يتفق في المعنى، لأن الاسم يفيد الثبوت، والفعل يفيد الحدوث والتجدد، فكيف تكون الجملة منفية في المعنى ويأتي خبرها اسما والتباس لأنه وأن بعد (أن) من أدوات التوكيد وتأتي فيما هو منفي في المعنى.

ومن هنا نرى أن النحويين لهم الأثر الكبير في علم البلاغة، لأنهم هم الذين وضعوا التراكيب الصحيحة، وجعلوا لكل تركيب معنى المناسب له، فالنحاة هم الذين تتبعوا الأدوات والتراكيب وجعلوها في أماكنها المناسبة لها في المعنى ثم علق البلاغيون وخاضوا في ذلك.

<u>الثالث :</u> بتتبعي للقرآن الكريم والشعر العربي وجدت أدوات تزاد في الكلام، بمعنى أنها اذا حذفت لا يفسد الكلام ولا يختل التركيب، وانما يخلو من معنى وهو التوكيد، وهذا في مثل (الباء) تزاد في الخبر المنفي لتأكيد النفي مثل قوله تعالى : " لست عليهم بمصيطر "(١) مع أن الباء وضعت في اللغة لتكون لمعان غير معنى التوكيد، مثل : الالصاق، والتعدية، والسببية وغيرها من معان معروفة في اللغة، فهي عندما تجيء لمعنى التوكيد تنسلخ من هذه المعاني التي وضعت لها في اللغة الى معنى آخر وهو التوكيد، وهذا هو السبب في تسميتها حرفا زائدا، لا على أنها لا معنى لها، ويظهر هذا في قوله تعالى : " ما منعك الا تسجد "(٢)، زيدت (لا) هنا، لأن المقام يقتضي ذلك، فالمقام مقام تسجيل العصيان على

---

(١) سورة الغاشية الآية ٢٢.
(٢) سورة الاعراف بعض الآية ١٢

إبليس) فأريد توكيد نفي السجود حيث ذكر نفي السجود من إبليس في الآية السابقة، في قوله تعالى: فسجد الملائكة إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١)، قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك" (٢)، فإذا قيل: إن (لا) هنا أفادت توكيدا للنفي وهي موضوعة في أصل وضعها له في النفي، فهي لا تخرج عن المعنى الذي وضع لها، فلماذا يقال عنها: إنها زائدة؟ فالجواب: أنها وإن كانت وضعت للنفي، وهي هنا لتأكيد النفي، إلا أنها لم تنف الفعل (تسجد) في التركيب لأن المعنى: أن تسجد، وإنما أكدت نفي معنى مراد في الكلام.

ولما كانت حروف الزيادة أدوات خرجت عن معانيها التي وضعت لها في اللغة جعلت لها بابا خاصا سمي التوكيد بالزيادة، ولم أجعلها ضمن باب التوكيد بالأداة لأن جميع الأدوات التي ذكرت في باب التوكيد بالأداة استعملت فيما وضعت لها في أصل اللغة وهو التوكيد بخلاف أدوات الزيادة.

وتتبعت (كان) في القرآن الكريم، فوجدت أنها مع كونها موضوعة في اللغة لتدل على الزمن الماضي، فإنها تدل على الأزمنة الثلاثة والدوام، وذلك مثل قوله تعالى: "وكان الله غفورا رحيما" فإنها هنا تدل على الدوام وثبوت الغفران والرحمة لله تعالى أبدا وأزلا، لذلك جعلتها في باب الزيادة لأنه توسع في معناها واستعمالها وخرجت إلى معان أخرى ليست موضوعة لها أصلا، فأفادت التوكيد، وهذا من الموضوعات التي خاض فيها البلاغيون.

وكذلك الجملة المعترضة، فهي زائدة من حيث أن حذفها لا يفسد الكلام ولا يخل التركيب ولكنها زيدت لتوكيد معنى مراد في الكلام، ولهذا جعلتها ضمن باب الزيادة، وهي من الموضوعات التي خاض فيها البلاغيون أيضا.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١١

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢

الرابـــع : التوكيد بغير أداة ، عن طريق نظم الكلام بطريق خاص ونظم معين يفيد توكيد السامع أو القارئ ، وهذا كان التقديم والتأخير فقد يقدم المتكلم أو يؤخر من بناء العقد على حاله قبل التقديم اذا اقتضت الظروف والأحوال الملابسة للكلام ذلك ، وهذا كما في قوله تعالى : فأوجس في نفسه خيفة موسى (١)، فان تقديم المفعول على الفاعل أفاد قصر موسى على الخوف، لأن المراد تأكيد خوف موسى ، ولذلك وجه اليه الخطاب بالتأكيد عن طريق (ان) ، (الفصل) ليناسب خوفه الشديد الذي أفاده تقديم المفعول (خيفة) على الفاعل (موسى) ، وقد قال علماء النحو عن هذا التقديم انه للعناية والاهتمام ، ثم خاض البلاغيون في ذلك ، وهذا الباب في الحقيقة بين النحاة والبلاغيين لذلك أخرت أخيرا في الباب الخامس الى التوكيد عند البلاغيين ، لأن هذا الموضوع : أسلوب التوكيد موضوع حيوي تناوله النحاة كما تناوله البلاغيون.

بيد أن النحاة حينما عرضوا له لم يجمعوه في باب واحد ، وانما تناولوه في مواضع مختلفة متفرقة في كتب النحو تطبيقا لمعنى العامل وتأثيره.

وقد اختلف النحاة والبلاغيون حول التوكيد عن طريق التكرار (التوكيـــد اللفظي) فالنحاة يقولون : ان التوكيد عن طريق التوكيد اللفظي تكرار في اللفظ والمعنى واحد أما اذا تعددت المعاني وتكررت الكلمات فان هذا ليس توكيدا وهذا كما فـــي سورة الرحمن في قوله تعالى : " فبأي آلاء ربكما تكذبان " لأنه تكرار في اللفـــظ لمعان متعددة ، فكل آية من الآيات المتكررة المراد بها المكذبون بما ذكر قبـــل هذه الآية ، فلم يتعدد اللفظ على معنى واحد ، فانه سبحانه وتعالى عدد نعماءه في هذه السورة وأذكر عباده ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ، ثم أتبع ذكر كل خلة

---

(١) سورة طه الآية ٦٧.

وصفها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم النعم .

أما البلاغيون فقالوا : ان هذا التكرار للتوكيد ، ان أن الله يذكر بتكرار هذه الآية : " فبأى آلاء ربكما تكذبان " المعاندين والكافرين من عباده بنعمه وآلائه ويخوفهم بنقمه ، وفى تخويفه وانذاره لهم ردع لهم عن الاستمرار فى المعانــــدة والمكابرة ، بالاضافة الى تذكيرهم بنعمه وآلائه عليهم ، فهذا التكرار وان كانــــت كل آية خاصة بالمعانى التى سبقتها الا أنه ايقاظ للنفوس وتشويق الى مانبه الفــــوز بهذه النعم كما جاءت ايقاظا لهما أصاب الأولين من العذاب ، فيكون هذا التكرار بمثابة قرع العصا ، لئلا تستولى عليهم الغفلة ويغلب عليهم النسيان ، وفى هذا كله ترجيح للرغبة فى الاستمرار بما يوصل الى الثواب ووعي للجزاء الرادع للكافرين المكذبــين وردع عن الباطل يعود الى الحق ، وهذا كله انما هو أثر من آثار التكرار ، وهو هدف من أهداف التوكيد ، وهكذا نجد البلاغيين خاضوا فى المعانى وتوغلوا فيها ولكنهــم لم يختلفوا مع النحاة فى كل ماقرره النحاة من أنه أسلوب من أساليب التوكيد الا فــى التكرار لمعان متعددة .

والحق أن هذا الموضوع النحوى انما هو بحث نحوى خالص يؤدى رجعــه الى حقل النحو الى رد اعتباره واستعادة حيويته ، ولهذا اخترت هذا الموضوع ليكون موضوعا لرسالتى فى قسم اللغويات بالكلية .

وفى ختام هذا البحث ان أقدمه راجيا من المولى جل جلاله أن أكون وفقــت الى بيان أسلوب من أساليب العربية ، وأعوذ بالله من سوء الفهم وضلال الرأى وأبرأ اليه سبحانه وتعالى من التكلف لما لا أحسن والخوض فيما لست له بأهل .

وفقنى اللــــه لما فيه الخير .

محمد حسين أبو الفتوح

مراجع الرسالة

م	إسم المؤلف	الكتاب	الطبعة
١	أبو الحسن الأشموني	منهج السالك	حاشية الصبان
٢	ابن يعيش	شرح المفصل	
٣	ابن هشام	المغني	حاشية الأمير
٤	ابن جني	الخصائص	
٥	ابن جني	سر الصناعة	
٦	ابن الحاجب	الكافية	
٧	ابن هشام	أوضح المسالك	محمد محمد محيي الدين
٨	ابن مالك	التسهيل	
٩	ابن مالك	شرح ابن عقيل	محمد محيي الدين
١٠	ابن قتيبة	مشكل القرآن	السيد صقر
١١	أبو عبيدة	مجاز القرآن	
١٢	ابن الأثير	المثل السائر	
١٣	أبو السعود	تفسير أبي السعود	
١٤	للباقلاني	اعجاز القرآن	
١٥	للشيخ الحملاوي	شذا العرف	
١٦	للعلامة خالد الازهري	التصريح على التوضيح	
١٧	للزركشي	علوم القرآن	أبو الفضل ابراهيم
١٨	للزمخشري	تفسير الكشاف	
١٩	سيد قطب	ظلال القرآن	
٢٠	سيبويه	كتاب سيبويه	عبد السلام هارون
٢١	للسيوطي	همع الهوامع	
٢٢	الشنقيطي	الدرر اللوامع	دار المعارف ــ بيروت
٢٣	للطبري	تفسير الطبري	
٢٤	عبد القاهر الجرجاني	دلائل الاعجاز	السيد محمد رشيد رضا
٢٥	عبد القاهر الجرجاني	أسرار البلاغة	السيد محمد رشيد رضا
٢٦	للفراء	معاني القرآن	
٢٧	للقرطبي	تفسير القرطبي	
٢٨	للقزويني	الايضاح	
٢٩	[illegible]	[illegible]	

فهرست أبواب الرسالة

WE SWEAR, THAT ALL MATERIALS DOCUMENTED ON THIS JACKET HAVE BEEN PROCESSED WITHOUT ANY ALTERATIONS WHATSOEVER.

AL - AHRAM
ORGANIZATION AND MICROFILMING CENTRE

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها على هذه الحوافظ قد أعدت دون أية تغييرات .

مؤسسة الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم

تاريخ التصوير

في يوم : ١٧ رجب ١٤١١ هـ
الموافق : [illegible] ١٩٩١ م

DATE OF RECORDING : —— / —— /19

